مجتمع المتصوفة اليهود داخل إسرائيل وخارجها

تأليف

العقيد متقاعد/ زئيف دروري

البروفيسور/ عيمرام جونان

ترجمة وتقديم
أحمد صلاح البهنسي

إصدار

معهد "فلورسهاييمر" الإسرائيلي للدراسات السياسية والاجتماعية– القدس

٢٠٠٥

إهداء

إلى الوالد العزيز، الأستاذ الدكتور/ صلاح البهنسي، مع أطيب الأمنيات له بدوام الصحة والعافية، والمزيد من العطاء العلمي والأكاديمي.

أحمد صلاح البهنسي

مجتمع المتصوفة اليهود داخل إسرائيل وخارجها

محتويات الكتاب

مقدمة المترجم

أولا: المجتمع الإسرائيلي بين الانقسامات الداخلية وإشكالية الهوية

نظرا لأن المجتمع الإسرائيلي نشأ بقرار سياسي وليس بفعل تطورات اجتماعية وديمجرافية وتاريخية، لذلك فقد وُلد مشوهًا وغير متجانسا بل ومتنافرا، فالنسيج الاجتماعي الإسرائيلي في شكله الحالي يتألف من مكونات غير متجانسة، تضم السكان الشرعيين من بقية الشعب الفلسطيني في أراضي عام ١٩٤٨م، الذين أصبح يطلق عليهم "عرب إسرائيل"، وأخلاطًا متنافرة من المستوطنين الذين هاجروا إلى فلسطين من مختلف أنحاء العالم، يحملون ثقافات مختلفة وقوميات متنوعة، ورغم المحاولات الإسرائيلية المستمرة لصهر هذه العناصر في بوتقة واحدة من خلال تعميم الأيديولوجية الصهيونية بتياراتها المختلفة (السياسية والروحية والدينية والعملية)، إلا أن النتائج كانت مخيبة للآمال، فبعد أكثر من خمسين عاما من قيام الدولة أخذت الفجوات الاجتماعية والدينية والعرقية والإثنية في التزايد، والظهور على السطح بشكل أكثر بروزا، لدرجة أصبح ينظر فيها لموضوع "التجانس الاجتماعي" في إسرائيل على أنه موضوعا مصيريا يهدد كيان الدولة وطابعها، بل واستمرارها وقدرتها على العيش والصمود لفترة طويلة من الزمن في ظل هذه التناحرات والانقسامات الاجتماعية، وهذا ما يمكن رصده بشكل أوضح من خلال التصنيفات والتقسيمات التي تصنف على أساسها أطياف وعناصر المجتمع الإسرائيلي فمن الناحية "**الدينية**" ينقسم إلى قسمين: متدينون، وعلمانيون.

المتدينون:

يعتبر المتدينون أقلية في إسرائيل سواء في الجانب العربي أو الجانب اليهودي، ولكنهم أقلية مؤثرة، ويزداد ثقلها النسبي مع الوقت. وينقسمون إلى "عرب"، وأغلبيتهم العظمى من المسلمين، وتمثلهم الحركة الإسلامية، و"يهود"، وينقسمون إلى:

أ- من حيث الموقف من الأيديولوجية الصهيونية التي قامت عليها الدولة إلى: متدينين صهيونيين ويمثلهم حزبي "المفدال" و"ميماد"، ومتدينين معادين للصهيونية (أو حريديم/ متشددين/ أصوليين) وتمثلهم أحزاب "شاس"، و"يهدوت هتوراة"، و"ديجيل هاتوراة".

ب- من الناحية الطائفية إلى: متدينين شرقيين "سفاراد"، ويمثلهم حزب "شاس"، ومتدينين غربيين"إشكناز"، ويمثلهم حزبي "يهدوت هتوراة"، و"المفدال".

العلمانيون:

تزايد تواجدهم وحضورهم على الساحتين الاجتماعية والسياسية في إسرائيل بالآونة الأخيرة، ودخلوا في صراع حاد مع المتدينين اليهود بشكل خاص، وينقسمون بدورهم إلى"عرب": ويمثلهم كل من: الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، الحزب الديمقراطي العربي، التجمع الوطني الديمقراطي، الحركة العربية للتغيير، و"يهود" وتمثلهم أحزاب: "العمل"، "الليكود"، "ميرتس"، "شينوي"، "المركز"، "إسرائيل بعالياه"، "إسرائيل بيتينو"، "الوحدة الوطنية"، "شعب واحد"، والحزب الجديد "كاديما".

أما من الناحية "**الأيديولوجية**" فينقسم المجتمع الإسرائيلي إلى قسمين كبيرين هما: "اليمين" و"اليسار"، واليمين: ينقسم بدوره إلى "يمين ديني"، وتمثله الأحزاب اليهودية الدينية، وتشمل: (شاس، المفدال، يهدوت هتوراة)، و"يمين علماني" ويشمل أحزاب (الوحدة الوطنية، وإسرائيل بعالياه، إسرائيل بيتينو، الليكود، جيشر)، أما اليسار: فينقسم إلى قسمين: أ- يسار يهودي، ب- يسار عربي.

أولا اليسار اليهودي وهو أقرب إلى الوسط منه إلى اليسار ويمثله كل من أحزاب (ميرتس، شينوي، العمل، المركز، شعب واحد).

ثانيا: يسار عربي، وهم بمجموعاتهم المختلفة يقعون أقصى يسار الخريطة السياسية الإسرائيلية، وخاصة بمعيار الموقف من عملية التسوية، ويمثلهم أحزاب:(القائمة العربية الموحدة، الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، التجمع الوطني الديمقراطي، الحركة العربية للتغيير).

أما من الناحية **العرقية** فمن المعروف أن المجتمع الإسرائيلي يُقسم إلى (سفاراد)، و(إشكناز) وبالنسبة للـــ"سفاراد" فهم "اليهود الشرقيين"، الذين قدموا إلى إسرائيل من بلدان الشرق، وخاصة البلدان العربية، ومعظمهم جاء بعد إقامة الدولة ولم يكن لهم ارتباط وثيق بالحركة الصهيونية التي نشأت بالأساس في شرق أوروبا عام ١٨٨١ عقب موجات الاضطهاد التي تعرض لها اليهود في روسيا والتي عرفت باسم "البوجروم"، إثر اغتيال القيصر الروسي "ألكسندر الثالث" واتهام بعض اليهود بذلك، أما (الإشكناز) "يهود الغرب" فهم الذين هاجروا إلى إسرائيل بالأساس قبل قيام الدولة في أربع هجرات متتالية، ومعظمهم كانوا من أتباع الحركة الصهيونية على الرغم من اختلاف أيديولوجياتهم ومشاربهم.

وبالإضافة إلى هذه الانقسامات الأيديولوجية والدينية والعرقية، فإن المجتمع الإسرائيلي، يعاني من ما يمكن تسميته بـــ"أزمة الهوية" التي كانت نتيجة مباشرة للانقسامات والتناحرات سابقة الذكر، فإنشاء دولة إسرائيل بما تشتمل عليه من كل هذه التنويعات الثقافية والأيديولوجية طرح تحديا مهما حول طابع الدولة وهويتها، فدائما ما تروج الأوساط الفكرية والثقافية وحتى السياسية في إسرائيل أن إسرائيل دولة "يهودية ديمقراطية" وهذا المصطلح أو المفهوم تحول فيما بعد إلى إشكالية كبيرة انعسكت بآثارها على التشريعات القانونية الإسرائيلية وعلى نمط الحياة الاجتماعية الإسرائيلية بشكل عام، فما معنى دولة "يهودية"، أي دينية عرقية قومية ولكنها "ديمقراطية" في نفس الوقت، أي علمانية وطنية تساوي بين كل مواطنيها دون الأخذ في الاعتبار العوامل الدينية والعرقية والإثنية، الأمر الذي ألقى بـــ"ضبابية" شديدة على مفهوم "هوية" هذه الدولة وطابعها، وبالتالي أدى إلى طرح تساؤلات حول مدى ولاء مواطني هذه الدولة لها ومدى ارتباطهم بها، واستعدادهم للتضحية من أجلها، كأي مواطنين في أية دولة أخرى، وهذا ما انعكس بشكل جلي من خلال الأعمال الأدبية الإسرائيلية التي كتبت عقب قيام الدولة مباشرة، مثل كتابات "مردخاي طبيب" (يمني الأصل) و"سامي ميخائيل" (عراقي الأصل)، حيث طرحت فيها شخصية

اليهودي الذي هاجر من بلاده الأصلية والتي كان يعاني فيها من "الاغتراب" عن مجتمعه، ليجد نفسه في إسرائيل يعاني أيضا من الاغتراب ومن العزلة، ويشعر وكأنه قد أجتث من تربته الأصلية ليزرع في تربة غريبة عنه، الأمر الذي أدى إلى انهيار الأسطورة التي روجت لها الصهيونية بأن "الشعب اليهودي يجب أن يعود إلى وطنه التي ابتعد عنها لأكثر ما يزيد بها عن عشرين قرنا من الزمان".

إلا أنه تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من تلك الانقسامات والتناحرات التي تفت في عضد المجتمع الإسرائيلي، إلا أن هذا لا يعني أن "الصراع الاجتماعي" من الممكن أن يؤدي إلى القضاء ولو على المدى الطويل على دولة إسرائيل، حيث أن بعض الفلسفات التي طرحت وروجت لإقامة سلام بين العرب وإسرائيل هو أن هذا لسلام سيتيح للصراعات الداخلية الإسرائيلية أن تزداد وتظهر على السطح، ولعل هذا في جزء منه صحيح لكن يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن جميع الإسرائيليين بشتى اختلافهم يجمعهم مفهوم "وحدة المصر المشترك"، وذلك بمجرد شعورهم بأي خطر خارجي يهددهم مما يجعلهم صفا واحد ويدا واحدة دون الأخذ في الاعتبار أي صراعات أو اختلافات، نظرا لترسخ مفهوم أنهم دولة واقعة في بحر من العداء العربي المحيط بها والذي يتهددها في كل وقت.

ثانيا :التصوف اليهودي"القبالاة"، التاريخ والتأثير داخل المجتمع الإسرائيلي

يطلق على التـراث الصـوفي اليهـودي مصطلح "القبَّــــالاه" وهــي مجموعــة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود. والاسم مُشتَّق من كلمة عبريــة تفيد معنى التواتر أو القبول أو التقبل أو ما تلقاه المــرء عــن الســلف، أي "التقاليــد والتراث" أو "التقليد المتوارث". وكان يُقصَد بالكلمة أصلاً تراث اليهوديــة الشــفوي المتناقل فيما يعرف باسم "الشريعة الشفوية"، ثم أصبحت الكلمة تعنــي، مــن أواخــر القرن الثاني عشر، "أشكال التصوف والعلم الحاخامي المتطورة" (إلى جانب مــدلولها

الأكثر عموماً باعتبارها دالاً على سائر المذاهب اليهودية الباطنية منذ بداية العصر المسيحي). وقد أطلق العارفون بأسرار القبَّالاه ("مقوباليم" بالعبرية و"القبَّاليون" بالعربية) على أنفسهم لقب "العارفون بالفيض الرباني". ومصطلح "قبَّالاه" واحد من مصطلحات أخرى تشير إلى المدلول نفسه، وقد كان يُشار إلى المتصوفين بعبارات "يورديّ مركافاه"، أي "النازلون إلى المركبة"، و"بعلي هاسود"، أي "أسياد أو أصحاب الاسم"، و"إنشي إيموناه»، أي "رجال الإيمان"، و"بني هيخلاه دي ملكا"، أي "أبناء قصر الملك".

وقد مرت القبالاة بمراحل تطور عديدة أهمها "قبَّالاة الزوهار" وتُسمَّى أيضاً "القبَّالاه النبوية"، و"القبَّالاه اللوريانية" التي يمكن أن تُسمَّى "القبَّالاه المشيحانية".

أما كلمة "الصوفية" – في حد ذاتها – في اليهودية، فلها – داخل النسق الديني اليهودي – دلالات خاصة تعود بجذورها إلى أسفار العهد القديم والتلمود، ويمكن التمييز بين نمطين من التصوف اليهودي: واحد يدور في نطاق إطار توحيدي، ويَصدُر عن الإيمان بإله يتجاوز الإنسان والطبيعة والتاريخ، ومن ثم يؤمن بالثنائيات الدينية الفضفاضة (سماء/أرض ـــ إنسان/طبيعة ـــ إله/إنسان). وتتبدَّى هذه الرؤية في تدريبات صوفية يقوم بها المتصوف ليكبح جماح جسده تعبيراً عن حبه للإله وعن محاولته التقرب منه وهو يعرف مسبقاً استحالة الوصول والتوحد مع الإله، فالحلول الإلهي يتنافى مع الرؤية التوحيدية، ووحدة الوجود قمة الكفر. والمتصوف الذي يدور في إطار توحيدي يعبِّر عن حبه الإلهي عن طريق فعل في التاريخ والدنيا يلتزم فيه بقيم الخير ويُعلي به من شأن القيم المطلقة المُرسَلة للإنسان من الإله ويصلح به حال الدنيا.

أما النمط الثاني فيدور في إطار حلولي يصدر عن الإيمان بالواحدية الكونية حيث يحل الإله في الطبيعة والإنسان والتاريخ ويتوحد معها ويصبح لا وجود له خارجها،

فيُختزَل الواقع بأسره إلى مستوى واحد يخضع لقانون واحد. ومن ثم، يستطيع من يعرف هذا القانون (الغنوصي) أن يتحكم في العالم بأسره. وهذا هو هدف المتصوف في هذا الإطار. فبدلاً من التدريبات الصوفية التي يكبح بها الإنسان جسده ويطوع لها ذاته، يأخذ التصوف شكل التفسيرات الباطنية وصنع التمائم والتعاويذ والبحث عن الصيغ التي يمكن من خلالها التأثير في الإرادة الإلهية، ومن ثم التحكم الإمبريالي في الكون. وحتى لو أخذ هذا التصوف شكل الزهد، فالهدف من الزهد ليس تطويع الذات وإنما الوصول إلى الإله والالتصاق به والتوحد معه والفناء فيه ليصبح المتصوف عارفاً بالأسرار الإلهية، ومن ثم يصبح هو نفسه إلهاً أو شبيهاً بالإله.

ويمكننا القول بأن التصوف اليهودي بشكل عام من النمط الحلولي وأنه ذو اتجاه غنوصي قوي. فالمتصوف اليهودي لا يتجه نحو تطويع الذات الإنسانية الفردية وخدمة الإله، وإنما يحاول الوصول إلى فَهْم طبيعة الإله من خلال التأمل والمعرفة الإشراقية الكونية (الغنوص أو العرفان) بهدف التأثير في الإله والتحكم الإمبريالي في الواقع. ومن هنا، كان ارتباط التصوف اليهودي أو القبَّالاه بالسحر، ومن هنا أيضاً كانت علاقة السحر بالعلم والغنوصية.

وإذا كانت الديانات التوحيدية، وضمنها اليهودية، التي تدور حول إله مفارق يتجاوز الطبيعة والتاريخ ترى أن ثمة مساحة تفصل بين الخالق والمخلوق، وبين الإله والكون، فإن التراث القبَّالي ينزع بشكل واضح نحو تضييق المسافة بينهما، حتى تتلاشى تماماً في نهاية الأمر، ويحدث الحلول الإلهي في الإنسان "المتصوف"، حسب التصور القبَّالي، الذي ينظر إلى الإله من منظورين: باعتباره (أولاً) الإله الخفي والجوهر الذي لا يستطيع الإنسان إدراك ماهيته، وهذا هو إله الفلاسفة؛ الإله الواحد الذي لا يتجزأ، وهو في رأي القبَّالاه حالة ساكنة تفتقد إلى الحيوية، وهو الخالق في حالة انكماش قبل عملية الخلق، وهو العدم واللاوجود (فهو يشبه من كثير من الوجوه إله الغنوصية الخفي)، كما يُنظَر إليه باعتباره (ثانياً) الإله القريب الحي؛ القريب بسبب وجوده الذاتي وتعدديته، فهو بنية داخلية، مركبة وديناميكية، وهو عملية

عضوية تؤثر في العالم وتتأثر به، وهو تَجسُّد مادي (لوجوس) يحل في المادة (سواء كانت الشعب اليهودي أم الظواهر الطبيعية أم اسم الإله الأعظم من يكتشفه يتحكم في الكون بأسره). فبينما حاول الفلاسفة اليهود والحاخامات تفسير ما يرد في العهد القديم من خلع صفات بشرية على الإله وتجسيمه بأنها من قبيل المجاز، فإن القبَّاليين أخذوا ما جاء في سفر التكوين (٢٨/١) من أن الإله قد خلق الإنسان على صورته، وفسروه تفسيراً حرفياً ثم فرضوا عليه كثيراً من المعاني حتى توصلوا إلى فكرة "آدم قدمون"، أي الإنسان الأصلي، ومفادها أن جسم الإنسان يعكس في سماته بناء التجليات النورانية العشرة (سفيروت). وهذا مثل جيد للمنهج الذي يُفسِّر القبَّاليون به العهد القديم بطريقة ليست مجازية ولا حرفية، وإنما عن طريق فرض المعنى الذي يريده المفسر.

وقد أصبحت القبَّالاه في نهاية الأمر ضرباً من "الصوفية اليهودية الحلولية" ترمي إلى محاولة معرفة الإله بهدف التأثير في الذات العلية حتى تنفذ رغبات القبَّالي أو المتصوف حتى يتسنى لصاحب هذه المعرفة السيطرة على العالم والتحكم فيه. ولذا، فإن القبَّالاه تتبدى دائماً في شكل قبَّالاه عملية.

و"القبَّالاه"، بمعناها الحالي، ظهرت في فرنسا، وكان من أهم العارفين بها "أبراهام بن داود" وابنه "إسحق الأعمى" اللذان بدآ يتداولان كتاب "الباهير" (الذي ظهر أول ما ظهر في بروفانس بفرنسا في القرن الثاني عشر. وانتقل مركز القبَّالاه بعد ذلك إلى أسبانيا حيث نشأت حلقات متصوفة تحاول أن تتواصل مع الإله من خلال التأمل في التجليات النورانية العشرة (سفيروت). كما كان هؤلاء المتصوفون يهدفون إلى تجديد تقاليد النبوَّة، وإلى الكشف الإلهي من خلال الشطحات الصوفية، ومن خلال التأمل في حروف الكتاب المقدَّس وقيمها العددية وأسماء الإله المقدَّسة.

وقد وصلت الحركة القبَّالية إلى قمتها بظهور الزوهار الذي وضعه "موسى دي ليون" المتوفى عام ١٣٠٥، والذي تستند إليه الأنساق القبَّالية التي ظهرت بعد ذلك. وكانت

مدينة جيرونا في قطالونيا من أهم مراكز القبَّالاه في إسبانيا. وقد قام القبَّاليون بإنشاء مركز لهم في مدينة صفد في فلسطين عام ١٤٢١.

وكان شيوع القبَّالاه في هذه المرحلة تعبيراً عن رفض التراث التلمودي الذي وضعه الحاخامات وعلماء الدين الذين ارتبطوا بالطبقات الثرية وبيهود البلاط في إسبانيا. وقد شجع أعضاء هذه الفئات الفلسفة العقلانية واتبعوا في حياتهم العامة والخاصة سلوكاً يتفق مع هذه الفلسفة، ولا ينم عن كبير احترام لبعض العقائد اليهودية (من وجهة نظر العوام على الأقل). وقد ساهمت القبَّالاه في عزل أعضاء الجماعات اليهودية عن هذا التراث الفلسفي العقلاني الذي أشاعه "موسى بن ميمون" وغيره من الفلاسفة المتأثرين بكتابات الفلاسفة المسلمين العرب. وقد كانت كتب الفلسفة تُسمَّى "الكتب الشيطانية".

ومع حلول القرن التاسع عشر، ظهرت الحركة "الحسيدية" التي اكتسحت يهود شرق أوربا (وهي تَصدُر عن الإيمان بعقائد القبَّالاه على وجه العموم والقبَّالاه اللوريانية على وجه الخصوص)، وأكدت مفهوم التوحد مع الإله والالتصاق به (ديفيقوت). ولكن الحسيدية، شأنها شأن كثير من الحركات الصوفية، تحولت بالتدريج إلى بيروقراطية دينية، وتحوّل "الصدِّيق" إلى وسيط، وظهرت أُسَر الحسيديين الحاكمة التي توارث أعضاؤها القداسة. ولكن العامل الأساسي الذي قضى على القبَّالاه وعلى التصوف الحلولي اليهودي هو ظهور العالم الحديث وحركة التنوير.

التوظيف الصهيوني للتصوف اليهودي:

مثلما قام قادة الصهاينة بتوظيف مفاهيم الدين اليهودي لخدمة أغراض واستقطاب اليهود المتدينين في شتى أنحاء العالم مثال ما قاموا به من توظيف عقائد" العهد والخلاص والاختيار" التي تعد عقائد أساسية ومحورية في الديانة اليهودية لخدمة أغراضهم الصهيونية، قاموا أيضا بتوظيف التصوف اليهودي، حيث قدموا الصهيونية على أنها وريثة التراث القبَّالي في بنيتها، إذ يؤكد الصهاينة عملية خلاص الشعب اليهودي الذي يأخذ شكل عودة إلى صهيون دون انتظار الماشيَّح (أي شكل التعجيل

بالنهاية). الأمر الذي أوقعها في عداء مستمر مع الطوائف الصوفية في إسرائيل عقب إقامة الدولة عام ١٩٤٨، ولا سما "الحريديم" منهم.

وقد كان الحاخام الصهيوني (موشيه القلعي)" زعيم حركة الصهيونية الدينية: من المهتمين بالحسابات القبَّالية. كما تأثر كثير من المفكرين الصهاينة بالفكر القبَّالي، ومن أهمهم الحاخام "أبراهام كوك" الذي توصَّل إلى صيغة صهيونية ليست قومية دينية وحسب، وإنما صيغة صهيونية قومية عضوية حلولية لا تقنع فقط بالرؤية التقليدية التي ترى أن الإله قد يجعل اليهود محط عنايته الخاصة بل تؤكد كذلك أن الإله يحل فيهم كجماعة حتى يشكِّل هو والشعب والأرض ثالوثاً حلولياً صهيونياً.

كما قامت الصهيونية بتوظيف فكرة أن الصراع العربي – الإسرائيلي هو جزء من الميراث الديني العدائي لأن نسل "عيسو" أي الشعوب المجاورة للعبرانيين – أي العرب– يتربصون بنسل إسرائيل لإلحاق الأذى بهم، وهم قوى الشيطان التي لا ترض بوجود شعب إسرائيل الذي يمثل الحلول والقداسة، وهذه الفكرة وغيرها – لا شك– أنها نابعة من الأفكار الحلولية القبالية التي آمن بها زعماء الصهيونية والتي أدت إلى تبرير عزلتهم الكاملة عن باقي الشعوب وتركزهم داخل "جيتوهات" و "حارات" ومجتمعات إنعزالية بشكل عام.

التراث القبالي والوجدان الديني اليهودي:

ويمكن القول بأن القبَّالاه وتراثها وطريقتها في تفسير النصوص اليهودية المقدَّسة، وإيمانها بالحل السحري وبالخلاص القومي، أخذت تسيطر بالتدريج على الوجدان الديني اليهودي ابتداءً من القرن الرابع عشر، وهيمنت عليه تماماً مع نهاية القرن الثامن عشر، وذلك للأسباب التالية:

١ ــ كانت اليهودية، في الجزء الأول من تاريخها، ديانة تؤمن بالتوحيد في وسط وثني مشرك: آشوري أو مصري قديم أو يوناني أو روماني. وقد حاولت اليهودية آنذاك أن تُوسِّع الهوة بينها وبين أصحاب الديانات الوثنية الأولى بقدر المستطاع.

ولذا، فإننا نجدها ترفض تماماً الفكر الأسطوري وقصص الخلق المستفيضة الموجودة في ديانات الشرق الأدنى القديم، وذلك رغم تأثرها بهذه الديانات في كثير من الوجوه. ومع ظهور الديانتين التوحيديتين الأخريين (الإسلام والمسيحية)، وسيطرتهما على المحيط الحضاري الذي كانت تتحرك فيه اليهودية، وجدت اليهودية نفسها دون وظيفة خاصة أو هوية مستقلة. ورغم هذا، وربما بسببه، استمر الحاخامات في توسيع الهوة بين اليهود وأصحاب الديانات التوحيدية الأخرى، فتبنوا الأسطورة كوسيلة لاكتشاف الواقع وبدأوا من خلال التلمود، ثم من خلال التراث القبَّالي، في نسج الأساطير.

٢ ــ لم تكن هناك مؤسسات دينية يهودية شاملة تضم كل يهود العالم، كما لم يكن هناك جهاز تنفيذي يضمن شيوع أفكار هذه المؤسسات ويقضي على النزعات الحلولية الوثنية الشعبية ويكبح جماح الهرطقة. وهذا ما سمح للقبَّالاه، بكل ما تشتمل عليه من هرطقات غنوصية، أن تنمو بهذا الشكل المتضخم.

٣ ــ أن تركيب اليهودية الجيولوجي جعل من اليسير على أي مفكر ديني، مهما كانت درجة تطرفه، أن يجد سنداً وسوابق لآرائه. وقد فتحت فكرة الشريعة الشفوية باب التفسير والتأويل على مصراعيه بحيث أصبح في مقدور كل يهودي أن يفرض رؤيته.

٤ــ أن اضطلاع الجماعات اليهودية بدور الجماعات الوظيفية عَمَّق الاتجاهات الصوفية. فالجماعات الوظيفية تعيش خارج العملية الإنتاجية في المجتمع. ولكنها، لأنها ليست منه، نمت لديها عقلية مجردة لا علاقة لها بما هو متعيِّن. كما أن اضطلاع اليهود بدور "التاجر" ساعد في تعميق هذه الاتجاهات، والتجارة الدولية تُحطم فكرة الحدود وتُشجِّع النزعات الصوفية

٥ ــ أن القبَّالاه هي أيضاً رد فعل أعضاء الجماعات اليهودية في العالم الغربي إزاء تدهور وضعهم وفقدانهم دورهم كجماعات وظيفية. فكلما ازدادوا بُعْداً عن مركز السلطة وصنع القرار، وكلما ازدادوا هامشية وطفيلية ازدادوا التصاقاً بالقبَّالاه التي

كانت تعطيهم دوراً مركزياً في الدراما الكونية، وتجعل الذات الإلهية مرتبطـــة بهـــم ومعتمدة عليهم. والقبَّالاه، بذلك، هي تعبير عن حالة مرضية، ولكنها في الوقت نفســـه استجابة لهـــذه الحـــالة أخذت شـــكل الانسحاب من العالم إلى داخل القوقعة.

٦ ــ انتشار اليهود السفارد الذين طردوا من أسبانيا في جميع أنحاء العالم، ونشـــرهم تعاليم القبَّالاه في مختلف أنحاء العالم.

٧ ــ انتقال مركز اليهودية، بعد طرد اليهود من إسبانيا، إلى العالم المسيحي. ومـــع القرن السادس عشر، استقر أغلبية اليهود فيه. كما أن السفاراد أنفسهم كانوا يعيشون، قبل طردهم، في بيئة كاثوليكية ثرية وتشربوا كثيراً من أفكارها. وثمة نظرية تـــذهب إلى أن اليهودية التي انتشرت في شبه جزيرة أيبريا كانت ذات طابع شعبي صـــوفي حلولي لا يُفرِّق بين الأنساق الدينية المختلفة كما هي عادة الديانات الشعبية. وقـــد أدَّى هذا إلى تسرُّب أفكار مسيحية كثيرة إلى الفكر الديني اليهودي.

٨ ــ تزامن انتشار القبَّالاه مع ظهور المطبعة العبرية في القرن الســـادس عشـــر، فطُبعت من الزوهار طبعتان كاملتان بين عامي ١٥٥٨ و١٥٦٠، في كريمونا ومانتوا في إيطاليا، ثم تبعتهما طبعات أخرى في أزمير وسالونيكا وألمانيا وبولندا. وقـــد أدَّى كل ذلك إلى انتشار القبَّالاه على نطاق واسع يفوق انتشار التلمود. ومع حلول القـــرن السادس عشر، احتلت كتب القبَّالاه مكان الصدارة بين كل الكتب الدينية.

وربما يكون هناك سبب آخر له المزيد من الأهمية وهو تعايش اليهود لفتـــرة طويلـــة من الزمن داخل بيئة إسلامية مزدهرة بالفكر والعلوم وخاصة في الأندلس قبل انحسار التواجد الإسلامي فيها، الأمر الذي جعلهم أقرب ما يكون للفكر التصوفي الإســـلامي الذي أخذ في الازدهار أثناء تواجد اليهود في الأندلس خاصة أنهم وضـــعوا لأنفســـهم هدفا يتمثل في منافسة المسلمين في شتى المجالات العلمية والأدبية والفكرية من أجل نيل مكانة رفيعة داخل البلاد، فعلى سبيل المثال نجد أنه خلال تلك الفترة تـــأثر الأدب العبري بشكل كبير بالأدب العربي، كما تأثرت الديانة اليهودية سواء على المســـتوى

العقدي أو التشريعي بالإسلام، الأمر الذي يجعل من فكرة التأثير الصوفي الإسلامي على "القابالاة" اليهودية أمرا واقعيا وموضوعيا، وهذا ما يبرز في تأثر كبار رجال المتصوفة اليهود بـ"محي الدين بن عربي"، وبنظرية "وحدة الوجود التي شاعت بين عدد كبير من متصوفة وفلاسفة الإسلام أمثال "أبو يزيد البسطامي" و"الحلاج"، وقد ظهر هذا التأثير بشكل جلي في ترجمة العديد من كتب التصوف الإسلامي إلى العبرية على أيدي "القباليين" للاستفادة منها ونشرها بين أتباعهم، كما قاموا بتوظيفها من خلال مفاهيم ومصطلحات اعتمد عليها النص القبالي في كتابهم "الزوهار". وفي هذا الصدد أيضا لا يمكن إغفال ذلك الحدث الأكبر الذي تسبب في تفجير أزمة داخل جماعة "الدونمة" المتصوفة اليهودية كان اعتناق "زعيمهم "شبتاي" الإسلام، حيث نتج عن ذلك ردود فعل قوية ومختلفة داخل صفوف جماعته، فمنهم من اتخذ موقف المعارضة، ومنهم من قبله من باب التقية، ومنهم من آمن به كمرحلة مؤقتة، فكان إسلامهم بشكل عام شكليا، جاء لخدمة أغراض وأهداف معينة في تلك الفترة.

وفي النهاية تجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من معارضة الحاخامية اليهودية لفكر القبالاة، إلا أن هناك الكثير من اليهود يقومون بحملات إعلامية على مستوى العالم للترويج لهذا الفكر، مثال ذلك ما قام به الحاخام اليهودي "ميخائل لايثمان" الذي حاول التأثير على المجتمع الروسي من خلال الترويج لفكر القبالاة. من خلال برنامج تلفزيوني، حيث صورها على أنها منهج علمي للتحليق إلى الشمولية في الجوهر الإنساني.

ثالثًا :"الحريديم"، المفهوم والعلاقة بالمجتمع الإسرائيلي

تعد كلمة "**حريدي**" مصطلح عبري يعبر عن "الخوف والاهتزاز" ومنها جاءت الحريديم، أي الذين يخشون الله. ومذهب الحريديم يتخذ في واقع الأمر نهجا معاديا أو مناقضا للحركة الصهيونية وكذلك تجاه الدولة اليهودية" إسرائيل" لذا فإن هذا المذهب لا يساند بالطبع سياسة التوسع الاستعماري التي يتم الدفاع عنها داخل إسرائيل.

ويلاحظ أن هناك خلط بين استخدام لفظي "الحريديم" و"الحسيديم" في وسائل الإعلام الإسرائيلية، أو حتى داخل الأوساط العلمية والثقافية سواء الإسرائيلية أو غيرها، وربما يعود ذلك إلى الخلط بين مفاهيم أو مصطلحات التصوف والتشدد والأصولية اليهودية داخل المجتمع الإسرائيلي، وذلك على الرغم من وجود بعض الاختلافات بين الطائفتين سواء التاريخية أو الدينية أو الفولكلورية، إلا أنهما في نهاية الأمر يمثلان أهم طوائف مجتمع المتصوفة اليهود.

وبالنسبة لمفهوم الحريدية ومعتقداتها ففي بعض الأحيان يتم وصفها على أنها أصولية تلمودية بمعنى أن تبجيلهم للتلمود يوازي نفس تبجيل المسيحيين الأصوليين الديني للإنجيل، بل إن التزام أو احترام الحريديين الديني تخطى إلى ما بعد التلمود ليشمل الأدب الصوفي الذي تلاه وخاصة مؤلفات الفيلسوف "موسى بن ميمون" والصوفي اليهودي الذي ظهر في القرن السادس عشر "إيزاك لوبا".

وبالنسبة لعقيدة "المسيح المخلص" عند اليهود بشكل عام وعند الحريديم بشكل خاص فإن لها حساسية كبيرة بالنسبة لهم، خاصة عندما يتم الحديث عن "المسيح الزائف" فكل خطبة أو موعظة في الدوائر الحريدية تنتهي بصيغة تقليدية وهي: "عسى أن يساعد المقدس المبارك في مجيء المخلص الحقيق بسرعة " ويرد الحاضرين "آمين"، فهناك ما يمكن أن نسميه بـ"الاعتقاد الكلاسيكي اليهودي" في قدوم المسيح وربما يكون قبول استيطانهم في دولة إسرائيل على الرغم من عدم اعترافهم بها من الناحية الشرعية اليهودية هو اعتقادهم في أن "إسرائيل" هي "المبشر" أو "المُعجّل" الحقيقي لقدوم المسيح.

وعلى الرغم من وجود صراع فكري حاد بين الحريديم كمتصوفيين أو أصوليين وبين العلمانيين داخل إسرائيل، إلا أن تزايد أعداد الشباب الذين يعرفون باسم "البعليين" أو "التائبين" في صفوف الحريديم من الممكن أن يؤدي إلى تخفيف حدة الصراع بين الحريديم والثقافة العلمانية في إسرائيل أو على الأقل تقديم شكل من أشكال التكامل

بين عالم "اليشيفا" (المدارس الدينية) وعالم الدراسات الأكاديمية العلمانيـــة، حيـــث أن معظم البعليين دخلوا إلى الحريدية أثناء أو فور انتهائهم من دراستهم الجامعية، وكان شرط الحريديم الوحيد لقبلوهم هو هجر أفكارهم ومعتقـــداتهم وثقـــافتهم الســـابقة وأن يبحثوا عن توليف أو توفيق بين تعاليم التوراة والعلمانيـــة، الأمـــر الـــذي أدى إلـــى استيعاب هؤلاء "البعليين" بشكل كبير داخل النسق والمجتمع الحريديين.

الأوضاع السياسة والاقتصادية للحريديم في إسرائيل:

على الرغم من أن أبرز ما يمبز النهج التصوفي بشكل عام هو العزوف عن شـــؤون الدنيا والانقطاع للعبادة والفكر، إلا أن الحريديم بل والمتدينين في إسرائيل بشكل عام يتمتعون بقوة سياسية مؤثرة وفعالة فهناك عدد من الأحزاب الحريدية ومـــن أبرزهـــا حزب "ديجيل هاتوراة" الذي يمثل اليهود الأرثوذكس في إسرائيل، إضافة إلى حـــزب "أجودات يسرائيل"، كما أنه في عام ١٩٩٠ فازت الأحزاب الحريدية بنسبة ١١% من مجموع الأصوات في إحدى الانتخابات، الأمر الذي أدى إلى تضاعف نسبة ممثلـــي أحزابهم وكنتيجة لذلك وعلى الفور تسببوا في إحداث صراع حاد في إسرائيل وفـــي معظم مناطق الأقليات اليهودية، حيث طالبوا بتغيير "قانون العودة" الذي يحـــدد مـــن يمكن اعتباره يهوديا، ويستحق الهجرة لإسرائيل، وفي عام ١٩٩٢ فاز الحريديم بنسبة ١٠% من مجموع الأصوات في الانتخابات وذلك على الرغم من هجـــرة ٤٠٠٠٠٠ يهودي سوفييت إلى إسرائيل عام ١٩٨٩، وتجدر الإشارة إلى أن المظهر الانتخـــابي للحريديم يحرص على تقديم صورة حسنة لأعضائه حتى أن بعض الإسرائيليين مـــن غير المنتمين للأحزاب الحريدية ومنهم الآلاف من عرب إسرائيل صـــوتوا لصـــالح الأحزاب الإسرائيلية.

وربما يعود تزايد النفوذ السياسي الحريدي داخل المجتمع السياسي الإســـرائيلي إلـــى تزايد قوة المذهب الحريدي بشكل عام في شتى أنحاء العالم، حيث نجده أصبح واثقـــا بنفسه من أي وقت مضى نظرا لانتشاره بشكل واسع في شتى البلدان الغربية، كـــذلك

إيمان الحريديم القوي بحقهم الإلهي بأن يظفروا بمراكز مؤثرة داخل الإطار اليهودي العام، فقد قام زعماء الحريدية بغرس اعتقاد راسخ في نفوس أتباعهم وهو ضـــرورة مجابهة الأفكار التي دوما ما تصبح ضـــئيلة وضـــعيفة التـــأثير مثـــل "الصـــهيونية" و"الشيوعية" وما إلى غيرها من الأيديلوجيات العلمانية التي تبتعد عن الدين، وهنـــاك سبب آخر لا يمكن إغفاله وهو دخولهم في صراع حاد وشرس مع الصهيونية ســـواء على مستوى الفكر أو الممارسة الأمر الذي دفعهم إلى الدخول في المعترك السياســـي لكي يتمكنوا في منافسة التيار الصهيوني السياسي العلماني بتيار أصولي ديني مضاد يتمتع بقوة سياسية مؤثرة. ففي حادثة اعتبرت كإحدى المفارقات فـــي العلاقـــة بـــين الصهيونية والحريدية، قرر الحاخام "شاح" في شهر مارس عام ١٩٩٠ مساندة حزب "الليكود"، الأمر الذي مثل تحوله من الحمائم إلى الصقور بشكل واضح، إلا أن ذلك تم تفسيره من قبل الأوساط الحريدية على أنه مجرد حيلة أخرى ضـــمن قصـــة طويلـــة وقديمة تمتد عبر أكثر من قرن مليء بالتضارب والعداء بين الحريدية والصـــهيونية، فنظرا لمركزية وجود دولة إسرائيل في الحياة اليهودية اليوم فإن هذا التنـــاقض هـــو الوسيلة المكروهة التي يستخدمها الحريديم لبلوغ أهدافهم، لذلك فإن هناك هوة عقائدية بين الحريديم وبقية أطياف المجتمع الإسرائيلي فهم يعشون بين عالمين: عالم الدولـــة اليهودية، وعالم المنفى وسط اليهود.

وبالنسبة للأوضاع الاقتصادية للحريديم فمن المعروف أنها متردية، حيث أنهم يـــأتون في الموقع الأكثر تدنيا من طبقات المجتمع الإسرائيلي من حيـــث مســـتوى المعيشـــة ومستوى دخل الفرد، فعلى سبيل المثال في عـــام ١٩٩٠ نشـــرت مؤسســـة التـــأمين الوطني الإسرائيلية تقريرا أكدت فيه أن ١٠% من السكان يعيشون تحت خط الفقـــر، وفي أعقاب ذلك نشرت صحيفة "هامهان" الحريدية مقالا لرئيس التحرير تحت عنوان: "إنهم يقصدوننا" يؤكد فيه أن عدد كبير من عائلات الفقراء فـــي إســـرائيل تنتمـــي للمجتمع الحريدي تعيش تحت خط الفقر أو وفق خط الفقر بقليل، وربما يعـــود ذلـــك أيضا إلى أن ثقافة الحريدي تلزم عليه الانقطاع لدراسة التوراة الأمر الذي يحد مـــن

مصادر دخله في نفس الوقت الذي تتراجع فيه الدولة عن تقديم الدعم المالي للمجتمع الحريدي الذي أصبح ينظر إليه في الآونة الأخيرة على أنه مجتمع طفيلـي يمـتص المارد الاقتصادية في البلاد، الأمر الذي كان بمثابة الدافع الرئيسي وراء التفكير فـي إنشاء كتيبة عسكرية دينية داخل الجيش الإسرائيلي لاستيعاب شباب الحريديم أو على الأقل إعادة تأهيلهم من جديد لمواجهة الحياة العملية الاقتصادية إسرائيل بعيـدا عـن الانقطاع للدراسة التوراتية.

العلاقة بين الحريديم و"الصهيونية"(مفارقات ومعضلات):

نظرا لأن قيام دولة إسرائيل بفضل الحركة الصهيونية مثل انتهاكا لإرادة الرب فـي نظر الحريديم وتعجيلا بقدوم المسـيح المخلـص، فـإن الصـراع بـين الحريديـة والصهيونية من أبرز الصراعات التي تتسم بها الحياة السياسية والاجتماعيـة داخـل إسرائيل، حيث يلقي الحريديم بثلاثة اتهامات رئيسية على الحركة الصهيونية، وهي:

١- اتهامات فلسفية عقلية، تتمحور حول انحراف فكر الصهيونية عن الفكر الـديني اليهودي الرشيد.

٢- اتهام تاريخي بأن الصهيونية تعجل بالنهاية وأن الـرب سـينتقم انتقامـا للأمـة اليهودية كلها.

٣- اتهامات شخصية من جانب حاخامات الحريديم لقادة الصهيونية.

وفي إطار العداء بين الحريـديم والدولـة الصـهيونية، تبـرز بعـض المفارقـات والمعضلات لعل من أبرزها إعلان فرقة من "الحريديم" تسمى بـ" ناطوري كارنا" أو "حراس المدينة" في القدس عن معاداة الصهيونية، كما حاولت خـلال حـرب ١٩٤٨ رفع الراية البيضاء والاستسلام للقوات الأردنية، إضافة إلى أنه حينما قامت الولايات المتحدة وحلفائها بإرسال قوات إلى منطقة الخليج بعد الغزو العراقي للكويت ألقت هذه الطائفة بنفسها خلف "صدام حسين" ففي خطاب أرسله الحاخام "موشيه هاريتش" إلـى وفود الدول الأعضاء بالأمم المتحدة، قال فيه :" لا، إن الرب يريد أن يطرد الصهاينة

من الأرض المحتلة ليخفف من غضبه على الأمة اليهودية ولكن الأمريكيين يريـــدون التشبث بالإبقاء عليهم في تلك الأرض لذلك فإن الرب اختار صدام حســين للانتقـــام منهم وهذا في صالح الأمة اليهودية والعالم أجمع".

أدب الحريديم:

هناك أدب خاص بالحريديم يعرف باسم "أدب المعجزة"، ويعود ذلك الأدب إلـــى مـــا يعرف باسم "انتفاضات الجيتو" في وارسو وبايليتوك، وعدد من المدن الأخرى التـــي انتهت في معظم الأحيان بالقمع الشديد من قبل السلطات المحلية، ويحكي هـــذا الأدب قصص هروب حاخامات وطلاب اليشيفا الحريدية (المدارس الدينية اليهودية) من هذه المذابح، وقد سُجل هذا الأدب في لغة تفيض بالشكر والامتنـــان والعرفـــان بالعنايـــة الإلهية التي تدخلت في إنقاذ هؤلاء الأشخاص الأتقياء وسجلت كل طائفة حســيدية أو حريدية تمكنت من الهرب مجموعة من الوقائع والأحداث غالبا ما عنونت بـــ "معجزة خلاص الـــ........." وهذه النصوص الأدبية التي تمت معالجتهـــا فـــي إســـرائيل لاحقا، تجاهلت أي إشارة لأي شخص من غير الحريديم وخاصة من قادة الصهيونية، ومن خلال هذا الأدب يرى الحريديم أن الجري وراء المادية والمدنيـــة كانـــت هـــي الخطيئة الكبرى في حياة اليهود، وأن المذابح كانت هي العقاب الإلهي لهـــم، وهـــذا المفهوم في حد ذاته لا يعد غريبا أو "دخيلا" على الفكر الديني اليهودي بشـــكل عـــام و"الأصولي" منه بشكل خاص فمن المعروف أن أسفار العهد القديم قـــدمت مفهومـــا للعقاب الإلهي مفاده أن السبي أو الشتات أو التيه وما إلى غيره هو أداة إلهية لمعاقبة بني إسرائيل بسبب خطاياهم، وأن الرب يستخدم أعداء اليهود كأداة لعقـــابهم، ومثـــال ذلك ما ورد في سفر التثنية ١٥/٢٨ "ولكن أن لم تسمع لصوت الرب إليك لتحـــرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم وتـــأتي عليـــك جميـــع اللعنات وتدركك"، وقد انتقل ذلك إلى التراث الديني اليهودي اللاحق لأســـفار العهـــد القديم المتمثل في التلمود، حيث يرد في كتاب "صلوات الأعياد" لقد طردنا من أرضنا

عندما حدثت المصيبة وعلى الشخص التلمودي أن يبحث عن حسناته ومآثره عنـدما يتعرض الشعب المختار لكارثة وعلى الحاخامات أن يأمروا بأيام الغفران والتوبة".

المجتمع الحريدي في إسرائيل وخارجها:

من المعروف أن المجتمع الحريدي سواء داخل إسرائيل أو خارجها يحاول عزل نفسه عن جميع نواحي الحياة المادية أو العلمانية فعلى سبيل المثال يتخذ حاخامات الحريديم موقفا متشددا تجاه الرياضة والفنون وما إلى غير ذلك، كما أنه يتم الفصل بين الرجال والنساء في الشواطئ والمتنزهات والمنتجعات الترفيهية وحمامات السباحة الخاصة بهم.

وبالنسبة لمكانة المرأة في المجتمع الحريدي، فهي "غير جيدة"، حيث يُفرض على المرأة الكثير من القيود التي تحد من حركتها وانخراطها في المجتمع بشكل يمكن لها أن تؤثر فيه وتصبح عنصر فاعلا به، الأمر الذي يضيق من الخناق عليها خاصة في ظل الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع الحريدي بشكل عام، إضافة إلى الأوضاع الأسرية المتردية التي تبدو واضحة في ارتفاع معدلات حالات الطلاق داخل المجتمع الحريدي، والتي تعود في معظمها لأسباب متعلقة بالنساء.

التعريف بمعهد "فلورسهاييمر" للدراسات السياسية

تزايدت في إسرائيل بالسنوات الأخيرة أهمية البحوث التي تتعرض لمشاكل سياسية، لذلك فقد بادر الدكتور "ستيفان .هــ فلورسهاييمر" بإنشاء معهد يركز جهوده البحثية على المشاكل السياسية بعيدة المدى، والهدف الأساسي للمركز هو البحث في المشكلات السياسية الأساسية التي من شأنها أن تشغل القائمين على رسم السياسات المستقبلية، وتحليل التوجهات والآثار بعيدة المدى لهذه المشكلات، وتقديم مقترحات سياسية واستراتيجية بديلة لأصحاب القرار السياسي، أما عن مجالات البحث في المعهد فهي كالتالي: العلاقات الدينية، المجتمع والدولة في إسرائيل، العرب واليهود في إسرائيل، إسرائيل وجيرانها من الدول العربية، المجتمع الإسرائيلي، السلطة في إسرائيل.

أما أعضاء اللجنة الإدارية في المعهد فهم: الدكتور "ستيفان .هــ فلورسهاييمر" (رئيسًا)، المحامي "ي. عميهود بن بورت" (نائب الرئيس)، السيد "دافيد برودت" مدير عام وزاروة المالية الأسبق، السيد "هيرش جودمان"، باحث زميل بمركز "يافا" للدراسات الاستراتيجية بجامعة تل أبيب، أما رئيس المعهد فهو البروفيسور "عميرام جونان" الأستاذ بقسم الجغرافيا بالجامعة العبرية بالقدس، ونائب رئيس المعهد هو البروفيسور "سلامة حسون" الأستاذ بقسم الجغرافيا بالجامعة العبرية بالقدس أيضا.

<u>التعريف بالمؤلفين</u>

١- **العقيد احتياط الدكتور"زائيــف دروري"**: هو رئيس وحدة الدراســات العســكرية والأمنية بجامعة "بن جوريون" بالنقب، خدم في سلاح المظلات بجيش الدفاع منذ عام ١٩٦٤، كما اشترك في حرب "الأيام الستة" ١٩٦٧ كضــابط وكنائــب قائــد وحــدة عسكرية مقاتلة، بالإضافة إلى اشتراكه في معركة "المزرعة الصينية" أثناء حرب يوم الغفران ١٩٧٣، حيث كان قائدا لسرية "شاكيد" ووحدة "جفعاتي"، ومــا بــين أعــوام ١٩٩٨ و٢٠٠١ كان رئيسًا لــ"جالي تساهال" (إذاعة الجيش الإسرائيلي).

٢- **البروفيسور "عميرام جونان"**: هو الرئيس الحالي لمعهد "فلورسهاييمر" للدراسات السياسية، كما أنه أستاذ الدراسات الجغرافية في الجامعة العبرية بالقدس.

الجزء الأول

بين العقيدة والجيش: كتائب "الناحال" الحريدية، الفرص والمخاطر

*** عن البحث:**

بدأت – في الآونة الأخيرة – كتائب الناحال الحريدية تخدم في إطار جيش الدفاع الإسرائيلي، والذي استوعب في داخله مجندين من أوساط السكان الحريديم، وبمرور السنوات أصبح الجيش مفتوحا أمام أبناء المستوطنات العادية والأخرى الحريدية، والكاتب يفحص – من خلال هذا الكتاب – منظومة العلاقات التي تطورت داخل الكتائب الحريدية نفسها من جانب وبين المؤسسة الحريدية والمؤسسة العسكرية من جانب آخر، كما يطالب بتقدير الفرص الإيجابية المختلفة الكامنة في هذه الكتائب من خلال تقريبها بين كتلة سكانية ذات صفة عقائدية وبين جيش الدفاع، وكذلك المخاطر المترتبة على إنشاء وحدة عسكرية مستقلة ذات طابع طائفي، الأمر الذي يتناقض مع الأسس التي قام عليها جيش الدفاع.

مقدمة:

في يوم ٢٥ يناير ١٩٩٩ تجند ٣١ شابًا حريديًا في السرية الأولى بكتائب الناحال الحريدية بالجيش، والمعروفة اختصارا باسم "نتساح يهودا" أي "الشباب الصهيوني الحريدي"، وكانت هذه بمثابة بداية تطوير منظومة من العلاقات بين المجتمع الحريدي وجيش الدفاع الإسرائيلي، إلا أن هناك مصالح ودوافع مختلفة وربما مستترة هي التي دفعت أصحاب هذه الفكرة الفريدة من نوعها إلى تنفيذها.

وبعد سبع سنوات من إنشاء كتائب الناحال الحريدية طرحت الكثير من التسؤلات التي، لكن أهمها هو: هل نجاح إنشاء كتيبة الشباب الطليعي المحارب "الناحال" الحريدية تعد بمثابة دلالة على حدوث تغيير في المجتمع الحريدي وعلاقته بالجيش؟ وبالنسبة لمنظومة العلاقات التي تطورت على مر السنوات بين الكتائب الحريدية وبين المجتمع الحريدي من جانب، وبينها وبين المؤسسة العسكرية من جانب آخر، فإنها توقفنا على شكل العلاقات القائمة وإمكانية نجاحها في المستقبل، وفي الحقيقة، فإنه من الصعب حتى الآن تقدير النتائج التي سيترتيب عليها إنشاء كتيبة حريدية، وكذلك المخاطر المنطوية على إنشاء وحدة طائفية ومغلقة على نفسها، كما أنه توجد

الكثير من الاحتمالات المرتبطة بعلاقة المجتمع الحريدي بالمؤسسة العسكرية، فربما تكون هناك رغبة في تطوير تفاهم مشترك بين جهتين مهمتين مثل المجتمع الحريدي والجيش، وذلك عن طريق تجنيد الحريديم بالجيش بشكل تدريجي بمرور السنوات.
وبالنسبة لأهداف البحث الموضوعة، فهي:

- بحث أهداف ومصالح العناصر والجهات التي بادرت بإنشاء هذه الكتيبة.
- التغييرات المختلفة التي صاحبت إنشاء الكتيبة وتأثيرها على طابعها ومدى إندماجها في جيش الدفاع الإسرائيلي.
- فرص ومخاطر إنشاء كتيبة "نتساح يهودا" أي "الشباب الصهيوني الحريدي"، على المجتمع الإسرائيلي والجيش.

ويعد موضوع كتيبة "نتساح يهودا" محك أو مقياس حقيقي لفحص العلاقة بين الجيش والدين داخل جيش الدفاع الإسرائيلي، فهذا الكتاب يتعرض لمشكلة الصلاحيات السلطوية التي يتمتع بها الجيش في مواجهة التأثيرات الروحانية والطائفية والسياسية، التي تسللت إلى المؤسسة العسكرية، وهذه المشكلة تقف في مواجهة حقيقية مع مفهوم التلاحم والتكامل الذي قام عليه جيش الدفاع منذ بدايته، فعلى الرغم من كون المجتمع الإسرائيلي مجتمع متعدد الثقافات، إلا أنه منذ بداية النقاشات حول إقامة كتائب الناحال الحريدية عبرت بعض سلطات الجيش – أكثر من مرة – عن مخاوفها وتحفظاتها من إقامة وحدة عسكرية حريدية منفصلة تتناقض مع هيكلية التنظيم العسكري.
و قد هناك تساؤلاً مهمًا صاحب إنشاء هذه الكتائب منذ البداية، وهو: هل هذه الكتيبة ستركز فقط على تجنيد الشباب الحريدي الذي أنهى تعليمه في المدارس الدينية "اليشيفا"، أم ستبنى على أساس عسكري – ديني – حريدي يمكن من خلاله تجنيد شباب من قطاعات الجماهير الدينية بشكل عام في البلاد؟
وتجدر الإشارة إلى أن إنشاء كتائب حريدية مقاتلة سيستلزم في نهاية الأمر تجنيد ٣ سريات تحتوي كل منها على ١٢٠ مقاتل يجندون سنويا، إلا أن هذا ، كما هو معروف، يعد عبئا ثقيلا على الجيش، الأمر الذي أثار الشكوك حول فاعلية هذه

الكتائب، وتزايدت المطالب بإدخال تغييرات على عملية إنشاءها، وهـذه التغييـرات مثلما سيتضح لاحقا ألقت بمزيد من الشكوك على توجهات "الآباء المؤسسين للجـيش" الذين طالبوا بتجنيد شباب من الطائفة الحريدية.

وبالنسبة لفهم التغييرات داخل المجتمع الحريدي فقد ساهم كلا من الباحثين "عميـرام جونان" عام ٢٠٠٠ و"يعقوب لوفو" عام ٢٠٠٣ بدراساتهم حول التغيرات التي طرأت على علاقة المجتمع الحريدي بتعلم الحرف الصناعية المختلفة والعلـوم الأكاديميـة، وبالنسبة لبحث "عميرام جونان" فإنه تعرض لموضوع دخول أبناء المدارس الدينيـة اليهودية في منطقة "نيويورك" إلى مجال العمل، الأمر الذي يدل على وجـود تحـول داخل المجتمع الحريدى للتوجه نحو تعلم الحـرف الصـناعية والعلـوم الأكاديميـة والدخول في الحياة العملية التي تتلاءم مع روح الثقافة الحريدية، وهذ الأبحاث أثارت تغييرات على الساحة الحريدية، وأكدت للقطاعات السكانية الحريدية أن هناك أكثر من ثغرة قد فتحت فيما يتعلق بعلاقتهم بالمجتمع الإسرائيلي وبالخدمة العسـكرية بجـيش الدفاع بشكل عام، وعلى الرغم من ذلك فإنه حتى الآن تم إعداد عدد قليل من الأبحاث حول علاقة القطاعات السكانية الحريدية بالجيش.

وقد أعد الباحث "يحزقائيل كوهين" منذ عشرة أعوام أو أكثـر بحثـا تحـت عنـوان "التجنيد كشريعة" ناقش فيه وجهات النظر التشريعية والجماهيرية والسياسـية حـول إعفاء أبناء المدارس الدينية "اليشيفوت" من الخدمة العسكرية، ولـيس فـي الخدمـة العسكرية ذاتها.

وقد ساعدتني مساهمة "كوهين" لفهم علاقة المجتمع الحريـدي بالصـهيونية ودولـة إسرائيل وجيش الدفاع، في عمل بحث عن "الظاهرة الفريدة من نوعها لكتائب (نتساح يهودا) الحريدية: ومشكلتها الأيديولوجية المخالفة للصهيونية والمتمثلة بالأساس فـي رفض الخدمة العسكرية، وفي بحث "كوهين" توقفت أمام ظواهر ومواقف مهمة تتعلق بعلاقة الشباب الحريدي بالصهيونية ودولة إسرائيل، وذلك مثلما سيتضح لاحقـا فـي هذا الكتاب.

ومن بين المشتغلين بنقاط الالتقاء بين الديانة اليهودية والحريديم والخدمة العسكرية، تجدر الإشارة إلى البحث المهم الذي أعده الباحث "ستيوارت أ. كوهين" عام ١٩٩٧، قبل إنشاء الكتائب الحريدية، والذي يفحص مواقف اليهود الأورثوذوكس والحريديم تجاه التجند الإجباري في الجيش بشكل عام، ولكنها تركز بشكل خاص على أبناء "اليشيفوت" (المدارس الدينية) العادية واليشيفوت الحريدية – القومية، التي أرسلت تلاميذها للخدمة في الجيش، أما الباحث "يوحائي حقق" فقد أعد بحثا عام ٢٠٠٣ قام فيه بفحص قطاعات من الشباب الحريدي الذين يمرون بفترة التدريبات الأولية القصيرة بالجيش، والتي يعملون بعدها كمدرسين يرتدون ملابس مدنية بالمؤسسات التعليمية الحريدية، وقد تعرض "حقق" لنقاط الإلتقاء بين المجندين الحريديم الجدد والمؤسسة العسكرية التي تحاول تحويلهم إلى جنود والتي هي نقاط إلتقاء قليلة للغاية، حيث إنهم في نهاية فترة التدريبات التي تستمر لمدة أسبوعين يتركون الجيش وينتقلون إلى الحياة المدنية العامة.

ومن المهم أيضا الإشارة إلى بحوث "نوريت ستديلر" و" إيال بن آري" حول مواقف الحريديم من التجند بالجيش، والتي صاحبت الخطوات الأولى لمشروع كتائب الناحال الحريدية، وكذلك بحث "مردخاي فريدمان" عام ٢٠٠٥ عن الكتائب الدينية بمنظمتي "هجاناه" و"البلماح"، الذي يؤكد فيه أن إنشاء هذه الكتائب جاء بناء على مطالب رجال الدين بذلك، وليس رغبة في الابتعاد عن المدارس الدينية "اليشوف"، وأن الشباب الديني وضع في مأزق نتيجة الصدام بين القيم الأساسية في حياته وهي الإيمان بالتقاليد والتراث وبين المشاركة الكاملة في الأنشطة الأمنية الوطنية، وأن زعماء الصهيونية الدينية وصلوا لاستنتاج مفاده أن هناك ضرورة لإقامة كتيبة منفصلة للمجندين المتدينين، وبقيادة قادة دينيين، وتجدر الإشارة إلى أن بحث "فريدمان" يتعرض للفترة السابقة على إقامة الدولة، وموضوعه ليس الشباب الحريدي (الذي ينتمي للجمهور الذي عارض إقامة دولة صهيونية منذ أيامها الأولى)، ولكنه يتعرض لبدايات مشكلة التعايش بين العقيدة الدينية والمؤسسة العسكرية في إسرائيل.

الفصل الأول: علاقة الدين بالجيش في إسرائيل

إن تاريخ الخلاف حول شكل جيش الدفاع منذ السنوات الأولى من قيام الدولة أمر مهم وحيوي لفهم الأساس الرسمي الذي أقيم عليه جيش عسكري غير سياسي في إسرائيل، والذي تم تشكيله وسط خلافات الأحزاب اليمينية واليسارية وعناصر دينية أخرى، حيث طالب كلا منهم بتشكيل جيش شاب يتوافق مع وجهات نظره وتقديراته، فخلال فترة "حرب الإستقلال" ١٩٤٨ وقبيل قيام دولة إسرائيل، طرحت مسألة تجنيد تلاميذ شباب "اليشيفوت" في جيش للدفاع عن المستوطنات في وجه عرب إسرائيل، والمعضلة التي واجهت "بن جوريون" وغيره من القادة العسكريين آنذاك هي أن مطالب تجنيد كل شباب المستوطنات في الجيش يخالف مطالب الحاخامات بتمكين الشباب من الاستمرار في تعلم التوراة للحفاظ على الجمرة اليهودية التي انطفأت جذوتها أثناء الحرب في أوروبا بعد ثلاث سنوات من "النكبة" (أحداث الهولوكوست) وخراب عالم "اليشيفوت"، لذلك فقد كان هذا مبررا كافيا لـ"بن حوريون" لإصدار نظام "توراته هي حرفته" (وهي صفة أطلقت على التعدل القانوني الذي بموجبه يتم تأجيل تجنيد الشاب الذي يعلن أن توراته هي حرفته لحين الانتهاء من دراسته، وأنه لايعمل اي عمل آخر أو حرفة أخرى سواء بمقابل أو غير مقابل)، الذي تأجل بمقتضاه تجنيد حوالي ٤٠٠ شاب، ووفقا لقرار "دافيد بن جوريون" و "يسرائيل جليلي" رئيس الهيئة الوطنية للدفاع، فقد خرجت من وحدات جيش الدفاع مجموعة تلاميذ اليشيفوت التي تم إعفائها من الخدمة، ودمجوا في إطار "سلاح الحرس" الغير مجند (وهو سلاح يقوم بحراسة المناطق واللديات التي يقطنها المعوقين، وذوو الاحتياجات الخاصة، وقد تم تأسيسه على أساس تقسيمات المناطق السكانية)، وهذا هو نص القرار الذي أصدره "بن جوريون" (أرشيف جيش الدفاع، هيئة الأركان العامة أ/١٣/٣١، قيادة رئيس الهيئة الوطنية، في ٩ مارس ١٩٤٨):

" إلى: جولاني، كرملي، ألكسندروني، جفعتي، عتسيوني، بولغاريم، اتخذت قرارا بأن أبناء (اليشيفوت)، وفقا لقوائم مصدق عليها، معفيين من الخدمة العسكرية، وبالنسبة

للتلاميذ القادرين عليها يتم تدريبهم على وسائل الدفاع الشخصي بأماكن دراستهم، وساحات المعابد"، وقد تم تنفيذ هذا القرار بشكل جيد خلال سنة ١٩٤٨ لكن في نهايتها ظهرت المشكلة من جديد، حيث أن تدريبات التلاميذ كان من المفترض أن تنظم بشكل لا يقوض النظام الدراسي بالـ"يشيفوت"، لذلك فقد تم التحوار مع زعماء "اليشفيوت"، ووعدوا بأنه ستسغل فترات العطلات للتدريبات العسكرية، بالتوافق مع مواعيدها المختلفة، ومعنى هذا القرار أن أبناء اليشيفوت سيعدون ضمن سلاح الحرس الغير مجند.

وقد صدق "بن جوريون" مرة أخرى عام ١٩٥٠ على قرار "جليلي" الذي اتخذه أثناء الحرب، حيث استجاب لمطالب ممثلي الأحزاب الدينية في الحكومة، فقد كتب "بن جوريون" في يومياته: "جاءني وفد من رؤساء اليشيفوت، ومنهم الربي "مليتسر تيكوتشينيسكي"، والربي "كيتس" من "بيتح تكفا" والربي "سوروتسكين"، وغيرهم، جاءوني يطلبون إعفاء فتيان "اليشيفا" من الخدمة العسكرية، وقد أعلمتهم أن طلبهم تمت الموافقة عليه من قبل، لكنهم طلبوا أن يشرع قانون ينص على هذا الإعفاء، وشرحت لهم بأن القانون لا يسمح بذلك، فطالبوا بتعديله عن طريق الحكومة أو عن طريق وزير الدفاع، وقد بررت لهم صعوبة إجراء هذا التعديل بأن وزير الدفاع لربما يتم تغييره هذه الأيام".

وقد عبر الحاخامات عن مخاوفهم من أن تجنيد فتيان اليشيفوت قد يؤدي إلى عدم عودتهم مرة أخرى إلى مقاعدهم التعليمية، فعارضوا اقتراح "بن جوريون" بتدريب فتيان اليشيفوت بأماكن دراستهم، إلا أن سياسات "بن جوريون" الخاصة بهم لم تتحول إلى كلمات إلا في خطابه عام ١٩٥١ مثلما سيتم شرحه لاحقا، وفي حقيقة الأمر، فإنه منذ إقامة دولة إسرائيل ومسائل الدين والدولة يتم تحديدها عن طريق الوسائل المعروفة باسم "سياسات الوضع الراهن"، وهذا الأسلوب أدى إلى تجميد الوضع القانوني السائد منذ قيام الدولة، حيث إن القرارات التي اتخذها الزعماء السياسيين

كانت بسبب أن الوضع الراهن هو ظرف ضروري لقيام واستمرارية الدولة الشابة، التي كانت معرضة لتهديدات خارجية حقيقة.

جيش رسمي – غير سياسي:

لقد كان دمج المتدينين في صفوف الجيش، وإعفاء تلاميذ اليشيفوت من الخدمة العسكرية من بين المشاكل التي واجهت "بن جوريون" في طريقه لإقامة جيش شعبي موحد غير سياسي، فقبل إقامة الدولة وإنشاء جيش الدفاع طالب "بن جوريون" ببناء جيش موحد لا يتأثر بالتيارات السياسية، فقد كان هذا – في رأيه – أساس مفهوم الأمن الرسمي، وكذلك مقياس مهم لمدى فاعلية منظومة السلطة في دولة ذات سيادة، وقبل قيام الدولة سعى "بن جوريون" لإقامة جيش ذا خصوصية عن الهيئات المدنية، ولا يرتبط بالمنظمات السياسية، ولا بالمنظمات التي كانت تؤيد وترعى "البلماح" وباقي المنظمات العسكرية المتفرقة الأخرى مثل "أتسل" و"لحي"، وقد أدى تصور "بن جوريون" الرسمي للجيش إلى دخوله في مواجهات حادة مع منظمتي "أتسل" و"لحي"، وبمررور الوقت دخل في مواجهات مع هيئة منظمة "البلماح" أيضا، ويرى كلا من "دان هورفيتش" و"موشيه ليسك" – الباحثين في تاريخ التحول من الاستيطان إلى الدولة – في تفكيك منظمة البلماح الأساس لقيام جيش غير سياسي خال من أي ارتباطات سياسية أو حزبية.

وقد زادت حدة المعضلات فيما يتعلق بالدمج بين الدين والخدمة العسكرية، بعد إقامة الدولة و إنشاء جيش الدفاع، ولقد خاض "بن جوريون" – الذي كان وقتها رئيسا للوزراء ووزيرا للدفاع – صراعات حادة لبناء جيش موحد خال من أية وحدات خاصة ذات خلفيات أو صلاحيات خارجية أيديولوجية، دينية أو سياسية، فقد طالب بإبعاد الخلافات السياسية والطائفية والدينية عن معسكرات الجيش، إلا أن الحاخامات وزعماء المعسكرات الدينية وقفوا في وجهه، حيث طالبوا إبان حرب الإستقلال بإنشاء وحدات منفصلة للجنود المتدينين، وقد طالبوا بذلك لكي يتمكن الجنود المتدينيين من الحفاظ على نمط حياتهم الديني، وخوفا من تأثرهم بنمط الحياة العلماني، وفي المقابل

فقد تخوفوا من أن إقامة وحدات منفصلة من شأنها أن تؤدي إلى زيادة الفجـوة بـين المتدينيين والعلمانيين، بل والأكثر من ذلك، أن تؤدي إلى أن تتخلى الحكومـة عـن فرض القوانيين الدينية الأساسية "مثل المحافظة على تناول الأطعمة الحلال، والحفاظ على قدسية يوم السبت، وغيرها" على كل جنود جيش الدفاع، إلا أن "بن جوريـون" رفض إنشاء وحدات عسكرية دينية، حيث لم ير بها أية ضرورة تذكر، فقد كان رأيه، أن الأهم هو التوصل إلى حل يمكن من خلاله تجنيد المتدينيين دون الإخـلال بـنمط حياتهم الدينية، فعشية رأس سنة ١٩٤٩ رفض طلـب ممثلـي منظمـة "هابوعيـل همزراحي" (العامل الشرقي) لإقامة وحدات منفصلة، فقد كتب في يومياته:" لقد قلـت لهم، أ) جيشنا سيكون موحدا بلا تيارات، ب) من أجل وحدتنا سنلتزم جميعا بما هـو حلال، ج) سنفرض مناخًا يهوديًا خلال يوم السبت، د) سنرسي قيم الاحترام المتبـادل حتى لا يسخر الجندي الذي لا يصلي من الجندي الذي يضع "التيفيلين"(تميمة الصلاة) على رأسه.

وقد كون عدد المتدينين في الجيش وقت حرب الاستقلال أكثر من ١٠% من مجموع المجندين، إلا أن هذا أزعج آلاف الجنود المتدينيين لذلك فقد كـان علـى المؤسسـة الأمنية- العسكرية أن تجد طريقة يمكن من خلالها للجنود المتدينيين الخدمة بـالجيش دونما إخلال بعقيدتهم ونمط حياتهم، وكان الحل المقدم هو إنشاء وحـدات عسـكرية صغيرة للمتدينيين، تقارب في حجمها السرية، وخاصة في الوحدات المقاتلة وبسلاحي الجو والبحر، بينما ظل الكثير من الجنود المتدينيين بوحدات عسكرية مختلطة أخرى.

ولم يخضع "بن جوريون" لمطالب الأحزاب الدينية والحاخامات، بل حدد مجموعة من المبادئ الأساسية، وهي : أن جيش الدفاع الإسرائيلي كجيش يرفض مسبقا أي نـوع من أنواع التمييز أو الفصل لا تنبع من الاحتياجات العسـكرية، أن قناعتنـا بجـيش الدفاع هو أنه للحكومة و لخدمة المصالح العليا فقط، دونما أي ارتباط بـأي حـزب سياسي أو أي صلاحيات دينية توراتية خارجة عن إطار الخدمة العسكرية، أن مهمة القائد العسكري محددة، ومخوله إليه جميع الصلاحيات العليا عندما يكـون التفكيـر

العسكري ذو أولية على التفكير الديني، إن جيش الدفاع كجيش موحد سيقوم بتـــوفير الظروف التي تمكن الجندي المتدين من أداء الخدمة العسكرية والقيام بفرائض وتقاليد الشريعة أيضا.

وبعد انتهاء الحرب قل عدد المجنديين المتدينين في صفوف الجيش، الأمر الذي أدى إلى تقليل الصراعات حول إنشاء وحدات عسكرية دينية منفصلة، وحددت في جـــيش الدفاع بعض القوانين التي تلزم بالحفاظ على قيم الديانة اليهودية، وعلى الـــرغم مـــن ذلك فإن الأحزاب الدينية وعلى رأسها "هابوعيل همزراحي" (العامل الشرقي) التـــي كان عدد جنودها بالجيش ٨٠٠٠ شخص ويزيد طالبوا بإنشاء وحدات دينية في سلاح "الناحال" (الشباب الطليعي المحارب)، مما أدى إلى دمج التدريبات العسكرية والتأهيل الزراعي والاستيطاني بعد ذلك إلى المستوطنات الدينية.

ومنذ الأيام الأولى من إنشاء "الناحال" وكان من الواضح أن هذه الوحـــدات ســـتكون القناة المناسبة لدمج الشباب الديني في صفوف الجيش، على العكـــس مـــن الشـــباب الحريدي والشباب الديني الصهيوني الذي يؤدي الخدمة الإلزامية في جيش الدفاع، أما البنات المتدينيات الصهيونيات فقد وصلت نسبة تجنيدهن في الجـــيش إلـــى حـــوالي ٣٠%، أما بقيتهن فكان يخدمن في إطار الخدمات الوطنية الأخرى، وقد قام الحاخـــام "تسفي يهودا هاكوهين كوك" بإرساء الأساس التشريعي لدمج الشـــباب المتـــدين فـــي صفوف الجيش ،حيث أن كتاباته الكثيرة في هذا الموضوع كانت من الأشياء الدارجة على لسان كل قائد من قادة سلاح "الناحال" الحريدي، وأحد الأمثلة لكلامه عـــن هـــذا الموضوع موجوده في كتاب "شلومو أفينير"، حيث جاء فيه: "إن ضروريات الحروب لا تلغي أمر(عظمة التوراة وجلالتها)، فكلاهما فريضتان إسرائيليتان ويجب تقويتهما، فرعاية التوراة بإسرائيل لا تتناقض مع فرض الحرب وكذلك فرض الاستيطان، فعلينا أن ندرك بشكل مباشر أن تعلم التوراة له قيمة كبيرة في المفهوم الوطني فهـــو لـــيس منفصلا ومنعزلا عنه، لذلك فإن تركيز الاهتمام على الجيش لا يجب أن يـــؤدي إلـــى التراخي في تعلم التوراة فعلى العكس يجب أن يتم تقوية الإثنين معا"، كمـــا يضـــيف

الحاخام "كوك" قائلا: "إن الاحتياج لرجال العسكرية والسلاح لا يقل عن الاحتياج لرجال التوراة والعقيدة، فقد قلنا أن الفرضين واجبين علينا، فتعلم التوراة والخدمة بالجيش مهمتان لإخراجنا من الأزمات....... ومثلما نحن مؤمنون بالدولة وبجيشها، فإن رجال الجيش أيضا يقدرون توراتنا وعقيدتنا".

ومنذ ذلك الوقت أي ما يقرب من ٢٠ عام ارتفع عدد الشباب المتدينيين الصهيونيين المتطوعين للخدمة في الوحدات العسكرية المقاتلة ودورات إعداد الضباط.

طريق "اليشيفوت المنظمة"(عسكريا): نهج الجمهور الديني – القومي:

لقد كانت أحد الحلول لدمج المتدينيين في الخدمة العسكرية هو السرايا المنظمة التي أسست على أيدي الجمهور الديني ــ القومي، وكانت "كيرم ديفنا" هي اليشيفا المنظمة (عسكريا) الأولى التي أسست عام ١٩٥٣ لكن أعترف بها فقط في عام ١٩٦٥، وقد ارتفع عدد اليشيفوت المنظمة، حيث تحولت إلى مؤسسات رفيعة المستوى، كما أن عدد تلاميذها أخذ في التزايد، حيث تحول الرقم من يشيفا واحدة عام ١٩٦٤ إلى ١٢ يشيفا عام ١٩٨٠ وإلى ٣٠ يشيفا عام ١٩٨٨.

وقد تغيرت العلاقة بين فترة الدراسة وفترة الخدمة بالجيش على مر السنوات، واليوم فإن تلاميذ اليشيفوت المنظمة ملزمون بأداء الخدمة العسكرية لمدة خمس سنوات بمجموع ٥٨ شهر دراسي خدمة في الجيش، ومن ١٨ إلى ١٩ شهر خدمة في وحدة عسكرية قتالية (سلاح المركبات أو المدرعات) بالإضافة إلى ٤١ شهر خدمة بدون مقابل في اليشيفا، وهذه الفترة تخصص لتدريس التوراة، وأحيانا يدمج بها بعض الدروس عن العلوم التكنولوجية، ومن الناحية التاريخية فإن اليشيفوت المنظمة قد ساهمت في بداية عقد السبعينات في إعادة بناء سلاح المدرعات الذي سحق في حرب "يوم الغفران"، كما أن التحرك النسبي لوحدات سلاح المدرعات سهل من الحفاظ على نمط الحياة والصلاة وتعلم التوراة والحفاظ على تعاليم يوم السبت ... وماشابه ذلك، حيث تعلم قادة السلاح الاحتياجات الخاصة لأبناء اليشيفوت واحترموا إياها.

ومع إنشاء لواء "جفعتي" من جديد ملأ أبناء اليشيفوت المنظمة صفوفه فقد أنشئ في كل كتيبة من اللواء سرية من أبناء اليشيفوت، الذين أضطروا لمواجهة صعوبات التأقلم داخلها ومع وضعهم الخاص داخل اللواء، مثلما عبر عن ذلك "أبراهام بارون" مدير عام إتحاد اليشيفوت المنظمة، حيث قال: "لقد كانت لنا مهمة داخلية خاصة بنا، وهو أن نثبت لأنفسنا وللآخرين أن أبناء اليشيفوت يستطيعون النجاح بشكل سريع داخل وحدات عسكرية مهمة، وأن تعلم التوراة لا يضعف الأشخاص بل يمنحهم القوة للقيام بمهمات صعبة، وأن دمج أبناء اليشيفوت أثبت أن سراياهم العسكرية لا تقل في شيئ عن السرايا الأخرى بل تزيد عليها".

ومن ناحية أخرى فقد تعلم قادة الوحدات العسكرية كيفية التعامل والتعاون مع حاخامات اليشيفوت المنظمة، وتفهم الاحتياجات الدينية للجنود، وذلك لخلق مناخ إيجابي داخل الوحدة، كما تعلموا أيضا وقف تدريبات السرايا من أجل صلاة الفجر، وتخصيص وقت للجنود لتعلم التوراة، ومواجهة المشاكل الخاصة بالشباب المتدين.

وفي بداية الأمر قوبلت زيارات الحاخامات لإعطاء دروس توراتية بالوحدة بالمعارضة والسخرية، فقد كان هذا بمثابة إنقلاب فكري غير هين بالنسبة لقادة لواء "جفعتي"، لكن بفضل صبر وتحمل الحاخامات تعود القادة على ذلك واعترفوا بأهمية ما تضيفة هذه الدروس لفكر الجنود من أبناء اليشيفوت، وقد منحت محاولة الجمع أو اللقاء بين منظمتين مهمتين مثل لواء "جفعتي" التي تمثل الجيش ومنظمة اليشيفوت المنظمة التي تمثل المجتمع الأرثوذوكسي جيش الدفاع الوسائل والتجارب لمواجهة المشكلات التي نشأت فيما بعد، مع إنشاء كتيبة "الناحال" الحريدية.

ومنذ بداية عقد التسيعينات، ومع إتمام إنشاء لواء "جفعتي"، تم تجنيد تلاميذ "اليشيفوت المنظمة" في إطار مجموعات داخل كل وحدة عسكرية تنفيذية، فكانت كل كتيبة من كتائب أسلحة المشاه والمدرعات والمدفعية والهندسة تستقبل تعزيزات بشرية من أبناء اليشيفوت المنظمة تقدر بحوالي ١٢٥٠ شاب في السنة.

وقد طالب اللواء "أليعازر شتيرن" القائد الحالي لشعبة القوى البشرية كضابط تعليم رئيسي، بتوزيع كل أبناء اليشيفوت على سرايا الجيش والوحدات العسكرية المختلفة، ومنع إمكانية إقامة قسم موحد من أبناء اليشيفوت المنظمة، حيث كانت تقف على رأس أولوياته قيمة المساواة، واعتبار جيش الدفاع بمثابة "بوتقة صهر" لكل المجتمع الإسرائيلي، فقد حدد – كرئيس لشعبة القوى البشرية – أن يتم توزيع أبناء اليشيفوت المنظمة داخل السرايا العسكرية، واليوم تنفذ محاولة تحمل نفس المعنى داخل إحدى الوحدات العسكرية بالجيش.

أما الجزء الثاني من الخدمة المحددة بالنسبة لليشيفوت المنظمة فهي أن يمر تلميذ اليشيفوت بثمانية شهور خدمة تنفيذية داخل أكثر من شعبة بالسرية التي جند فيها، فهذا هو القانون الذي يطبق على من يقومون بأداء الخدمة العسكرية بشكل منفصل داخل وحدات القوات الاحتياطية، لذلك فإنه ينضم أكثر من ١٠% ممن ينضمون لأداء الخدمة العسكرية كمنفصلين، و١٠% آخرون يخرجون إلى دورات مهنية في جيش الدفاع، وحينها لا يتمتعون بوضعية خاصة مثل بقية زملائهم من أبناء اليشيفوت المنظمة، وهذا ما أكد عليه "أبراهام بارون" سكرتير منظمة "اليشيفوت المنظمة" في مقابلة معه أجريت يوم ٢٠٠٥/٣/١٧، حيث قال: "إن المصلحة الوطنية واحتياجات جيش الدفاع كانوا على رأس أولويات رؤساء اليشيفوت المنظمة، ومن هنا تم التنازل عن مطالب الحفاظ على الخصوصية الدينية – القومية لأبناء اليشيفوت داخل الجيش".

وقد كان نجاح اليشيفوت المنظمة في الدمج بين الحياة الدينية التوراتية والخدمة العسكرية يمثل تهديدا لزعماء الجمهور الحريدي، حيث أن إزدياد قوة اليشيفوت المنظمة يتناقض مع إدعاءاتهم بأن دراسة التوراة تستلزم وتبرر إعفاء الشاب تماما من الخدمة العسكرية، لذلك فقد حاولت المؤسسة الحريدية أكثر من مرة مهاجمة اليشيفوت المنظمة وحاخاماتها، فعلى سبيل المثال الحاخام "أليعازر مناحم شاخ" المرجعية الرئيسية للسرية الليتوانية في معسكر الحريديم منذ عقد الستينيات، وأحد رئيسي مجلس رعاة التوراة، تحدث عن المتدينيين – القوميين، مؤكدا أنهم وكل

الشباب المتدين في المجتمع الإسرائيلي الذين انخرطوا في الخدمة العسكرية بجيش الدفاع، لم يتمكنوا من الانصهار داخل الجيش أو المجتمع الإسرائيلي.

مواقف الأطراف المختلفة من الجدل الدائر حول تجنيد الحريديم في الجيش:

توصف اليهودية الحريدية كطائفة مميزة وبارزة داخل المجتمع الإسرائيلي الذي يرى نفسه ملتزما بتعاليم الشريعة، مثلما تطورت على أيدي المرجعيات الدينية اليهودية الأرثوذكسية المعتمدة، وقد تطور المجتمع الحريدي على خلفية المواجهة مع توجهات الحداثة والعلمانية، و على خلفية عمليات الهجرة المستمرة التي تسببت في إحداث ثغرات داخل المنظومة العقدية ونمط الحياة اليهودية في بلدان الشتات خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، والمجتمع الحريدي يرى نفسه ملتزما بالشريعة فقط دونما غيرها من خلال الانفصال عن الثقافة الحديثة والتأكيد على استمرارية تقاليد الثقافة اليهودية بدون أي تحديث أو تغيير، ويعد "اليشيفا" هو المؤسسة الثقافية الرئيسية داخل اليهودية الحريدية، والذي يتعلم فيه الفتيان الحريديم التلمود وتفسيراته الذي يعد أساس الدراسات الشرعية الوحيدة للرجال.

والتبرير الأول لحاخامات المعسكر الحريدي ضد الخدمة العسكرية هو علاقة المجتمع الحريدي بقيام دولة إسرائيل كدولة ذات سيادة على أرضها، فالمجتمع الحريدي يعارض الحركة الصهيونية لأنها تصف الشعب اليهودي بأنه شعب مثل كل الشعوب، وعلى أساس هذا الوصف فإنها تطالب بحقه في تقرير مصيره داخل أرض إسرائيل، ووجهة النظر هذه تعارض المفهوم اليهودي التقليدي، الذي وفقا له يحظى الشعب اليهودي برعاية إلهية خاصة حيث يرتبط مصيره ومستقبله برغبة الإله، وليس لأبناء الشعب اليهودي أن يحددوا مصيرهم بأيديهم، فهم بذلك يتمردون على قدسية الرب، والصهيونية لا تكفر فقط بالمفهوم المسيحاني التقليدي، بل وتتمرد على إله إسرائيل.

أما التبرير الثاني فيما يتعلق بحق الحريديم في الإعفاء من الخدمة العسكرية فهو مؤسس على حق الفتيان والشباب الحريديم في تخصيص حياتهم لتعلم التوراة، فالمطالبة بإعفاء أبناء اليشيفوت تم تبريرها قبل كل شيء بضروة إحياء اليشيفوت

لتقاليد وتعاليم التوراة التي تلاشت إلى حد ما أثناء أحداث "النكبة" (الهولوكوست) بعد خراب المجتمع اليهودي المتمسك بالتقاليد في شرق أوروبا، فقد إدعى حاخامات الحريديم أن دولة إسرائيل يجب عليها أن تعيد من جديد عالم اليشيفوت والتلمود والتوراة وأن تهتم بتقوية قيم الدين والتقاليد اليهودية في أرض شعب إسرائيل، واليشيفوت وما تتحتويه يجب عليها أن تخرج زعماء روحانيين أي حاخامات للشعب اليهودي.

وفي السنوات الأولى من إعفاء الحريديم من الخدمة العسكرية إدعى زعماء الحريديم أنه في كل الدول الغربية يتم إعفاء الكهنة من الخدمة العسكرية، وحاخامات الحريديم يتمسكون برأيهم أن تعليم التوراة يتفوق على غيره من كل الفرائض، وكل تلميذ من تلاميذ اليشيفوت يتعمق في تعاليم التوراة، يوصف بأنه " فقيه في التوراة"، وفي الحقيقة فإن رأسه وعقله يفكرون في تعاليم التوراة حتى في الأوقات التي لا يدرسها فيها، ووقف تعليم التوراة – حتى ولو ليوم واحد – تضر به بشكل بعيد المدى.

والتبرير الثالث للإعفاء من الخدمة العسكرية يقوم على إختلاف وخصوصية نمط حياة الجمهور الحريدي، والضرر الكبير الذي من شأنه ان تلحقه الخدمة العسكرية بهذا النمط الخاص، حيث استمر المجتمع الحريدي في بناء الجدار الذي يفصله ويحيط به، والذي ميز أسلوب حياته في بلدان الشتات داخل المجتمع الإسرائيلي أيضا، فإن أحد المعايير الرئيسية داخل المجتمع الحريدي هو:" ندقق في الأمر البسيط مثلما ندقق في الأمر الخطير"، وهذا من شأنه ألا يتعاطى مع نمط الحياة الحديثة، وهذا الجدار الحصين الذي أقامه المجتمع الحريدي حول نفسه، عمل على عزله – كلما أمكن – عن المجتمع العلماني وتأثيراته السلبية، وفي سنوات الشتات كان هذا هو جدار "الجيتو" اليهودي واليوم هو جدار نمط الحياة الخاصة، ولغة "الييديش"، والملابس السوداء، وحظر قراءة الصحف العلمانية ومشاهدة قنوات التليفزيون... وغيرها وغيرها، حيث نجد أن مؤسس يشيفا "تاريخ أهارون"يفسر ببساطة الحماية التي يوفرها الملبس الحريدي للشباب، بقوله :"إن الملبس يحمي الإنسان من التدهور الأخلاقي،

فالشر لا يمنكه أن يجذبه إليه مثل الذهاب لمشاهدة فيلم أو إلى مكـــان علمـــاني فـــإن ملابسه ستمنعه من الانخراط الطبيعي في البيئة المحيطة به".

ويؤكد الباحثين "شلهاف" و"فريدمان" المتوسعين في مجال سمات المجتمع الحريدي أن شبكة الحماية التي صنعتها المؤسسة الحريدية حول نفسها، هدفت إلـــى عـــزل جيـــل الشباب عن موجات الحداثة وتأثيرات العالم المحيط، وإن اختيار الحريديم بـــرغبتهم للعيش داخل "جيتوهات" منفصلة، أدت إلى عزلهم داخل بيئة ومجتمع خـــاص بهـــم، وداخل مجتمع يمثل فيه الهاجس الأمني عاملا رئيسا وســـببا مـــن أســـباب التطـــور الاقتصادي والثقافي والسياسي فيه، فإن المؤسسات الاجتماعيـــة والثقافيـــة اعتبـــرت المجتمع الحريدي مضادا للصهيونية ويقع على هامش مسيرة تطور الأمة الإسرائيلية.

وقد أعطى "بن جوريون" أول رئيس وزراء، ووزير دفاع إسرائيلي إعفـــاءا رســـميا لتلاميذ اليشيفوت من الخدمة العسكرية، وذلك في خطاب له بتاريخ ١٩٥١/١/٩، جاء فيه:" بناءا على البند ١٢ من قانون الخدمة العسكرية، أعفيت فتيان اليشيفا من الخدمة العسكرية النظامية، وهذا الاعفاء ينطبق فقط على فتيان اليشيفا المشتغلين فـــي تعلـــم التوراة داخل اليشيفوت وما يزالون يشتغلون في هذا الأمر".

وفي السنوات الأولى من إصدار هذا القانون تم إعفاء حوالي ٤٠٠ شاب حريدي من الخدمة العسكرية، وتم الاعتراف بهم في إطار نظام "توراتنا هي حرفتنا"، وفي عـــام ١٩٦٨ ، حددت لجنة وزارية خاصة أن يكون عدد الشباب المعفيـــين مـــن الخدمـــة العسكرية لا يزيد عن ٨٠٠ من شباب اليشيفا، ومع صعود حزب الليكود للحكم، تـــم التوقيع على اتفاق وزاري إئتلافي يلغي وثيقة الإعفاء من الخدمة العسكرية، بهـــدف الحد من سيل الاعفاءات من الخدمة العسكرية، حيث أنه في عام ١٩٨٠ كانت نســـبة المعفيين من الخدمة العسكرية بسبب نظام "توراتنا هي حرفتنا" ٤,٢% وفـــي ســـنة ١٩٩٠ وصلت نسبتهم إلى ٥,٨%، أما في عام فقد ارتفعت إلى ١٠%، والآن وصلت إلى ١١,٣ % أي ما يقرب من ٤٠٠٠٠ شخص، فتأجيل تجنيد الشباب هو في حقيقـــة الأمر إعفاء من الخدمة العسكرية، باستثناء القلاقل الـــذين أدوا خـــدماتهم العســـكرية

النظامة داخل القوات الاحتياطية، والضرر الذي حدث لم يلحق فقط بالخدمة العكسرية النظامية، لكن بإعفاء عشرات الآلاف من الخدمة العسكرية كقوات احتياط.
وإن الآثار المترتبة على منع شباب الحريديم من الخدمة العسكرية خرجت من إطارها الأمني إلى إطارها الاقتصادي حيث لم يتمكن شباب الحريديم من الدخول في سوق العمالة المنظمة، والنتيجة كانت الفقر والتدهور الاقتصادي في أوساط الأسر الحريدية، وإفساد قوة عمالة كان من الممكن أن تساهم في زيادة الناتج القومي، الأمر الذي مثل عبئا اقتصاديا على المجتمع الإسرائيلي وخزانة الدولة التي تدفع مبالغ بدل تقاعد لمن لم يكن يعمل.
وقد حدث التزايد الكبير في أعداد الحاصلين على تأجيل من الخدمة العسكرية من التزايد السكاني الطبيعي في المجتمع الحريدي داخل إسرائيل، الأمر الذي جعل المجتمع الحريدي يفكر في زيادة قوته السياسية لإحداث توازن بين الحزبين الكبيرين "العمل" و "الليكود"، وهذه القوة السياسية تم التعبير عنها من خلال تخصيص أموال ومساعدات للقطاعات الحريدية في البلاد، فقد أدى تقاطع المصالح السياسية للحزب الحاكم والأحزاب الدينية إلى إرساء بنية أساسية لزيادة عدد دارسي التوراة، وفي منتصف عقد الثمانينيات، عندما وصلت معدلات البطالة إلى نسب غير مسبوقة داخل سوق العمالة الإسرائيلي، زاد تيار الشباب الذين يتوجهون لتعلم التوراة باليشيفوت، حيث أن الانخراط في هذا التيار أدى إلى توفير مصدر دخل أساسي بديل عما توفره الخدمة العكسرية، ومثلما زاد تأييد الدولة للطبقات الضعيفة من المجتمع زاد أيضا توجه الآباء لإرسال أبنائهم إلى المؤسسات الدينية لحزب "شاس"، والتي حظوا فيها بخدمات متطورة في مقابل تلك التي تقدمها المؤسسات المحلية الرسمية.
وقد أثارت مشكلة إعفاء شباب الحريديم من الخدمة العمسكرية معارضة قطاعات كثيرة من الجهور العلماني تم التعبير عنها في مقالات الرأي والمقابلات والبرامج التي بثت من خلال وسائل الإعلام، وفي بعض الاحتجاجات المتحفظة أحيانا التي بدت في المظاهرات، فأقوال العميد "تحميا داجان" الذي كان ضابط التعليم الأساسي

في جيش الدفاع بين عامي ١٩٨٧ و ١٩٨٨ ونشـــرت فـــي مجلـــة "بمحنيـــه" (فـــي المعسكر) يوم ١٩٨٧/٧/٢٢، تدل على هذا الغضب والاستياء، حيث قال:" إن هـــذه نوعية من الشراكة الغريبة، فأنا أرسل إبن اليشيفا ليتعلم بدلا مني، وهو يرسلني لكي أقتل بدلا منه ، إن هذا لأمر مثير!!!".

وقد تحول تجنيد الحريديم في صفوف جيش الدفاع إلى مطلب جماهيري طالبـــت بـــه الحركات الاحتجاجية الممثلة في عناصر قوات الاحتياط والطلبة والأحزاب السياسية، فعلى سبيل المثال "إيهود باراك" مرشح حزب العمل الذي حـــاول تحســـين فرصـــه للوصول للسلطة، والعضو في إحدى الحركات الاحتجاجية قدم عام ١٩٩٨ مشـــروع قانون مفصل لتجنيد شباب اليشيفوت، إلا إنه تم رفضه، ولكنه كـــان بمثابـــة نقطـــة إنطلاق للأحزاب اليسارية وحزب "شينوي" بزعامة "يوسف لابيد" للمطالبة بهذا الأمر لاحقا.

ومع صعود "باراك" للحكم حدث تراجع في جدية وإصرار الحكومة على إيجاد حـــل لهذا الموضوع فالغضب والاحباط تم تحويلهما إلـــى الحـــزبين الكبيـــرين (العمـــل) و(الليكود) عن طريق زعمائهما، لكن بدون جدوى، فقد فضل الحـــزبين الحســـابات الحزبية الإئتلافية وتأييد الحريديم لهما على المواجهة معهم وعلى الاشتغال بمشـــكلة بدت غير ممكنة الحل في ظل تشدد مواقف الحريديم.

وقد ظل أمل واحد فقط بحوزة الساعين لتجنيد الحريديم في الجيش ومســـاواتهم أمـــام القانون والمؤسسة القضائية، والتي انحصر تدخلها في مواقف وزيـــر الـــدفاع حـــول تجنيد الشباب وذلك من خلال إعطاء تفسيرات فضافضة لقانون الخدمـــة العســـكرية، وصلاحيات وزير الدفاع، فخلال عام ١٩٩٨ أثير مرة أخرى موضوع تجنيد فتيـــان اليشيفوت وتم تدخل المحكمة العليا فيـــه عـــن طريـــق عضـــو الكنيســـت "أمنـــون روبينشتاين"، والتي حددت أن أمر وزير الدفاع بإعفاء تلاميذ اليشيفوت من الخدمـــة العسكرية لم ينفذ كقانون، كما حددت أن الكنيست عليه أن يحسم هذا الأمر فيما يتعلق بهذا الموضوع خلال عام، وفي المقابل قدم "إيهود باراك" رئيس حزب العمل الأسبق

مشروع قانون لتجنيد فتيان اليشيفوت، حيث طالب بالتقليل من أعداد تلاميذ اليشيفوت المعفيين من الخدمة العسكرية.

لجنة "طل":

في ٩ ديسمبر ١٩٩٨ قدم عضوا الكنيست "أمنون روبينشتاين" و" حاييم أورون" بالإضافة إلى المحامي "يهودا رسلر" دعوى قضائية أمام محكمة العدل العليا فيما يتعلق بموضوع تجنيد أبناء اليشيفوت في جيش الدفاع، وعلى خلاف الخمس دعوات القضائية السابقة، قررت محكمة العدل العليا أن حق وزير الدفاع في إعفاء أبناء اليشيفوت من الخدمة العسكرية أمر غير قانوني، وألزمت الكنيست بتشريع قانون لتنظيم هذا الأمر محل الخلاف.

وقد تم تعيين لجنة "طل" برئاسة القاضي "بديموس تسفي طل" في أغسطس ١٩٩٩، عقب حكم محكمة العدل العليا، وكانت النتائج التي قدمتها اللجنة للحكومة في إبريل عام ٢٠٠٠، كالتالي:

- يتم تمكين تلاميذ اليشيفوت من الدراسة بها وفقا للمعايير القائمة.
- يتم انتهاج نظام "السنة الفاصلة"، حيث يمكن لتلاميذ اليشيفوت وقف دراستهم لسنة واحدة حينما يبلغون سن الـ٢٣ عام، لتحديد رغبتهم فيما إذا كانوا سيستمرون في دراستهم أم سيبدأون في الخروج للعمل.
- أن يتم دمج التلاميذ الذين يتوقفون عن دراستهم قبل عمر الـ٢٤ عام في قنوات مختلفة تتضمن خدمة عسكرية قصيرة الأجل وخدمات مدنية.
- التلميذ الذي ينهي دراسته دونما اختيار أحد الخيارين، يلزم بأداء الخدمة العسكرية وفقا لاحتياجات الجيش.

وفي ٣ يوليو ٢٠٠٠ وبعد سبعة أسابيع من المناقشات العاصفة، صدق الكنيست خلال عملية التصويت الأولى على توصيات لجنة "طل"، وبدأ في إتخاذ الإجراءات التشريعية، في حين حول "إيهود باراك" رئيس الوزراء حينها التصويت على هذا القانون إلى تصويت على الثقة في حكومته لكي يضمن تمريره في الكنيست.

وقد حاول ممثلو الكتل البرلمانية الحريدية إقناع معارضي القانون بأهمية القانون الذي كان يكرس الوضع السابق لأبناء اليشيفوت وإقصائهم من الخدمة العسكرية، وعلى العكس من ذلك حاول "باراك" إقناعهم لتأييد موقفه، وقال أن هذا القانون يحافظ على ما هو قائم ويغير الوضع الراهن لصالح الجمهور العلماني.

وبهذا تكون أهمية القانون كامنة في تحديد مسارات معينة للخدمة العسكرية لأبناء الحريديم، وكذلك السنة الفاصلة التي يحدد فيها الشاب ما إذا يرغب في الاستمرار بالدراسة أم الخروج للعمل، وقد زعم "باراك" أن هذا القانون سيمكن الكثير من الشباب من الانخراط في سوق العمالة.

وقد صوت ٥٣ من أعضاء الكنيست لصالح القانون، و٤٢ عضو عارضوه، و٧ أعضاء امتنعوا عن التصويت، واختار ١٨ عضو أن يتغيبوا عن جلسة التصويت، وقد أيد هذا القانون كتلة "يسرائيل أحات" (إسرائيل واحدة) و "شاس"، و"يهودت هاتوراة"، وعضو الكنيست "ليفكين ساحاق" من حزب الوسط، والأعضاء "يجائيل بيبي" و"حاييم دروكمان" من حزب "مفدال" والعضو "تسفي هيندل" من الاتحاد الوطني، أما حزب الليكود برئاسة "أريئيل شارون" وباقي الكتل البرلمانية اليمينية فقد صوتوا كرجل واحد ضد القانون، وأحنوا رؤوسهم لحلفائهم السياسيين المتمثلين في "الجمهور الحريدي – الديني".

وقد تحرك الرأي العام وارتفعت أصوات المعارضين لتوصيات اللجنة من كلا المعسكرين، إلا أن الواقع السياسي في تلك الفترة أمكن من تمرير مشروع القانون بغالبية الأصوات، أما فيما يتعلق بطبيعة تنفيذه وإمكانية تطبيقه على الجمهور الحريدي، فإن الأراء ما تزال مختلفة حول هذا الموضوع.

أما حزب العمل بزعامة "باراك"، فقد تنكر للقيم التي رفعها لسنوات طويلة، حيث قاد الصراع من أجل دمج القرار الخاص بإعفاء شباب الحريديم من الخدمة العسكرية بهذا القنون، ولكي يستمر في الإمساك بالحكم تنكر "باراك" نفسه من شعاره الانتخابي الذي رفعه، وهو "شعب واحد، تجنيد واحد".

وقد أكد أيضا عضو الكنيست "شموئيل هلبرت" عقب تصويت الكنيست أن الجمهور الحريدي يعارض قانون "طل" الجديد ويطالب باستمرار القرار الخاص بإقصاء أبناء اليشيفوت عن الخدمة العسكرية، وبدون اختيار وافق الجمهور الحريدي على مشروع قانون لجنة "طل" لأنه جاء في إطار قانوني تشريعي.

وفي مقابلة نادرة مع وسائل الإعلام يوم ٧/٧/٢٠٠٠، قال القاضي "تسفي طل": لقد كان من الواضح أنه لن يخرج أحدا محققا لرغبته من هذا القانون ولاحتى نصف رغبته فالعلمانيين غير سعداء، والحريديم أيضا".

ولقد ظلت الهوة بكل تنوعاتها بين المعسكر الحريدي والمجتمع الإسرائيلي كما كانت عليه، ولم يبدو أن حلا قانونيا يمكنه رأب الصدع بين الجانبين.

الفصل الثاني: كتائب الناحال الحريدية، البراعم الأولى

في عام ١٩٥٩ – أي بعد ١١ عامًا من إقامة الدولة – اندهش زعماء "اليشيفوت" ومدراء المؤسسات التعليمية التوراتية حينما اكتشفوا أن هناك اهتمامًا متزايدًا بما يجري داخل الدولة من أحداث سياسية وذلك من خلال الحوارات التي أجروها مع الشباب الذين أكدوا على أهمية المساهمة في بناء الوطن "إسرائيل"، ووصفوا اللحظة الراهنة بأنها "اللحظة التي يجب أن نفعل فيها للرب ما أثمرته لنا توراتنا"، وبناء على ذلك وإنطلاقا من هذه الروح بدأ هؤلاء الشباب في البحث عن طريق للعمل المشترك. وبالتوازي مع ذلك نجح الحاخام "موشيه أرنستر" في الحصول على موافقة من السلطات المعنية لإنشاء النواة الأولى لكتائب الناحال الحريدية والتي تقوم بالأساس على تقديس قيمة العمل الحرفي، والذي عن طريقه يستطيع شباب المتدينيين تعلم حرفة وكسب قوتهم بأنفسهم وخدمة الدولة في نفس الوقت، كما تعهد الحاخام "أرنستر" ببناء مصنع باستثمارات خاصة في مستوطنة "عمي–عوز" من أجل انجاح هذا المشروع، وكانت الخطوة التالية هي إقناع رئيس الوزراء ووزير الدفاع الأسبق "دافيد بن جوريون" بهذه الفكرة والتي وافق عليها بشرط أن يتلقى شباب الحريديم تدريبات أولية عسكرية قصيرة، وبعد موافقة بقية الحاخامات بدأ الحاخام "أرنستر" مع الحاخام "دافيد نحمان بلوي" في البحث عن شباب من الحريديم مهتمين بالعمل من أجل بناء الوطن، حيث نجحا كلاهما في جمع ٤٠ شابًا جاءوا إلى مستوطنة "عمي –عوز" بالقرب من مدينة رفح، إلا إنهم لم ينضموا للعمل في المصنع كما لم يتم استيعابهم مع أبناء المستوطنة مما أدى إلى حدوث أزمة حقيقة في المشروع الذي كان في مهده، وقبل أن يتلقوا تدريبات عسكرية أولية قصيرة وبعد فترة قصيرة من تلقيهم دورات تعليمية مكثفة وافقوا على الانضمام إلى إحدى المدارس الدينية المستقلة ليصبحوا ضمن إطار الحريديم، وانقسمت المجموعة المكونة من ٤٠ شابا بين أولئك الذين فضلوا أن يكونوا تحت رعاية حزب " بوعلي أجودت يسرائيل" (عمال نقابة إسرائيل) وبين أولئك الذين فضلوا الانضمام إلى "اليشيفوت" المستقلة.

وقد ظل الشباب لمدة ٢٤ شهرا بمشروع كتائب الناحال الحريدية، في حين تم تعيين الحاخام "يهوشوع فيرتهاييمر"-الذي كان الحاخام الأول لسلاح الجو- قائدا لهذه الكتائب، بالاشتراك مع الحاخام "بلوي" الذي كلف بالاشراف الديني عليها، وكلاهما قاما بالاشراف على الكتائب الحريدية الأولى بالجيش، والذي أدى نجاحها إلى تزايد توافد الفتيان الحريديم الذين طلبوا الانضمام إليها، ويعد إقالة قائد هذه الوحدة تم تعيين الحاخام "موشيه حاييم شاينفيلد" قائدا لها خلال ٨ سنوات كاملة إنضم خلالها إلى الخدمة في هذه الكتائب الكثير من الشبان.

وقد كتبت عدة صحف حريدية عن المرحلة الأولى في تاريخ كتيبة الناحال الحريدية، ومنهم صحيفة "كل الأسبوع" التي كتبت يوم ٢٠٠١/٤/٥، تقول :" إن سلاح الناحال (الشباب الطليعي المحارب) كان ضرورة فرضها واقع تلك المرحلة، التي عانى خلالها جمهور الحريديم من أزمة حقيقة، حيث بدأ يتوافد إلى البلاد لاجئين متعلمين وكان عليهم أن يحملوا عبء الدولة الناشئة، كما كانت هناك مجموعة أخرى من الشباب الذين تعلموا بـــ"اليشيفوت" الحريدية لكن آبائهم جاءوا من عائلات صهيونية لذلك فلم يتنازلوا عن فكرة أن أبنائهم يجب أن يخدموا في جيش الدولة، ولقد أعطى سلاح الناحال الحريدي حلا لهاتين المجموعتين تمثل في أداء الخدمة العسكرية لكن بشروط حريدية".

وبمرور الوقت زاد حجم هذه الكتيبة وعمل المجندين بها من الشباب في مصنع لصقل الماس بقرية "حازون يحزقئيل" الصغيرة، أما المتزوجون منهم فقد بنيت لهم شقق خاصة بالقرب من مكان المصنع، وبعد ذلك بفترة كبيرة ومع تزايد أعداد جنود كتيبة الناحال الحريدية تم نقلها إلى منطقة بالقرب من مستوطنة "كديما"، حيث أن حوالي ٢٠٠٠ تلميذ من تلاميذ "اليشفوت" خدموا في الجيش في إطار هذه الكتيبة من خلال المزج بين تعاليم التوارة والعمل في الصناعة والزراعة. وكان مجموع مدة الخدمة السنوية ٣ شهور فقط في الخدمة العسكرية العادية و٩ شهور في الخدمة العسكرية بالمستوطنات، أي في خلال ٣ سنوات خدمة بالجيش، قام الشباب بالخدمة العسكرية

الكاملة في ٩ شهور فقط، إلا أن المجندين في كتائب الناحال الحريدية لم يتلقوا دورات الضباط التدريبية حيث عارض زعمائهم بالإضافة إلى الحاخام "موشيه حاييم شاينفيلد" طلب أحد الجنود تلقي دورة الضباط التدريبية وبرروا ذلك بأن هذا يعد مخالفا للاتفاق الذي أقيمت بموجبه كتائب الناحال الحريدية، ويشهد "شايينفليد" على ذلك بنفسه حيث صرح لصحيفة "كل الأسبوع" يوم ٢٠٠١/٤/٥ يقول:" لقد كان الشرط الأساسي هو منح كتائب الناحال الحريدية استقلالية خاصة بها، فقدد حددنا القواعد التي تقضي بذلك، لذلك فلم يتلق الشاب دورة الضباط التدريبية"، إلا أن جنود الكتيبة تلقوا دورات المظلات التدريبية واشتركوا في حرب "الأيام الستة" (حرب عام١٩٦٧) وحرب "يوم الغفران" (حرب عام ١٩٧٣)، وسقط ١٢ فرد منهم ضحايا في هاتين الحربين بينما أصبح غالبيتهم من المعوقين نتيجة لإصابات تعرضوا لها أثناء اشتراكهم في العمليات العسكرية.

وبمرور السنوات قلت نسبة الالتزام الديني عند جنود كتيبة الناحال الحريدية، فقد كان الكثير من المجندين من الشباب المتدينين الذي هجروا "اليشيفوت" وعالم التوراة، وكان من بينهم من لم يحرص على أداء الفروض الدينية في أوقات الخدمة العسكرية، الأمر الذي أدى إلى تزايد الانتقادات داخل المجتمع الحريدي، حيث أن الخدمة في كتيبة الناحال الحريدية أثرت بشكل سلبي على فرص زواج هؤلاء الشباب، كما أن شباب الحريديم الذين طلبوا التوقف عن دوراتهم منعوا من ترك "اليشيفوت" والالتحاق بالجيش خوفا من وصمة العار التي من شأنها أن تلحق بهم وبعائلاتهم في المجتمع الحريدي.

اكتمال مشروع "نتساح يهودا" التجريبي:

لقد اكتملت الخطة المستحدثة لإقامة كتيبة حريدية داخل الجيش في منتصف عام ١٩٩٨، لكنها فشلت بسبب معارضة حاخامات الحريديم فكرة التجنيد في الجيش أو التوصل لأي حل وسط بشأنها مع السلطات العسكرية في البلاد، وعلى رأسهم الحاخام الأكبر "مجور" والحاخام "يعقوب إلتر" والحاخام "شموئيل أويعرباخ" من قادة

حزب "ديجيل هاتوراه" (راية التوراة)، إلا أن معارضة الحاخامات ضعفت بعد أن حسمت المحكمة العليا قضية "روبينشتاين" التي أقيمت في أعقابها – مثلما ذكرنا – لجنة "طل" لبلورة خطة مناسبة لتجنيد شباب "اليشيفوت" في صفوف الجيش.

وقد كان إنشاء كتيبة عسكرية حريدية تحت اسم "نتساح يهودا" بمثابة خطة تجريبية لتجنيد الشباب الحريدي في صفوف جيش الدفاع، والتي وضعت لها عدة أسس حددها رئيس شعبة القوى البشرية بالجيش، وهذه الأسس هي:

* تجنيد الشباب الحريدي سيكون للخدمة العسكرية القتالية لمدة ٣ سنوات.

* إن الخطة موضوعة للشباب الذي لا يدرسون داخل اليشيفوت.

* إنه في إطار الخطة سيراعي الجيش خصوصية شباب الحريديم كي يتمكنوا من الحفاظ على فروضهم الدينية وعلى نمط حياتهم الذي اعتادوا عليه، حيث سيخدمون في وحدات خالية من المجندات البنات وسيقومون بحراسة دور العبادة والصلاة وسيقدم لهم أغذية "كشيروت" (حلال) وفقا للشريعة اليهودية.

* أن جنود "نتساح يهودا" سيحظون بكافة وسائل الرعاية الطبية اللازمة.

* إنه في إطار تأيدتهم لواجبهم العسكري سيتلقوا دورات تأهيلية مهنية وحرفية لكي يتمكنوا من الانخراط في الحياة العامة بعد أن ينهوا مدة خدمتهم بجيش الدفاع.

بالإضافة إلى ذلك فقد حددت في المراحل التأسيسية الأولى من الخطة إنه سيتم الاستعانة بحاخامات من أبناء الطائفة الحريدية للاشتراك في هذا المشروع والمساهمة في زيادة عدد المجندين، والمشروع بشكل عام ستقوده شعبة الشباب وسلاح الشباب الطليعي المحارب بوزارة الدفاع وشعبة القوى البشرية بهيئة الأركان العامة للجيش بالإضافة إلى قيادة سلاح الشباب الطليعي المحارب.

وقد أنشأت القاعدة الأولى لهذا المشروع في مستوطنة "روتام" بغور الأردن، وهذه القاعدة المنعزلة ساعدت على الابتعاد عن العوامل التي من شأنها أن تفسد الأسس والشروط التي أقيمت بموجبها هذه الكتيبة، مثل: حظر تواجد البنات بالقاعدة أو إقامة أي اتصال من أي نوع معهم، ووجود طاقم من القادة الملتزمين بالفروض الدينية

الذين تم تدريبهم من قبل مقاتلين من "اليشيفوت" المنظمة عسكريًا، وتوفير الفحص الطبي الذي سيقوم به مجندين واطباء فقط، وتحديد وقت معين لأداء الثلاث صلوات الواجبة وتلقي درس يومي عن "الجمارا"، كما أن الجيش تعهد بتوفير طعام " كاشير" (حلال وفق الشريعة اليهودية) للمجندين الحريديم، تم فحصه من قبل الحاخام العسكري الأول للجيش.

كما تحدثت الخطة أيضا عن إقامة كتيبة قتالية تنخرط في القيام بالمهام الأمنية بمنطقة غور الأردن، وفي مهام إقامة مستوطنات تصبح في المستقبل مستوطنات حريدية مستقلة ،وبهذا الشكل تحل مشكلة الإسكان في أوساط الحريديم بالبلاد.

وتعد "سنة المشروع" وهي السنة الثالثة من الخدمة العسكرية للشباب الحريدي هي الفصل الأهم والأكثر جوهرية في خطة إقامة كتيبة الناحال الحريدية، حيث أنه من المقرر أن يكون المجند في هذه السنة قد أكمل الدورات التأهيلية الحرفية الأساسية، ولأمثالهم تعطى فرصة لاستكمال تعليمهم حتى الحصول على الشهادة الثانوية أو الشهادة الجامعية، وفي الوقت الحالي فإن معظم المجندين يستمرون في دراستهم في إطار معهد "ليف" وعدد قليل منهم يتوجهون نحو الدورات التأهلية لتعلم مهنة أو حرفة، وهؤلاء الجنود يعودون مرة أخرى لاستكمال دراستهم الدينية بـــ"اليشيفوت"، لذلك فقد كانت "سنة المشروع" أحد عوامل استمرار الشباب الحريديم في التطوع والتجند في كتيبة الناحال الحريدية.

وفي خلال الستة سنوات الأولى من إنشاء النواة الأولى لهذا المشروع، تجند مئات الشباب بالكتيبة التي تحولت إلى كتيبة داخل جيش الدفاع وأخذت اسم "الكتيبة ٩٧"، وفي هذه الأيام تثار مناقشات حول إنشاء هيكل عسكري يتم من خلاله تجنيد ٣ سريات عسكرية سنويا كل سرية مكونة من ١٢٠ جندي، في نفس الوقت الذي يتم فيه تسريح جنود السريات الأولى إلى قوات الاحتياط الأمر الذي يخلق قوة بشرية كبيرة تستخدم مستقبلا في إنشاء سرايا عسكرية كاملة من قوات الاحتياط، ويتم استدعاء الجنود الذين تم تسريحهم من الخدمة العسكرية للخدمة في كتائب الناحال الحريدية

كقوات احتياط، وبهذا يمكنهم المحافظة على نمط حياتهم الديني أثناء قيامهم بالخدمة العسكرية كقوات احتياط.

الأسباب التي تقف وراء إنشاء كتيبة "نتساح يهودا":

لقد كانت المبادرة بإنشاء كتيبة "نتساح يهودا" عمل مشترك من المؤسسة السياسية وهيئة الأركان العامة لجيش الدفاع ومجموعة من الحاخامات من أوساط السكان الحريديم في إسرائيل، وفي هذا الفصل يتم فحص مواقف هؤلاء اللاعبون الثلاثة الذين يقفون وراء إنشاء كتيبة "نتساح يهودا".

المؤسسة السياسية:

في المراحل الأولى من إنشاء هذه الكتيبة تحدث كلا من وزارة الدفاع والجيش بصوتين مختلفين، فقد أعلن الجيش أنه مهتم بتجنيد الحريديم، مثلما شهد بذلك رئيس شعبة القوى البشرية بالجيش اللواء "يهودا شجف" أمام لجنة "طل"، ومع ذلك فلا يجب أن ننسى أن هناك الكثير من وزراء الدفاع الذين زعموا بأنه لا توجد إمكانية لتجنيد الحريديم بالجيش، وأن كل محاولة كهذه في هذا الصدد ستتسبب في إلحاق الضرر ببناء المجتمع الإسرائيلي الحصين، وأنها من المؤكد لن تزيد من قوة جيش الدفاع ولكنها ستؤدي إلى توريطه في مشاكل من الصعب حلها.

وفي مطلع عقد التسعينات وجه الجيش طلب لحكومة "بنيامين نتانياهو" لتحديد حصة معينة من تلاميذ "اليشيفوت" الذين يحصلون على تأجيل من الخدمة العسكرية، إلا أن طلب الجيش قوبل بالرفض، لكنه كان بمثابة نقطة انطلاق ارتكز عليها جيش الدفاع في موقفة من هذا الموضوع المخالف لموقف وزراء الدفاع، حيث طالب بتجنيد فتيان "اليشيفوت" المؤهلين للخدمة العسكرية.

أما من الناحية السياسية فقد كان "يتسحاق مردخاي" وزير الدفاع في حكومة "نتانياهو" هو من بحث عن طريقة لتغيير قوانين ومعايير تجنيد تلاميذ "اليشيفوت"، حيث كان واقعا تحت ضغوط جماهيرية وملاحقات قضائية، وعلى المستوى الرسمي فقد فضل "مردخاي" اتباع نفس السياسات التي كانت تتبعها وزارة الدفاع قبل توليه منصبه،

لذلك فقد قال :"إن مصاعب تكيف الحريديم مع نمط الحياة والثقافات المختلفة داخل الجيش بالإضافة إلى صعوبة الحفاظ على إقامة الفروض الدينية أثناء الخدمة العسكرية لا يمكن معها أن يطبق قانون التجنيد على شباب الجمهور الحريدي"، كما أنه كان صاحب وجهة نظر تقول بأن مساهمة تلاميذ اليشيفوت ستكون سلبية وغير متوائمة مع الاحتياجات الأمنية، إلا أن "مردخاي" أيد من وراء الكواليس المشروع التجريبي لتجنيد الشباب الحريدي، ووجه رئيس شعبة الشباب وسلاح الشباب الطليعي المحارب نحو الاستمرار في المحادثات والتعاون مع الحاخامات وممثليهم السياسيين، وبذلك تبلورت بالفعل في عام ١٩٩٨ خطة لإنشاء النواة الأولى لكتيبة الناحال الحريدية على أيدي نائب وزير الدفاع الأسبق "سيلفان شالوم" ورئيس الشعبة العميد احتياط "يهودا دوبدباني" وعضوا الكنيست "أبراهام رابيتس" من حزب "يهدوت هاتوراة"، و"شلومو بينزاري" من حزب "شاس"، واللذان طالبا بتجنيد شباب الحريديم من عمر ٢٤ عاما، فحتى هذا العمر – وفقا لرأيهما– من غير الممكن معرفة ما إذا كان مستقبل الشاب سيكون في التعلم أم غير ذلك، في حين طالبت وزارة الدفاع من الجيش أن يكون سن التجنيد من عمر ٢٠ عامًا.

أما الخلاف الثاني فقد تمحور حول مدة الخدمة العسكرية، فقد تعنت أعضاء الكنيست من الحريديم وتمسكوا بضرورة تقصير مدة الخدمة العسكرية، في حين أن وزارة الدفاع والجيش وافقا على تقصير مدة الخدمة للمجندين ممن تتراوح أعمارهم ما بين ٢٤ إلى ٢٧ عام وفقا لوضعهم الأسري لكنهم أصروا على تجنيد ممن تتراوح أعمارهم ما بين ١٨ إلى ٢٠ عامًا لمدة ٣ أعوام كاملة، وعلى الرغم من التفاهمات التي تم التوصل إليها بين الجانبين، فإن المشروع لم تحل الخلافات حوله بسبب ردود الفعل الحادة في الوسط الحريدي، فعلى سبيل المثال أعلن "شلومو بنيزاري" الذي كان نائبا لوزير الصحة، عن عدم مشاركته في المبادرة الخاصة بسن تشريع حول تجنيد أبناء اليشيفوت الخاص برئيس حزب العمل وعضو الكنيست "إيهود باراك"، وقد فسر عضو الكنيست "أبراهام رابيتس" تجمد الاتصالات والمحادثات بين الجانبين بالقول:"

إن هناك عناصر علمانية زعمت أن بعد الضغوط التي قامت بممارستها علينا وافقنا على تجنيد شباب اليشيفوت، الأمر الذي أدى إلى إثارة غضب جزء كبير من جمهور الحريديم"، ومع ذلك فقد كان "رابيتس" مؤمن بأن إنشاء كتيبة الناحال الحريدية هي فكرة جيدة في حال تنفيذها، وعلى الأرض، فإنه بعد أكثر من عامين أنشأت النواة الأولى لكتيبة الناحال الحريدية بموافقة جزء رجال السياسة والحاخامات، خاصة على خلفية موافقة لجنة "طل" وتمرير القانون بالكنيست.

وخلال الفترة القصيرة التي تولى فيها "موشيه أرنس" وزارة الدفاع عقب إقالة "يتسحاق مردخاي"، وافق بشكل علني على هذا المشروع بعد أن قام بزيارة لموقع جنود الناحال الحريديم في غور الأردن، حيبث قال "أرنس":" أنتم بمثابة الطليعي الذي يسير وراء المعسكر".

وقد أعطى الانقلاب السياسي الذي حدث بصعود حزب العمل للسلطة بزعامة "إيهود باراك" دفعة كبيرة للمشروع، كما أن موقفه العلني عشية الانتخابات بخصوص الاهتمام بمشكلة تجنيد أبناء اليشيفوت، شجع عناصر من الجيش للإعلان عن مواقفهم الجادة بخصوص تجنيد الحرديدم دونما الخوف من التورط في مشاكل مع المؤسسة السياسية.

وكما هو معروف فإن ممثلي الأحزاب الحريدية في الكنيست، وهما: "أبراهام رابيتس" من حزب "يهدوت هاتوراة"، و نائب وزير الصحة الأسبق "شلومو بينزاري" من حزب "شاس"، اشتركا سرا في خروج هذا المشروع إلى النور، حيث عرض عليهم وهو في مراحلة الأولى، ومع ذلك فإن تأثيرهم على استمرار مسيرته كانت سلبية إن لم تكن معدومة، وبشكل عملي لم يشاركوا في هذا المشروع خوفا من رد فعل الحاخامات والجمهور الحريدي، حيث أن تصريحات "رابيتس" في وسائل الإعلام تدل على إنه تراجع عن رأيه وأكد على ضرورة عدم المساس بالشباب الذي يكرس حياته لتعلم التوراة، لكن في الواقع كان من الموافقين على المشروع لكنه لم يصرح بذلك علنا.

شعبة الشباب و"الناحال" بوزارة الدفاع:

لقد كان سلاح "الناحال" (الشباب الطليعي المحارب) الوحدة العسكرية الوحيدة المنظمة بشكل يناسب دمج المهام المدنية بالعسكرية بها وبالفعل في فترة إقامة الدولة أيام حرب الاستقلال (حرب ١٩٤٨) وضع "بن جورين" الأسس الأولى لسلاح الناحال من خلال نظرية الأمن الواسع التي قوى بها وضع الدولة الشابة، فقد كان الناحال الجهاز الأساسي للجيش الذي طلب منه "بن جوريون" بناء المجتمع الإسرائيلي الجديد مع فتح الأبواب أمام عشرات الآلاف من المهاجرين الجدد، وفي تصريحات كثيرة له خلال تلك السنوات أكد "بن جوريون" على فكرة "بوتقة الصهر" التي تتطهر فيها كل الطوائف المختلفة من النفايات والخبائث التي التصقت بهم في بلدان الشتات، وذلك من أجل كسر كل الحواجز وبناء الأمة.

وبالنسبة للخدمة العسكرية في سلاح الناحال فقد طالب "بن جوريون" بتأهيل شباب المهاجرين الجدد زراعيا بالإضافة إلى تأهيلهم تعليميا وثقافيا أيضا، فلقد تضمنت الخدمة في الناحال تعلم اللغة العبرية بالإضافة إلى تعلم قيم طليعية عن العمل المشترك والمسؤولية والنظام وحب الوطن، فلقد كان الهدف التعليمي والهدف الاستيطاني هما الأساس الذي قام عليه سلاح الناحال خلافا لأهدافة العسكرية الأخرى.

ولقد دمج "بن جوريون" القانون الخاص بتشكيل سلاح الناحال في إطار قانون الخدمة العسكرية لعام ١٩٤٨ الذي تم التصديق عليه بشكل نهائي عام ١٩٤٩. كما قام بتشكيل هيئة خاصة في شعبة الشباب بوزارة الدفاع والتي تحولت بشكل سريع إلى شعبة الشباب وسلاح الناحال، وأصبح رئيس الشعبة المسؤول عن قيادة وحدات الناحال العسكرية وعن بلورة الأهداف المدنية المنوطة به وعن أنشطته العسكرية أيضًا، ومنذ ذلك الوقت والهدف الأساسي لشعبة الشباب وسلاح الناحال هو التنسيق بين وزارة الدفاع وجيش الدفاع والمجتمع الإسرائيلي، بالإضافة إلى بلورة وتحديد أشكال التعاون بين هذه المؤسسات الثلاث من أجل زيادة الرغبة لدى جماهير الشباب

في إسرائيل بالتجند في صفوف الجيش، ولقد كانت قوة رئيس الشعبة المستحدثة المعين الممنوحة له من قبل وزير الدفاع في إطار تحقيقه لأهداف سلاح الناحال التي وضعت له منذ البداية على المستويين المدني والعسكري هي بمثابة نقطة الانطلاق الحقيقية التي حركت مشروع كتيبة الناحال الحريدية، فعندما قام وزير الدفاع "يتسحاق مردخاي" بتعيين "يهودا دوبدباني" رئيسا لهذه الشعبة في صيف ١٩٩٦، منحه الكثير من الصلاحيات والتفويضات، حيثث كان "دوبدباني" من أوائل من بادروا بهذه الفكرة كما كان بمثابة "الأب الروحي" لكتائب الناحال الحريدية منذ الخطوات الأولى لإنشائها.

وقد كان وزير الدفاع "يتسحاق مردخاي" هو من غير إسم الشعبة من "شعبة الشباب والناحال" إلى "شعبة الشباب والناحال والمهام القومية" وهذا التغيير في الإسم تطلب أيضا تغييرا في ماهية المهام المقرر أن تقوم بها الشعبة وفي ترتيب سلم أولوياتها، التي كان أولها هو رعاية المجتمع الإسرائيلي بكل قطاعاته وطوائفه من خلال إعداد الشباب قبيل التجنيد في الجيش بشكل جيد وتشجيعهم على القتال والتضحية من أجل الوطن، والعمل على زيادة أعداد الشباب المتطوعين في الجيش، بالإضافة إلى تجنيد الشباب من الحريديم الذين لا يدرسون في "اليشيفوت" من خلال التفاوض مع الزعماء الحريديم فيما يخص هذا الموضوع، وهذا ما أكد عليه العميد احتياط "يهودا دوبداني" في أحد اللقاءات التي أجريت معه، حيث قال:"حينما ألقيت على عاتقي مسؤولية رئاسة الشعبة، كانت إحدى المهام القومية الكبرى والمهمة من وجهة نظري هي توحيد شعب إسرائيل، فلقد رأينا كيف دمرنا بأنفسنا الهيكل الأول والهيكل الثاني بسبب تنزاعنا مع بعضنا البعض، وقد شعرت بأننا يجب أن نفعل شيئا ما وهو توحيد الشعب لأن التنازع فيما بيننا سيؤدي أيضا إلى خراب الهيكل الثالث، وانطلاقا من هذه الفكرة بدأت في العمل".

وفي بداية قيامه بمهام عمله حاول "دوبداني" التعرف عن قرب على مشكلة الشباب الحريدي الذين هربوا من "اليشيفوت" ولم يكملوا دراستهم به وعلى المشكلة التربوية

الخاصة بالشباب الذين نشأوا في المجتمع الحريدي، لذلك فقد كان يقوم بحضور دروس "الجمارا" التي كان يلقيها الحاخام "يستحاق بر حاييم" شقيق الحاخام "ناتان بر حاييم" رئيس معهد "ليف" الديني بالقدس للشباب الحريديم.

وبعد أن تكونت المجموعة الأولى المكونة من ٢٠ شابًا من أبناء الطائفة الحريدية انتقلت مناقشة الموضوع إلى إحدى الجلسات العاصفة برئاسة وزير الدفاع وكان أحد المعارضين للمشروع هو"حاييم يسرائيلي" القائم بأعمال مدير عام وزارة الدفاع، وصاحب الخبرة الكبيرة في حل الأزمات الخاصة بالمجتمع الإسرائيلي، حيث أنه تولى منصبه لأكثر من ٢٠ عاما منذ أيام "بن جوريون"، وكانت أحد أهم أسباب معارضته لهذا المشروع هو اعتقاده بأنه سيتسبب في كثير من الفضائح السياسية والاجتماعية.

وقد احتوت تلك المجموعة الأولى على سرية صغيرة تم إيفادها إلى منطقة غور الأردن، وتلقت بعض الدورس حول التفسيرات التوراتية لدخول الشعب اليهودي إلى أرض إسرائيل تحت قيادة "يشوع بن نون"، في حين قرأ أحد أوائل المجندين فقرات من الإصحاح الثالث من سفر "يهشوع بن نون"، والتي جاء فيها :"وَعِنْدَمَا تَسْتَقِرُّ بُطُونُ أَقْدَامِ الْكَهَنَةِ، حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ سَيِّدِ الأَرْضِ كُلِّهَا، فِي قَاعِ مَجْرَى نَهْرِ الأُرْدُنِّ، تَتَوَقَّفُ مِيَاهُهُ الْمُنْحَدِرَةُ مِنَ الْمُرْتَفَعَاتِ، عَنِ الْجَرَيَانِ وَتَتَجَمَّعُ عَلَى نَفْسِهَا (كَجِدَارٍ)، وَحِينَ ارْتَحَلَ الشَّعْبُ مِنْ خِيَامِهِمْ لِيَعْبُرُوا نَهْرَ الأُرْدُنِّ، وَفِي طَلِيعَتِهِمِ الْكَهَنَةُ حَامِلُو تَابُوتِ الْعَهْدِ، كَانَ نَهْرُ الأُرْدُنِّ يَفِيضُ عَلَى جَمِيعِ ضِفَافِهِ، لِحُلُولِ مَوْسِمِ الْحَصَادِ،وَمَا إِنْ أَقْبَلَ الْكَهَنَةُ حَامِلُو التَّابُوتِ عَلَى مِيَاهِ الأُرْدُنِّ وَغَسَلُوا أَرْجُلَهُمْ فِي ضَفَّةِ الْمِيَاهِ، حَتَّى تَوَقَّفَتِ الْمِيَاهُ الْمُنْحَدِرَةُ مِنَ الْمُرْتَفَعَاتِ عَنِ الْجَرَيَانِ، وَأَخَذَتْ تَتَرَاكَمُ عَلَى نَفْسِهَا كَمَا لَوْ كَانَتْ مَحْجُوزَةً وَرَاءَ سَدٍّ، بَعِيداً جِدّاً عَنْ مَدِينَةِ أَدَامَ الْمُجَاوِرَةِ لِبَلْدَةِ صَرْتَانَ، أَمَّا الْمِيَاهُ الْمُنْصَبَّةُ فِي الْبَحْرِ الْمَيِّتِ فَقَدِ انْقَطَعَتْ تَمَاماً عَنْهُ. وَهَكَذَا عَبَرَ الشَّعْبُ قُبَالَةَ أَرِيحَا، فَوَقَفَ الْكَهَنَةُ حَامِلُو تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ فِي وَسَطِ مَجْرَى نَهْرِ الأُرْدُنِّ رَيْثَمَا تَمَّ عُبُورُ جَمِيعِ الشَّعْبِ فَوْقَ أَرْضِهِ الْيَابِسَةِ نَحْوَ الضَّفَّةِ الأُخْرَى".

ولقد كان "دوبدباني" هو أول من بلور - بالمشاركة مع الحاخامات - خطة تفعيل عمل السرية الأولى من كتائب الناحال الحريدية وقد وضعوا لها جدول أعمالها اليومي بشكل مفصل فتضمن مواعيد أداء الصلوات المختلفة، ومواعيد تلقي دروس الجمارا، وأسلوب ونمط الحياة المقرر الذي رسمه الحاخامات بشكل خاص، وبعد أن توصل إلى اتفاق مع الحاخامات الذين شاركوه في إعداد هذا العمل بدأت جلسات واجتماعات شعبة القيادة البشرية وقيادة سلاح الناحال واتفقا على الموضوعات المختلفة الخاصة بمهام رؤساء الأجهزة والقادة العسكريين في هذه الكتائب، كما نجح "دوبدباني" في إشراك "ران جلينكا" ضابط التعليم الرئيسي وقائد سلاح الناحال في تلك الفترة، في هذه الخطة والذي مكنه من تنفيذ كل مطالبه وأهدافه من خلال الاستجابة لتنفيذ كل أفكاره ووجهات نظره المتعلقة بهذه الخطة، إلا أن الحاخامية العسكرية الرئيسية لم تتدخل لحل المشاكل الدينية فيما يتعلق بهذه الخطة، لذلك فقد جند "دوبداني" الحاخام "شمعون ماليح" الذي كان حاخام قيادة التعليم الرئيسية وسلاح الناحال والذي نجح بفضل مساعدته له التغلب على العقبات التي واجهته وتأسيس هيكل حريدي جديد داخل إدارة الحاخامية العسكرية الرئيسية.

ولم يكن من السهل إقناع القيادة العسكرية العليا بأن سرية الناحال الحريدية قادرة على القيام بالمهام الأمنية الملقاه على عاتقها والوصول إلى المستويات العليا من المهارة القتالية لسلاح المشاة، إلا أن ضغوط "دوبداني" المستمرة على القيادة العسكرية لمنطقة غور الأردن وعلى اللواء قائد المنطقة العسكرية آتت ثمارها وذلك بعد زيارته لتمرينات إطلاق النار للسرية الأولى من كتائب الناحال، ومع الحصول على موافقة اللواء "موشيه بوجي يعلون" قائد المنطقة العسكرية المركزية، أرسلت السرية الحريدية إلى قاعدة "ينشوف" في غور الأردن وبدأت في القيام بالمهام التنفيذية المكلفة بها.

وبهذا نجح "دوبداني" في فتح الباب أمام الشباب الحريدي من طوائف يهود الولايات المتحدة وفرنسا، ففي الدورات التدريبية للسرية إنضم عدد من الشباب الحريدي ممن

جاءوا من خارج البلاد، لكن اليوم يوجد في كل دورة تدريبية ١٠% من المجندين ينتمون لطوائف الحريديم من الولايات المتحدة وفرنسا.

واستمر "دوبداني" في قيادة هذا المشروع أثناء فترة تواجده في منصبه، ولكن بعد أن أنهى مدة خدمته، رأى فيه الحاخامات حلقة الوصل بينهم وبين رؤساء الأجهزة الأمنية وقادة جيش الدفاع، كما أن "دوبداني" الذي اعتبر أن كتائب الناحال الحريدية تقوم بمهمة وطنية من الدرجة الأولى استمر في تشجيع فكرة إنشاء وحدة عسكرية حريدية في غور الأردن من خلال تقديم الإقتراح لإقامة مستوطنات في تلك المنطقة للمتخرجين من كتائب الناحال الحريدية.

وقد أيد "بيلو ميشوري" الذي خلف "دوبداني" في منصبه هذا المشروع أيضا وحاول بقدر استطاعته المساهمة في حل المشاكل التي واجهت هذا المشروع، وخلال فترة توليه منصبه تبلورت كتيبة الناحال الحريدية ككتيبة مستقلة بذاتها، وفي الواقع أصبحت بمثابة وحدة عسكرية كاملة، والإشراف على هذه الكتيبة المنشأة الحديثة انتقل من شعبة الشباب وسلاح الناحال إلى قيادة الجيش العليا، ومن حينها والشعبة أصبحت مكلفة بالإشراف على النواحي الفنية واللوجيستية فقط وبإجراءات تجنيد الشباب، وأيضا في شعبة القوى البشرية بدأوا يحرصون على زيادة أعداد الشباب الذي يطلب التجند في كتيبة الناحال الحريدية، بسبب ضغوط المسؤولين عن اليشيفوت لإرسال تلاميذهم للكتيبة الحريدية، وهذا التوجه نشأ نتيجة قرار الجيش السماح للفتيات بالتجند بالوحدات العسكرية القتالية سويا مع الفتيان، وهذا ما لم يرض عنه الحاخامات وطالبوا بإيجاد حل لمشكلة الخدمة العسكرية يمكن من خلالها لأبناء اليشفوت القيام بها دون أن يتعاملوا مع النساء وكانت كتيبة الناحال الحريدية هي الحل الأمثل لذلك، أما شعبة الشباب وسلاح الناحال فقد طالبت من جانبها بضرورة الابتعاد عن مشاكل الدين والحاخامات، أو محاولة التقليل منها وذلك بتنظيم الكتائب الحريدية على غرار تشكيل كتائب "نتساح يهودا"، وهذا ما عبر عنه "بيلو" رئيس الشعبة في لقاء أجراه مع صحيفة "هاآرتس" يوم ٢/٢/٢٠٠١ ، حيث قال:" أنا غير معني بتشكيل

روح عسكرية قتالية داخل الوحدات العسكرية بل معني بتدريب المجندين بشكل جيد، وربطهم بالحياة العسكرية بنواحيها الفنية واللوجيستسة، والاهتمام بأنهم سيتلقوا كل المساعدة الممكنة لكونهم جنود متدينين، والاهتمام بسنة المشروع التي يأهلون فيها بشكل جيد للالتحاق بالحياة العملية الانتاجية بالمجتمع الإسرائيلي.

الحاخامات المعلمون:

إن أساس مشروع كتائب الناحال الحريدية ميز بين مستويين من الزعامات الحاخامية، وهما: الزعامة الروحية للطوائف الحريدية المختلفة، والحاخامات المعلمون الذين تبنوا هذه الفكرة من أجل توفير مخرج لأولئك الشباب من الحريديم من أزمتهم بعد أن تركوا اليشيفوت ولم يتمكنوا من استكمال دراستهم داخل "المدراشيم" إما لأسباب شخصية أو لأسباب ثقافية ولم يجدوا لأنفسهم مجال محدد وشرعي يستطيعون من خلاله بناء مستقبلهم وتوفير مصدر دخل يضمن لهم حياة كريمة.

ولقد كان الحاخام "ناتان بر حاييم" رئيس معهد "ليف" بالقدس من أهم من شجعوا فكرة كتائب "نتساح يهودا" وأحد الشخصيات المحركة لها من وراء الكواليس، مستغلا في ذلك التطور التاريخي الذي طرأ على القطاعات الجماهيرية الحريدية في السنوات الأخيرة، حيث إنه وفقا لما قالة الحاخام "حاييم" فإن الطوائف الحريدية الراقية في وسط وشرق أوروبا استمرت في صراعها ومواجهاتها للصهيونية العلمانية من أجل الحفاظ على نمط حياتها وعلى ارتباطها بعالم التوراة وفرائضها، لذلك فإن الخلفية الانعزالية للمجتمع الحريدي هي بمثابة حرب دفاعية عن كيانه، والتي استمرت لعشرات السنين، وحتى بعد قيام الدولة، إلا أنه في السنوات الأخيرة تحول الجمهور الذي كان بمثابة طائفة صغيرة ومنعزلة تحول فجأة إلى عضو فاعل ومؤثر داخل نسيج الحياة الاجتماعية في إسرائيل، حيث زادت العلاقات والصلات بين المجتمع الحريدي والجمهور الإسرائيلي، فتحول من مجرد طائفة إلى جمهور كبير صاحب تأثير قوي على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وعلى جميع مستويات الحياة الأخرى ودخوله إلى مجال الجيش هو أحد أهم مظاهر انخراطه في الحياة

العملية للشعب الإسرائيلي، ولقد كان المقصود من الفكرة التي تبناها الحاخام "بر حاييم" هو تزايد التعاون بين الجمهور الحريدي والمجتمع الإسرائيلي، ومن خلال ذلك يتم إشراكهم في جميع قطاعات المجتمع، وذلك مع حفاظهم في نفش الوقت على هويتهم وعلى نمط حياتهم وعقائدهم.

وبالنسبة للحاخام "بر حاييم" وللمجتمع الحريدي أيضا فإن فكرة كتائب الناحال الحريدي هي مشروع تجريبي، ويجب إدارته بحكمة وبحساسية بالغة من خلال الاهتمام باحتياجات الجماهير الحريدية، وإذا نجح المشروع فإن الجمهور الحريدي سيجد له طريقا ليكون مشاركا ومؤثرا داخل المؤسسة العسكرية.

إلا أن كلمات الحاخام "بر حاييم" تظهر تناقضا كبيرا بين الرغبة في أن يكون الحريديم مشاركون ومؤثرون في المجتمع وبين فكرة حفاظهم على نمط حياتهم وعدم تأثرهم بحياة الخدمة العسكرية، كما يلاحظ أيضا في كلامه تفهمه الكبير لأن من يريد من الحريديم أن يكون فاعلا ومؤثرا في المجتمع سيجد نفسه متأثر بشكل كبير بالقيم الاجتماعية والثقافية العلمانية داخل جيش الدفاع.

وبالنسبة للحاخام "يتسحاق بر حاييم" شقيق "ناتان" فقد كان من مؤيدي هذه الفكرة وهو يصاحب كتائب الناحال الحريدي حتى هذا اليوم فقد جاهد من أجل حل مشكلة الشباب الذين انقطعوا عن اليشيفوت لسنوات طويلة وذلك لأنه الحاخام المعلم لليشيوف الليتواني "أدوكا"، فقد أخذ على عاتقه مهمة مجموعة منهم كما حاول أيضا الدمج بين تعليم التوراة والعمل، واتضح له إنه لا توجد إمكانية حقيقة لإنخراط هؤلاء الشباب في سوق العمل لأنهم لم يخدموا في الجيش كما أنهم لا يمتلكون أي ثقافة عامة، لذلك فقد حاول حل مشكلة هؤلاء الشباب عن طريق أداؤهم للخدمة الوطنية، لكن كل محاولته للتوجه للمنظمات الحريدية مثل منظمة "يد ساره" أو "يد أليعازر" قوبلت بالرفض، على الرغم من أنه توقع أن يستجيبوا له بحكم قربهم من الطائفة الحريدية ومعرفتهم الواسعة بمشاكلها وأزمتها التي تمر بها، ومع ذلك فإن كل المنظمات الحريدية الناشطة في مجال الخدمات العامة لم تمد له يد العون والمساعدة، وفي تلك

المرحلة أقام علاقة مع "يهودا دوبداني" رئيس شعبة الشباب والناحال الذي قاد فكرة الناحال الحريدي.

كما ساهم الحاخام "دافيد بلوخ"- الذي يعيش في سط الطائفة الحريدية بمنطقة "بني باراك"- بشكل كبير في البدايات الأولى لإرساء النواة الأولى لكتائب "نتساح يهودا"، والحاخام "بلوخ" هو رئيس اليشيفا الإعداية بمدرسة "حنا"، ونشأ وتربى في مستوطنة عمال نقابة إسرائيل وتعلم في اليشيفوت الحريدية لــ"بني باراك"، كما خدم في الجيش وكان حاخام سلاح المدرعات، وهو من الذين يؤكدون على التنوع الكبير داخل المجتمع الحريدي.

وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت في أوساط الجمهور الحريدي بقية من أنصار الحاخام "شموئيل أويعرباخ" الذين اعترفوا بضرورة مساعدة الشباب الذين تركوا اليشيفوت لكنهم تخوفوا من ذلك لسببين، أولهما: هو الارتياب المستمر من السلطة العلمانية في البلاد التي إذا أعطيتها إصبع واحد ستطلب كل اليد، أي إنه بعد الخطوة الأولى في تجنيد مجموعة من شباب الحريديم ستطالب السلطات بتجنيد كل شباب اليشيفوت، والسبب الثاني هو الخوف من أن فكرة الناحال الحريدية تنجح وتتطور الأمر الذي يؤدي إلى أن يضطر شباب اليشيفوت الراغبين في إكمال دراستهم إلى التجند في صفوف الجيش.

ومن الحاخامات المؤيدين أيضا لهذا المشروع كان الحاخام "دافيد بوكس" الذي صاحب الكتيبة من يوم إنشاءها، حيث حاول هو الآخر أن يساعد الشباب الذين انقطعوا عن اليشيفوت ولم يجد حلا لمشكلتهم إلا في إطار مشروع الناحال الحريدي والذي مكنهم من الخدمة في الجيش بالإضافة إلى تعلم حرفة تساعدهم على الانخراط في سوق العمل والحياة بالمجتمع الإسرائيلي، كما رأى الحاخام "يوئيل شفريتس" في الناحال الحريدي حدث تاريخي في بداياته الأولى و أن مستقبله مبشر، وحول التساؤل عن ما هي الدوافع التي تقف وراء توجه زعماء الطائفة الحريدية لهذة الفكرة، يجيب قائلا:" إننا من الممكن أن ننظر لهذا الموضوع من جانب أن الواقع العملي يدل على

وجود شباب غير مؤهلين، والطائفة الحريدية حينما كانت صغيرة كان بإمكانها رعاية واحتواء مثل هؤلاء لكن حينما زاد حجمها وعددها لم تتمكن من حل مشاكلهم وبالتالي نشأت مشكلة كبيرة وجربوا كل الحلول الممكنة وتوصلوا في النهاية إلى أن الحل الوحيد يكمن في الخدمة العسكرية".

ولقد بادر الحاخامات المعلمون باقتراح مشروع الناحال الحريدي وأنشأوا نظيرا له تحت اسم "نتساح يهودا" التي تعد الجهة المدنية التي صاحبت المشروع منذ إنشاؤه، ومهمتها هي تأهيل الشباب الحريديم المجندين في الجيش، كذلك فإنها تقوم بأعمال الدعاية والإعلان لمواجهة إشاعات الكراهية والإفتراء التي تنتشر في الشارع الحريدي، كما يقوم الحاخامات باستقبال الشباب المرشحين للتجنيد ويصاحبونهم حتى ينتهون من أداء خدمتهم العسكرية، وذلك بهدف حضهم على الحفاظ على نمط حياتهم ومساعدتهم على إشباع احتياجاتهم الروحانية والمادية، أما المهمة الثانية للحاخامات فهي مصاحبة الحريديم المجندين خلال أدائهم للخدمة العسكرية من أجل الاحتفاظ بنمط حياتهم الديني داخل الوحدات العسكرية، لذلك فقد كان الحاخامات على اتصال يومي بقادة الوحدة العسكرية سواء في قاعدة التدريبات الأولية أو مواقع التدريبات والمهام القتالية التنفيذية في منطقة غور الأردن، كما أنهم كانوا يلتقون بجنود الوحدة يوميا، فيقومون بدعمهم معنويا نظرا للصعوبات الحياتية التي كانوا يواجهونها أثناء الخدمة العسكرية.

وتجب الإشارة إلى أن هناك الكثير من أسر الجنود المجندين الحريديم عارضت بشدة إنضمامهم لجيش الدفاع، كما أن بعضها طردت أبنائها من البيت، فعلى سبيل المثال أثناء الدورة التدريبية لعام ٢٠٠٣ حصل ٢٠% من جنود الكتيبة على صفة "جندي بلا مأوى"، حيث قام الجيش بمساعدتهم ماديا، وقد إهتمت "نتساح يهودا" بشكل بالغ بهولاء الجنود الذين بلا مأوى خاصة في أوقات الأجازات وفي المناسابات والأنشطة الاجتماعية التي تمنح الجنود الإحساس بالانتماء إلى أسرة وتمنحهم أساسا روحيا اجتماعيا.

ونظرا لأن الجيش لم يقم بالترتيبات اللازمة ليتمكن الجنود الحريديم من الحفاظ على نمط حياتهم كما هو مطلوب فقد قامت "نتساح يهودا" بتوفير احتياجاتهم الدينية "الكتب المقدسة، شال (طاليت) الصلاة، (التيفيلين) تميمة الصلاة، (الكاشير) الطعام الحلال وفقا للشريعة اليهودية، وما شباه ذلك".كما كان الحاخامات يزورون القاعدة العسكرية يوميا لتلقين المجندين الحريديم دروسا عن التوراة التي من شأنها أن تقوي موقفهم الروحي والديني.

ومنذ المراحل الأولى من إقامة الكتيبة كان قادتها العسكريين يستعينون بالحاخامات المصاحبين لها في كل خطوة أو إجراء يتخذونه حتى لا يلحقوا الضرر بالجنود المتدينين أو بفرائض الدين، حيث قام الحاخامات بالإشراف على الأنشطة التنفيذية بالكتيبة لمنع الاحتكاكات السلبية التي تنشأ نتيجة التصادم بين احتياجات الجيش واحتياجات الدين، فمنذ مرحلة إنشاء الكتيبة كان الحاخامات منخرطون في كل التفاصيل المرتبطة بها.

وقد تم تشكيل جدول أعمال الكتيبة من جانب قادتها بتوجية من قادة سلاح الناحال وشعبة الشباب والناحال بالإضافة إلى الحاخامات المصاحبين للكتيبة، حيث تضمن مواعيد لأداء الصلوات و الحفاظ على تناول الأطعمة الحلال وفقا للشريعة، والقيام بالفرائض الدينية وإلقاء دروس يومية في التوراة وتجنب الاختلاط مع المجندات خلال التدريبات أو الدورات والحرص على إقامة فروض يوم السبت كذلك من خلال تنفيذ المهام العسكرية المطلوبة، فطوال الوقت كان من الواضح للحاخامات أن الإضرار بالفرائض الدينية من شأنه أن يؤدي إلى عرقلة هذا المشروع، حيث وجهت انتقادات كبيرة من جانب الجمهور الحريدي، لذلك فقد اهتموا بالحصول على تأييد كبار الحاخامات لهذا المشروع مثل الحاخام "رأوبين مائير" الذي ساهم في التنسيق والترتيب له منذ مراحله الأولى.

رعاة التوراة:

اعترض بعض الحاخامات الذين يتزعمون المجتمع الحريدي على فكرة التجنيد يالجيش، فقد هاجم بشدة الحاخام "أليعازر مناحم شاخ" الجيش وقال إنه يجب التضحية بالنفس وليس الذهاب لصفوف الجيش، واشترك معه في ذلك أيضا كل من الحاخام "شمويل أويعرباخ" والحاخام "شافيرا" ،وقد نشر مجلس "رعاة التوراة" خطاب اعتراض بصحيفة "يتد نإمن" هاجموا فيه هذا المشروع الذي يضر بشكل بالغ بمستقبل "اليشيفوت" وتدريس التوراة.

أما حاخامات حزب "شاس" بما فيهم الحاخام "عوبديا يوسف" فلم يتخذوا موقفا إيجابيا من ذلك الموضوع بل قبلوا رأي حاخامات "رعاة التوراة" فيما يتعلق به، وبالنسبة للحاخامات السفارديم فلم يرغبوا في الظهور كقادة للتغيير الذي يلحق الضرر بتعلم الدين وبتعلم التلمود وبتلاميذ "اليشيفوت".

أما الحاخام "يوسف شالوم أليشيف" والحاخام "شتاينمان" اللذان يعدان الزعيمان الروحيان للتيار الحريدي الليتواني بعد وفاة الحاخام "شاخ"، فقد أيدوا فكرة إنشاء الناحال الحريدي لكنهم رفضا أن ينشرا رأيهما هذا في الصحف، فقد أيد الحاخام "شتاينمان" هذه الفكرة طالما لا تضر بتلاميذ "اليشيفوت" المستمرين في دراستهم، بل والأكثر من ذلك فقد رأى أن رؤساء "اليشيفوت" هم من يحدد من هو الشاب الذي يذهب للجيش ومن هو الذي يستمر في تعليمه، وحول هذا الموضوع اختلف رأي الحاخام " شتاينمان" مع الحاخام "أويعرباخ"، وهذا الخلاف كشف عن أزمة حقيقية في زعامة حركة "راية التوراة" التي لم تتفق على شيء بعدما فصل منها الحاخام "شاخ".

ولقد توجه الحاخامات لفكرة الناحال الحريدي لهيئة تحرير الصحيفة الحريدية "يتد نإمن" لكي لا تهاجم الفكرة ومؤيديها، حيث إن نجاحها من شأنه أن يزيل الضغوط الجماهيرية والسياسية من على القطاع الحريدي ويحقق حل وسط فيما يتعلق بمشكلتهم دونما تمييز.

المعارضة بالشارع الحريدي:

لقد عارض الجمهور الحريدي بكل قوة فكرة إنشاء كتائب ناحال حريدية، حيث رأى بها حربا أبدية على مستقبل اليشيفوت وتعلم التوراة، وقد حارب رؤساء اليشيفوت تلك المبادرة خوفا من أن تكون مقدمة لتجنيد كل شباب البشفوت بشكل عام، ففي شهر يناير عام ١٩٩٩ كتب الحاخام "شموئيل أويعرباخ" خطاب شديد اللهجة تم نشره في جميع اليشيفوت هاجم فيه إبرام اتفاقات مع الجيش، والتي رأى فيها انتهاكا ومؤامرة على قدسية اليشيفوت، ورأى بأولئك الذين اقترحوا هذه الخطة أنهم من أخذ على عاتقهم مهمة التوصل إلى حل وسط مع السلطات الصهيونية.

ولقد خرج هذا الصراع ضد التجند بكتائب الناحال الحريدية إلى الشارع الحريدي، حيث تجمع الألاف منهم في مظاهرة احتجاج بشارع "ميدان السبت" بالقدس، في حبن هتف الحاخامات الذين دعوا إلى هذه التظاهرة يقولون "صرخة السماء والأرض"، ولقد تمت دعوة كل الجماهير الحريدية إلى هذه التظاهرة، والتي شارك فيها هؤلاء الحاخامات: "يسرائيل يعقوب فيشر"، "دايفيد سالوتشيك" رئيس "يشوف بريسك" "أرييه فينكال" من رؤساء "يشوف مير" و"موشيه شترنبوخ" و"شموئيل أويعرباخ" رئيس "يشوف معلوت توراة" و "بن تسوين موتسفي" رئيس "يشوف بني تسوين" و"ميخال فاينشتاين" رئيس يشوف "بيت يهودا" و"يوسف بنيامين فازنر"، بالإضافة إلى الكثير من زعماء الجمهور الحريدي، وقد أفتتحت هذه التظاهرة بتلاوة أجزاء من سفر المزامير، وبعد ذلك شرح مقدم التظاهرة موضوع تجند الحريديم بالجيش ومدى خطورته الكبيرة على الجمهور الحريدي.

ولقد أرسل رئيس مجلس رعاة التوراة الحاخام "ميفينيتش" برسالة قوية أثناء التظاهرة يدعو فيها إلى عدم المضي قدما في مشروع الناحال الحريدي، قائلا: "إن هذا المشروع له صلة بازدياد الشر وأنه تدمير لكل شيء مقدس"، كما هاجم "رعاة التوراة" المؤسسة الصهينوية المخيفة التي تضع العراقيل أمام الشباب الحريدي بمحاولة تجنيدهم بالجيش.

ولقد قاد "زائيف جروسمان" الصحفي بصحيفة "يتد نإمن" الحريدية، معسكر المعارضة ضد إنشاء الناحال الحريدي، الذي قام بإعداد ونشر كتيب خاص تحت عنوان "**بالمفاوضات، وبالاتفاقات والتفاهمات: قصة رحلة التوصل إلى حلول وسط وإنشاء وحدة عسكرية خاصة بديلة لليشيفوت**"، والتي هاجم فيها بشكل حاد مباردة إنشاء كتيبة الناحال الحريدية ورأى بها أنها مؤامرة على عالم اليشيفوت الحريدية، وقد تم إعداد هذه الكراسة بطلب من زعماء جماعة "رعاة التوراة" وذلك من أجل إزالة حالة الضبابية التي نشأت بالآونة الأخيرة عقب محاولات نشر أفكار عن حدوث اتفاقات وتسويات سرية جديدة فيما يتعلق بهذا الموضوع، حيث رأى الحاخامات أن هناك خطرا كبيرا بإغراء الشباب لتجند بالجيش.

ولقد تركزت مخاوف الحريديم حول أن الجيش لا يضع نصب عينية شباب الحريديم المتسربين من اليشيفوت فقط بل يستهدف تجنيد كل الكتلة السكانية الحريدية، لذلك فقد هاجموا عضو الكنيست "أبراهام رابيتس" الذي قال في مقابلة مع الصحيفة الأسبوعية "بقهيلاه" أن الكثير من أبناء الطائفة الحريدية لا يدرسون باليشيفوت، وأيضا إذا وصفوا أنفسهم كتلاميذ اليشيفوت على الرغم من إن هدفهم هو الارتباط بعالم التوراة فإنهم لايرغبون أو لايستطيعون الاستمرار بالتعلم داخل اليشيفوت وانطلاقا منذ لك فإنه يمكن تجنيدهم بجيش الدفاع.

أما "ناتان زائيف جروسمان" الصحفي بصحيفة "ييتد نإمن" فقد انتهج موقفا متشددا للغاية والقائل بأنه لا توجد أية إمكانية للمحادثات وأن طريق المواجهة الوحيد هو التمسك بعالم التوراة، حيث قال :"أيضا في هذا الموضوع فإن توراتنا ما تزال بأيدينا، وفي مرحلة الضغوط والتهديدات يجب أن تمسك أكثر وأكثر بمواقفنا"، ووفقا لـــ" جروسمان" فإن من اختاروا التفاوض حول موضوع يعد من أكثر الأشياء حيوية للجمهور الحريدي، فإن الرد الوحيد عليهم هو:" لا تعليق"، كما قوبل الحاخامات الذين أيدوا هذه الفكرة بالإهانات وألفاظ التوبيخ من قبل الشارع الحريدي وكتبت على جدران منازلهم عبارات توبيخ وشتائم.

وفي منتصف شهر إبريل عام ١٩٩٩ اجتمع شباب اليشيفوت والمجندين الجدد بالدورة التدريبية رقم "ب" في النادي البلدي بحي "روممام" بالقدس من أجل التحدث مع رئيس شعبة الشباب والناحال بالجيش "يهودا دوبداني" حول أسلوب الخدمة العسكرية، ووصل خبر هذا اللقاء إلى زعماء الجمهور الحريدي، وحينها تم استدعاء العشرات من الشباب الذين اقتحموا هذا الاجتماع وأحدثوا به فوضى عارمة.

ومع ذلك فإنه تجدر الإشارة إلى أن مظاهرات الاحتجاج وعبارات التوبيخ والشتائم على جدران منازل الحاخامات بالقدس هي من عمل العناصر الأكثر تشددا داخل المجتمع الحريدي ولا تعبر بالضرورة عن أولئك الصامتين داخل المجتمع الحريدي كله.

ومع التقدم في إنشاء كتيبة الناحال الحريدية فقد هدأت أصوات المعترضين والمتهكمين، لكن ظل الكثير ممن لم يستسلموا للأمر الواقع، ولقد كان رد أحد قادة الصراع ضد إنشاء الكتيبة أن فشل فكرة تجنيد عشرات الألاف من شباب الحريديم وإخراجهم من تحت مظلة التوراة هو المسؤول عن الهدوء الذي ساد الشارع الحريدي، فالتهديد زال ولم يعد هناك أي خطر يذكر حيث أن المجندين هم تلاميذ "اليشيفوت المنظمة" وشباب من قطاع الحريديم الوطنيين وبعض الشباب الهامشيين الذين تسربوا من التعليم الديني ولا ينتمي لعالم اليشيفوت لذلك فلقد زالت المخاوف من قلوب "رعاة التوراة" والجمهور الحريدي.

مواقف الآباء:

اشترك في الصراع ضد إنشاء كتيبة الناحال الحريدية أيضا آباء الشباب الحريديم الذين لم يكونوا مستعدين لأي حل وسط بخصوص هذا الموضوع، وفي المرحلة الأولى فقد قاطع وطرد بعض الآباء أبنائهم الذين يرغبون بالتجند في الجيش، حيث إن هجر الشاب لليشيفوت كان يلحق الخزي والعار بالأسرة ويقلل من فرص زواج شقيقه أو شقيقته، فعلى سبيل المثال إبن أحد الخامات المهمين بإحدى الطوائف الحريدية لم يسمح له بالعودة إلى البيت وبعد مفاوضات مع شعبة الشباب والناحال

وافق الأب على تخصيص حجرة جانبية له بالبيت لكن لم يسمح له بدخول البيت بملابس وسلاح جيش الدفاع.

ولقد كانت علاقة معظم الآباء الحريديم لهذا المشروع سلبية للغاية، حيث كانوا يفضلون أن يستمر أبنائهم بدرساتهم باليشيفوت ويصبحون حاخامات، لكن أصبح توقف التلاميذ عن الدراسة فيما بعد أمرا واقعا، كما أن البطالة والتسكع في الشوارع أخفت في داخلها مخاطر تدهور الأوضاع وأصبح التجند بالجيش يمثل بارقة أمل والالتحاق بكتيبة "نتساح يهودا" فتح الباب أمام الشاب الحريدي للانخراط في كل مجالات الحياة كما سيبقيه مرتبطا بعالم التوراة ويؤمن له أيضا مجالا للتكسب منه بالمستقبل، ومع ذلك كله فقد إرتاب الآباء من الأقوال التي صدرت من داخل أوساط الجمهور الحريدي المؤيدة لهذا المشروع، وفي إطار الأسرة طلبوا من الإبن المجند عدم الوصول إلى البيت مرتديا ملابس الجيش، حتى لا يقوم بإغراء أشقائه الصغار، وبالفعل في المراحل الأولى خرج المجندين الحريديم لأجازتهم بدون ملابس وسلاح الجيش وقللوا من كلامهم بين أصدقائهم وأشقائهم عن الحياة داخل الجيش.

ويذكر إنه كلما ارتفع عدد الجنود بكتيبة الناحال الحريدية الذين تنتمي أسرهم للتيار الديني القومي زاد تأييد الآباء لأداء أبنائهم للخدمة العسكرية ففي الدورة التدريبة لشهر مارس ٢٠٠٤ وصف ٧٧% من المجندين الحريديم أسرهم بأنه مؤيدين لتأيدتهم الخدمة العسكرية، وفقط ١٠% منهم قالوا أن آبائهم يعارضون ذلك.

والأمثلة التالية تعكس النظرة السلبيبة للآباء الحريديم للخدمة العسكرية ففي يوم ١٧ فبراير ١٩٩٩ انعقد "يوم الآباء الأول لجنود الدورة التدريبية الأولى"، والذي شارك به عدد قليل من الآباء في حين حظى عدد من المجندين بزيارة أصدقائهم لهم ولم يحظوا بزيارة أسرهم، أما أبناء الأسر المشاركة في هذا اليوم فقد رأوا للمرة الأولى قاعدة عسكرية، كما عرضت أمام ضيوف الحاضرين وسائل قتالية مختلفة وشرحوا لهم خطة التدريبات الأولية وأسلوب الخدمة في "نتساح يهودا"، أما في الاحتفال الخاص بأداء القسم العسكري فلم يحضره أيضا الكثير من الآباء ومن حضروه طلبوا عدم

الكشف عن أسمائهم، وقد وصف أحد الآباء الذين حضروا هذا الاحتفال المشاعر المتداخلة التي اعتلت أفراد الأسرة تجاه تجند ابنهم بالجيش، حيث قال:" كنت أفضل أن يكون باليشيفوت، لكن من اللحظة التي ترك فيها الدراسة، فقد مثل التجند بالجيش بالنسبة له حلا ممتازا فهو يمكنه أن يساهم في الخدمات الوطنية وأن يبقى حريديا أيضا، لكنني في البيت أطلب منه ألا يتحدث عن الجيش لأخوانه أو لأصدقائه لأنني على الرغم من ذلك كله أرغب في أن يتوجهوا إلى اليشيفوت لا إلى جيش الدفاع".

الفصل الثالث: كتائب الناحال الحريدية: من مشروع تجريبي إلى كتيبة قتالية

في السنوات الأولى لهذا المشروع كانت هناك الكثير من المصاعب التي واجهت القائمين عليه من أجل إيجاد شباب يقبلون الانضمام إلى كتائب الناحال الحريدية، وقد احتوت المجموعة الأولى من المجندين والتي جندت في شهر يناير ١٩٩٩ على ٣١ شابا فقط، لكن في شهر سبتمبر من نفس العام نجح الحاخامات في تجنيد ٥٨ شابا آخرين، فقد كانت كتيبة "نتساح يهودا" في تلك الفترة عبارة عن كتيبة صغيرة من الشباب الحريدي الذي يبحث عن طريقه والمشتت بين عالمين مختلفين، فعلى سبيل المثال كان أحد الشابين الحريدين اللذين كانا في طاقم التجنيد الأول لكتائب الناحال الحريدية وهو "يوسي كتسنلبوجن" من الذين تركوا بيت أسرته الحريدية في عمر الـــ١٦ عاما ونصف، حيث لم يجد له مكانا في عالم اليشيفوت لذلك فقد قرر التجند في كتائب الناحال الحريدية وعندما عرضت عليه المساهمة في إقناع شباب الحريديم للانضمام للكتيبة الجديدة تحمس لتلك الفكرة بقوة بالإضافة إلى صديق له يدعى "روعي جودل"، حيث تم تعيينمها في مكتب رئيس شعبة الشباب والناحال "يهودا دوبداني" كمسؤولين عن عملية تجنيد الشباب الحريدي، وكلاهما بدأ في تعقب والبحث عن الشباب الذي تسرب من الدراسة في اليشيفوت، وكانا يقابلان هؤلاء الشباب في الشوارع المختلفة وفي ميدان "تسيون" بالقدس وفي المقاهي العامة وفي البارات التي كان يتسكع بها هؤلاء الشباب، فكانت عملية التجنيد تجري في كل مراكز تجمع الحريديم بالبلاد، وبالنسبة لـــ"روعي جودل" شريك "يوسي" في هذه العملية فقد ولد في مستوطنة "ناتيف هالاه" وعندما بلغ من العمر سنتين انتقلت أسرته لمنطقة "رحفوت" وبعد ذلك بعامين عادت لمسكنها الأول، وفي إحدى المقابلات معه يوم ٢٠٠٣/١١/٢٧ ، قال:"أنا أصغر أفراد عائلتي وقد تربيت في أسرة حريدية ودرست في كثير من اليشيفوت، وعندما وصلت إلى عمر ١٨ عاما قررت أن أكون ما أريده أنا وليس ما يريده الآخرين لي، فكوني أنتمي لعائلة متدينة لم يتح لي ذلك

الخروج إلى سوق العمل، في حين أن باقي أصدقائي ممن هم في مثل عمري خرجوا للعمل، لذلك فقد قررت أن اختلف عن أولئك الذين لم يرغبوا في استكمال دراستهم ووجدوا أنفسهم يتسكعون في الشوارع، حيث وصلت إلى مرحلة لم تعد لدي رغبة في استكمال دراستي باليشيفوت وجئت إلى الحاخامات وقلت لهم سأهجرها وقد كنت مصرا على رأي، حيث أن رغبتي كانت كامنة في التجنيد في صفوف كتائب الناحال الحريدية، وقد كان ذلك في صيف عام ١٩٩٧".

وبعد عام ونصف اضطر "روعي" للانتظار حتى وجد طريقه للحاخام "بر حاييم" الذي دله على طريق الناحال الحريدي ومنذ ذلك الحين بدأ يشق طريقه في حياة التجنيد والعسكرية وارتبط اسمه باسم "يوسي كتسنلبوجن"، وكلاهما قاما بتنظيم لقاءات ورحلات للشباب الحريدي في جميع أنحاء البلاد، وحول ما يتعلق بهذا الموضوع يقول "روعي جودل" في مقابلة أجريت معه يوم ٢٠٠٣/١١/٢٧: "إن مسألة إقناع شاب حريدي للخروج إلى سوق العمل لأمر صعب، ومع ذلك فقد قررت المساهمة في ذلك حيث كنت ألتقي مع أولئك الشباب في بداية الأمر مرة واحدة كل أسبوعين، وكنا نسافر إلى القدس وإلى مستوطنة "بني باراك" وكل شاب حريدي كنا نقابله في أي مكان نسأله عما يصنع في حياته ونحكي له عن فكرة التجند في صفوف الجيش مع ضمان استكماله لدراسته الدينية، ولم يكن الأمر سهلا بطبيعة الحال مع الرعيل الأول من الشباب الذين التقينا معهم لكننا لم نخف ولم نتراجع، ومن هذه اللحظة بدأت معركتنا الكبرى حيث عرضنا الفكرة على أنها كتيبة حريدية عسكرية بالجيش ولم نتعرض لمسألة أنها تابعة لسلاح الناحال (الشباب الطليعي المحارب)، فبدأ حاخامات المستوطنات يهاجموننا حيث احتجوا على هذه الفكرة ورفضوها تماما، واعتبروها تمثل تهديدا للوجود الحريدي في البلاد".

ولقد كانت عملية تصفية الشباب المرشح للتجنيد تمر بعدة مراحل معقدة، فأولا طالب الحاخامات بالتأكد من أن الشباب المجندين لا يمرون بأزمات وقتية من الممكن أن تحل في المستقبل القريب وفي المقابل فقد وافقوا على تجندهم للكتائب الحريدية التي

لا تتعارض مع التعاليم الحريدية التي تلقوها في اليشيفوت، كما قامت سلطات الجيش هي الأخرى بعمليات تصفية من جانبها لأولئك الشباب، حيث تم استبعاد ١٠% منهم، حيث تم استبعاد تجنيد أثنين لأنهما كانا أعضاء في حركة "كخا" اليمنية المتشددة، كما استبعد آخر بسبب وجود ملف جنائي له في الشرطة، بالإضافة إلى استبعاد آخرين من جانب ضابط الصحة النفسية، وقبل أسبوعين من تجنيد هؤلاء الشباب تم تنظيم رحلات لهم في إطار كتائب الشباب التابعة لجيش الدفاع، والتي كانت بالنسبة لهم بمثابة صدمة ثقافية، حيث تم تسليمهم إلى ضابط التدريبات الذي قام بإعداد رحلات طويلة المسافات سيرًا على الأقدام لم يتحملها الشباب الذين ليست لهم مقدرة جسمانية ومع ذلك فإن إرادتهم لم تنكسر ولم يشتك أحد منهم من ذلك فكلهم كانوا مصرين على استكمال المهمة حتى النهاية وكانوا على قناعة أنهم بدءوا طريقا لن يتراجعوا عنه، وفي نهاية هذا الأسبوع المعروف باسم "أسبوع الإعداد" تبلورت النواة الأولى من الكتائب المكونة من٣١ شابًا حريديا كانوا قادرين على التكيف مع الظروف العسكرية بجيش الدفاع.

النواة الأولى للكتائب: التدريبات الأولية:

في اليوم الأول من الدورة التدريبية الأولى تم إعداد قاعدة عسكرية لاستيعاب وتدريب المجندين، مع الحفاظ على إغلاق تلك القاعدة أمام المجندات بالجيش، كما قام شباب المجندين باستبدال ملابسهم الحريدية بملابس وأحذية سلاح المظلات، ووعدوا بأنهم سيتلقون دورة تدريبية في المظلات أثناء قيامهم بالخدمة العسكرية، وبعد أن تم فحصهم طبيًا وحقنهم بحقن التطعيم، بدوا وكأنهم جنود كما ينبغي أن يكون، فقد بدوا في الملابس العسكرية ممشوقي القوام، كما أن رحلة السفر في الأتوبيس التابع لجيش الدفاع إلى مستوطنة "روتام" في غور الأردن رفعت من روحهم المعنوية بشكل كبير، حيث تم إرساء هذه الوحدة في بالمستوطنة وأصبحت فيما بعد كتيبة الناحال المسؤولة عن الأمن في المنطقة بأكملها، أما بالنسبة للجدول اليومي للكتيبة وتدريباتها فقد تم تحديده من جانب قائد كل سرية بالاشتراك مع قيادة الناحال التي كانت مسؤولة عن

ذلك المشروع منذ بدايته، كما تلقى المجندين الدورة التدريبية التي يتلقاها المجندين في سلاح المشاة، مع محاولة الحفاظ على لياقتهم البدنية، وخلال أربعة شهور فقط تلقى المجندين في الكتيبة تدريبات خاصة، وتدريبات ميدانية وتدريبات للرماية وتدريبات اللياقة البدنية، بالإضافة إلى التدريب على القيام بالرحلات الميدانية، وتم تأهيلهم بشكل كامل كجنود مقاتلين لأية مهمة تطلب منهم.

ولقد كانت هذه الكتيبة تابعة لقيادة كتائب الناحال في هذه المنطقة، حيث وفرت لها هذه القيادة – قدر ما أمكنها – كل الاحتياجات الإدارية والرعاية الكاملة لكل المشاكل الخاصة التي واجهتها، وذلك من خلال النقاش مع القيادات المعنية التي كان يرأسها المقدم "إيتان عوزي" الذي تم تعينه قائدا رئيسيا لهذه الكتيبة.

وفي يوم ١٩ مايو ١٩٩٩ أي بعد أربعة شهور من بدء الدورات التدريبية، عقدت مراسم الاحتفال بإنهاء تلك الدورات ومنح القلنسوات الخضراء الخاصة بسلاح الناحال، حيث قال "يهودا دوبداني" رئيس شعبة الشباب والناحال بجيش الدفاع في هذا الاحتفال: "لقد اجتهدت زمنا طويلا لكي يأتي اليوم الذي أقول فيه أن كتيبة نتساح يهودا هي بمثابة النواة الأولى لكي تقوم الطائفة الحريدية بجزء من المهام الأمنية في البلاد وتكون جزءا لا يتجزأ من الدولة والمجتمع، وأنا أضيف وأقول، أن من يدرس عليه أن يستمر في دراسته، لكن أولئك الذين لا يدرسون عليهم أن ينضموا إلى حقل خدمة الدولة".

وقد اشترك في هذا الاحتفال عدد من الحاخامات بالإضافة إلى عدد من أبناء وشباب الحريديم الذين من المقرر أن يتلقوا الدورة التدريبية الثانية لكتائب الناحال الحريدية، وقد أختتم الاحتفال بنشيدي "الأمل" (النشيد الوطني لإسرائيل) و" أنا مؤمن"، اللذان من المقرر أن يكونا النشيدين الرئيسيين للكتيبة في المستقبل.

ومع انتهاء التدريبات الأولية تم إدخال الكتيبة إلى مجال العمل العسكري التنفيذي في قيادة منطقة غور الأردن، حيث أنهى ٢٦ مقاتل تدريباتهم القتالية، وتم نقل أربعة جنود آخرين إلى سرايا القيادة العليا، وجندي واحد ترك في تلك المرحلة صفوف

الكتيبة، وتم تسليم المجندين بنادق (٠٤) ذات القدرات العالية في الوحدات القتالية، إلا أن المجندين لم يكونوا قد تلقوا كل أنواع التدريبات المعتادة ككل مجندي الجيش.

وفي المراحل الأولى من هذا المشروع لم تكن المؤسسة العسكرية مقتنعة بشكل كبير بالقدرات القتالية والتنفيذية لمجندي كتيبة تقام بالأساس على أكتاف شباب من الحريديم، كما أن وحدة غور الأردن العسكرية – المسؤولة عن المهام التنفيذية في المنطقة – لم تكن مستعدة لتقبل كتيبة الناحال الحريدية إلا كإضافة للقوة العسكرية الأساسية الموجودة بالمنطقة، الأمر الذي دفع قواد الكتيبة بمساعدة "يهودا دوبداني" إلى توجيه دعوة للقيادات العليا في جيش الدفاع لحضور مناورات إطلاق النار للكتيبة للبرهنة على قدراتها القتالية التنفيذية، حيث أقنعت مناورات إطلاق النار والحوارات مع المجندين القادة العسكريين، وتم تدشين موقع للكتيبة على الحدود مع الأردن.

وتجدر الإشارة إلى أن قادة كتيبة الناحال الحريدية لم يتنازلوا عن فكرة إقامة وحدة عسكرية قتالية تتمتع بجميع القدرات العسكرية والدفاعية لجيش الدفاع، مع الحفاظ في نفس الوقت على نمط الحياة الدينية الذي يحرص عليه الجمهور الحريدي، لذلك فقد كان الصراع على الاعتراف بأهمية وقدر هذه الكتيبة – خاصة في مراحلها الأولى – له إسهام كبير في بلورة صورة إيجابية لها سواء في أوساط الجمهور الحريدي أو في أوساط جيش الدفاع وقياداته.

انضمام تلاميذ يشوف "قلب الحاخام" للدورة التدريبية الأولى:

بعد فترة قليلة من انتهاء الدورات التدريبية، طلب الحاخام "مجنس" رئيس يشوف "قلب الحاخام" من الحاخام "بلوخ"، التباحث مع السلطات المعنية حول إمكانية أن يتم ضم الشباب المجندين في الوحدات الخاصة المسماة بـــ"اليشيفوت المنظمة عسكريا" إلى كتائب الناحال الحريدية لمدة ٩ شهور، فقد كان الحاخام "مجنس" مقتنعا بأن الشباب الحريدي سيفضل الخدمة في إطار تلك الكتائب الحريدية والتي ستوفر له إمكانية ممارسة حياته الدينية بحرية أكبر، كما أنه سيجد في خدمته العسكرية مع بقية أقرانه من الشباب عونًا روحيًا ومثلا حياتيا مهمًا، فقد كان من الواضح أن تجنيد مجموعة

من الشباب المتدين لكتائب الناحال الحريدية سيمنحها المزيد من القوة، ويجعل من فكرتها أكثر قبولا لدى المجتمع الحريدي.

تدريبات متقدمة للمجندين بالدورة التدريبية الأولى:

لقد خدمت الدورة التدريبية الأولى من هذه الكتائب في صفوف الجيش حتى نهاية سبتمبر عام ١٩٩٩ ثم خرجت لتلقي دورة تدريبات متقدمة من أجل الرفع من روح جنودها المعنوية والرفع من مستوى قدراتهم القتالية، لذلك فقد تلقوا دورة تدريب تابعة لسلاح المظلات، وذلك بمبادرة من شعبة الناحال والشباب بالجيش وليس بمبادرة من مؤسسات الجيش ذاتها، كما حظيت أول سريتان بتدريبات المظلات وفي يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٩٩ أنهت السرية الأولى تدريباتها القتالية والتي تخرج منها بنجاح ٢٠ جندي من بين ٣١، بينما تلقى ١١ جندي من خريجي هذه الدورة، دورات تدريبية في استخدام الرادارات، وبعدها بأيام تم تعيينهم كقادة في الدورات التدريبية الثانية والثالثة، على الرغم من أن المؤسسة العسكرية لم تكن مقتنعة تماما في تلك المرحلة بتدريبات جنود هذه الكتيبة، لذلك فقد قررت قيادة القوات البرية إرسالهم إلى دورات تدريبية فنية وقتالية أخرى قصيرة.

وعلى الرغم من العقبات التي واجهت من بادروا بهذا المشروع فقد كانت هذه بمثابة بداية رائعة له، حيث إن إنشاء كتيبة عسكرية قتالية تقوم بمهام تنفيذية بالإضافة إلى مساهمتها في حل مشاكل الجمهور الحريدي، هو بمثابة إنجاز رائع، إلا أن العقبات والقيود كانت كثيرة بالفعل، مثل: مستوى اللياقة البدنية للشباب المجند، وتوفير القادة اللذين جمعوا من وحدات عسكرية وأخرى احتياطية، وعدم وجود إطار تنظيمي عسكري يمكن أن يوفر احتياجات هذه الكتيبة، وعدم توافر قيادة تنظيمية خاصة بهذه الكتائب تقوم بمتابعة خطط التدريب العسكرية وتأهيل الجنود، وعدم وجود قيادة أخرى مسؤولة عن التسليح وحل المشاكل اللوجيستية، وقد قام بكل هذه المهام كلا من "يهودا شجف" رئيس شعبة القوى البشرية، و"يهودا دوبدباني" رئيس شعبة الشباب والناحال، اللذان عملا تحت القيادة المباشرة لقيادة التحكم في الجيش، فقد قام من

بادروا بهذا المشروع بحل أغلب المشاكل المتعلقة بموضوع القوى البشرية والتسليح بعدما آمنوا بقوة وبمستقبل كتائب الناحال الحريدية.

الدورة التدريبية الثانية:

في يوم ١٩٩٩/١/١ تجند ٥٨ شابًا في الدورة التدريبية الثانية لكتائب الناحال الحريدية، والتي كانت تتكون من أبناء الجمهور الحريدي فقط ، حيث أن منظمي هذه الدورة توجهوا بالدعوة إلى الشباب الحريدي المتسرب من الدراسة في اليشيفوت، وقد كتبت هذه الدعوة على شكل إعلانات باللغة العبرية المخلوطة بلغة الجمهور الحريدي، ويحتفظ أرشيف شعبة الشباب والناحال بنسخة منها.

كما انضم لهذه الدورة "يحيئيل ستيجمان" الشاب الحريدي الذي هاجر إلى إسرائيل من نيويورك وتطوع في كتائب الناحل الحريدية، حيث تمكن بمساعدة والديه من الحصول على بطاقة هوية إسرائيلية، وانضم إلى شباب الحريديم في قاعدة الاستيعاب والفرز العسكرية من أجل حقنه بمصل التطعيم، ومنحه الملابس العسكرية، وضمه إلى صفوف جنود الجيش.

إلا أن من تطوع من شباب الحريديم في البلاد إلى الدورة التدريبية الثانية هوجموا بشدة من قبل بعض الجهات التي تنتمي إلى الشارع الحريدي، حيث امتلأت بعض الشوارع بعدد من جرائد الحائط التي تدينهم وتصفهم بالشياطين الذين يخطفون الحريديم إلى أسلحة الجيش، ومع ذلك فقد أيد أتباع حركة "رعاة التوراة" مشروع الناحال الحريدي لكنهم لم يعبروا عن ذلك بشكل علني.

كما أن هذه الدورة التدريبية قامت بعمل تدريبات أولية منفصلة في قاعدة "روتام" بغور الأردن، وبعد ذلك استمرت في أعمالها التنفيذية في المنطقة، وبعد إنهاء التدريبات الأولية انضم جنود الدورة التدريبية الثانية إلى جنود الدورة التدريبية الأولى وكونا معًا السرية الأولى لكتائب "نتساح يهودا"، والتي واجهتها الكثير من المشاكل حيث أنه من بين ٥٨ جندي استمر بها ٣٧ جنديًا فقط.

انضمام المتدينين للكتيبة:

قرر رئيس شعبة القوى البشرية في جيش الدفاع أن يضم لكتيبة الناحال الحريدية جنود من كل أسلحة الجيش، ووفقا لرغبتهم فقد فتح الباب أمام المجندين المتدينين (غير الحريديم) لكتيبة الناحال الحريدية، كما قرر أيضًا القيام بتدريبات أولية منفصلة بقاعدة التدريبات (أدم)، وأجاز أيضا رئيس شعبة القوى البشرية لجنود الدورة التدريبية الثانية تلقيهم دورات في سلاح المظلات بتمويل مشترك من شعبة الشباب والناحال ومن ميزانية شعبة القوى البشرية، وتقرر تعيين الرائد "عوزي أبيعازر" كقائد وحدة التحكم، وتم استحداث منصب جديد لضابط مختص بشؤون التنسيق مع شعبة القوى البشرية، وقد اتخذت هذه القرارات بشكل سريع، وقامت الدورة التدريبية الثالثة التي بدأت في يوم ١٢ أبريل ٢٠٠٠ بتنفيذ تدريباتها الأولية بقاعدة "أدم" التي كانت قاعدة تدريبات لعدة وحدات عسكرية، كما استخدمتها وحدات عسكرية خاصة في تدريباتها، حيث أن القادة العسكريين في هذه القاعدة كانوا مسؤولين عن خطط التأهيل والتدريب، كما كانت تشتمل على طاقم من القادة العسكريين ذوي الخبرات العالية والمستويات الرفيعة، وكانت توفر كل الاحتياجات والمطالب اللازمة لتدريب المجندين.

وقد احتوت الدورة التدريبية الثالثة على ٥٣ متطوعًا، وكان بها ٣٢ جندي فقط ذوي قدرات قتالية تتلاءم مع سلاح المشاة، وذلك بعد أن كون أبناء الدورتين التدريبيتين الأولى والثانية السرية (أ)، في حين كون أبناء الدورة التدريبية الثالثة السرية (ب) في كتائب الناحال الحريدية، والتي استمر بها ٤٠ جندي من بين ٥٣ في القيام بواجباتهم القتالية بمنطقة غور الأردن، أما السرية الثالثة التي تكونت من أبناء الدورة التدريبية الرابعة للكتائب، فقد تم تجنيدها في شهر ديسمبر عام ٢٠٠٠، واشتملت على ٨٥ شابا أنهى ٤٩ منهم تدريباتهم كمقاتلين.

هل كانت بالفعل كتيبة حريدية تمامًا؟

تولى قيادة الكتيبة في هذه المرحلة قائد جديد وهو "عوزي أبيعازر" الذي تربى في أحد البيوت الحريدية، والذي كان قد تولى منصب قيادي في لواء "جفعاتي"، وتم

تسريحه من الجيش عام ١٩٨٦ وعاد مرة أخرى قائدا للكتيبة وهو في سن ٣٨ عاما، وفي الفترة التي أعقبت تركه للجيش تحول "عوزي" إلى يهودي حريدي، وعمل في إدارة "بيت حاجي" إحدى المؤسسات الحريدية المسؤولة عن الرعاية الدينية، وقد تولى "عوزي " منصبه هذا نظرا لخبراته العسكرية ولخبراته التربوية والتعليمية أيضًا، وفي الفترة التي تولى فيها منصبه كانت كتيبة الناحال الحريدية تحت قيادة كتائب الناحال ٩٠٣، وكان مقر القيادة في معسكر "بلس"، أما السرية الأولى فقد استمرت في تدريباتها وبالنسبة للسرية الثانية فقد استقرت في معسكر "روتام".

ولقد سحرت فكرة الناحال الحريدي "عوزي"، الذي رأى بها مهمة مقدسة، فقد قال في مقابلة أجريت معه يوم ٢٠٠٤/٢/١٨، : "لقد كان من الواضح أن الأشخاص الذين لا يدرسون عليهم أن يجدوا لأنفسهم طريقًا آخر، يوفر لهم الجو الديني والروحي للاستمرار في تعلم دروس التوراة، وهذا يوجد في جيش مقدس بدون نساء، يتمتع بجو توراتي إلى حد ما، ومن ناحية أخرى يحاربون في الجبهة وينطقون بالشهادة قبل أن يقتلوا، ولقد كان هذا هو الطريق الذي أردت أن أسير فيه".

كما طالب "عوزي" بإقامة كتيبة حريدية مقاتلة مستقلة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فلقد كان مؤمنا بأنه من الممكن أن يتم تجنيد الشباب الحريدي لصفوف الجيش، بشرط أن يتم تجنيد قادة حريديم لهذه الكتيبة وليس قادة علمانيين أو متدينين لا يحافظون على الفروض الدينية، فالكتيبة ستكون بمثابة بديل مهم للقطاع الحريدي فقط إذا حافظت على طابعها الديني المحافظ، إلا أن حاخامات وزعماء التيار الديني– القومي، وقفوا ضد "عوزي أبيعازر"، حيث طالبوا بالاستمرار في تأييد ودعم الناحال الحريدي من خلال الإحساس بأهمية القوة البشرية وبأهمية تطوير الكتيبة، بانضمام قطاعات دينية أخرى إليها.

وبالنسبة لصورة الأوضاع التي ظهرت بشكل جلي عقب إنشاء الكتيبة فقد كانت صعبة للغاية سواء من الناحية التنظيمية أو من العسكرية، فقد كانت هذه الكتيبة مسرحا للصراعات بين عناصر سياسية ووزارة الدفاع وشعبة الشباب والناحال

والحاخامات وقيادة التعليم والتربية الرئيسية بالجيش وقيادة الناحال وقيادة وحدة غور الأردن، وهيئة الحاخامية الرئيسية بالجيش، فلقد كانت لكل جهة من هذه الجهات رؤيتها ومصالحها الخاصة بها المرتبطة بإقامة هذه الكتيبة، فعلى سبيل المثال عارضت شعبة التخطيط المسؤولة عن إنشاء الوحدات بجيش الدفاع إنشاء هذه الوحدة، ووضعت الكثير من الصعوبات خلال المناقشات التي دارت في مناسبات مختلفة حول هذه الكتيبة، وذلك فيما يتعلق بتسليحها وتحديد الضوابط المختلفة التي ستتم من خلالها إدارة هذه الكتيبة، وفيما يتعلق بمنح صلاحيات وميزات للقادة الذين تتركز في أيديهم السلطة، وقد كان الاستمرار في إنشاء الكتيبة وتوفير آلياتها المختلفة مرتبطًا بشعبة القوى البشرية وبقيادة سلاح الناحال بقيادة الوحدة العسكرية بمنطقة غور الأردن، وبالنسبة لقيادة الناحال التي كانت تهتم بالكثير من الأمور فلم تضع على سلم أولوياتها موضوع كتيبة الناحال الحريدية، وبالنسبة للمسؤولين فيها فلم يساعدوا القائمين على إنشاء الكتيبة إلا بشكل محدود، لذلك فقد واجهت الكتيبة الكثير من الصعوبات فيما يتعلق بالنقص في القوى البشرية والتسليح وغير ذلك.

وفي تلك المرحلة لم تتوافر للكتيبة الاحتياجات الضرورية اللازمة كحد أدنى لإنشائها بشكل جيد، حيث تأخرت بشكل كبير جدا إقامة المنشآت الخاصة بها والتسليح والغذاء المقرر للمجندين، وتم الرد على الشكاوى التي قدمها بعض الجنود لمكتب رئيس هيئة الأركان بأنه لا تتوافر لهم مخصصات مالية لتوفير الغذاء، فعدد الأطباق أقل بكثير من عدد الأشخاص، كما أن مطاعم الغذاء غير كافية لنصف العدد، كما أن الكثير من الغرف كانت بدون أبواب أو نوافذ، وكانت كابلات الكهرباء مكشوفة، كما أنه لم تتوافر بها عيادة طبية، وبالنسبة لاحتياجات إخلاء المكان فلم تكن هناك سوى سيارة واحدة.

كما تلقى ضابط التعليم الرئيسي بالجيش العميد "أليعازر شتيرن" خطاب طلب المساعدة ،جاء فيه:" لقد مرت علينا أيامًا طويلة ولم نكن نمتلك فيها طعاما كافيا، والجنود كانوا ينامون في العراء، وفي أجزاء كثيرة من غرفهم كانت توجد خرقات

في الحوائط، علاوة على أن هناك حجرات بدون أرضيات مبلطة، كما أنه لم تتوافر خطوط تليفونات لتسهيل الاتصال"، بالإضافة إلى ذلك فإن الشعبة كان ينقصها قائد تنفيذي للعمليات وقائد مركزي ومستشار عسكري، بالإضافة إلى أن مستوى تدريب المجندين كان ضعيفا وغير كافيا، إلا أن أهم وأكبر المشاكل التي واجهت الكتيبة كانت نقص الإمدادات فيما يتعلق بالقوى البشرية، الأمر الذي أضر بقدرات الكتيبة التسليحية وبنوعية الوسائل القتالية، وبكميات وسائل النقل التي تم توفيرها للكتيبة وغير ذلك، فلقد كان الوضع صعبا في كل شيء، مثلما عبر عن ذلك قائد الكتيبة في خطاب حمل عنوان "نتساح يهودا: ملخص المهام المنوطة بها" والذي بعث به إلى كل القيادات في جيش الدفاع، وقد جاء في هذا الخطاب ما يلي:

" صورة الأوضاع في قاعدة روتام :ـ

الوضع التنظيمي- الهيكلي: فوضى عارمة

وضع اللياقة البدنية: صعب للغاية، ومنخفض للغاية ولا يليق بمجندي هذه القاعدة.

الروح المعنوية والمناخ العام: إن المناخ سيئ للغاية ولا يوجد أية رؤى أو أفكار عامة بالنسبة للخدمة في جيش دفاع لدى المجندين في القاعدة بشكل عام.

المناخ الروحاني الديني: لا يعبر عن مناخ وحدة حريدية.

كفاءة الجنود: معظم المجندين غير مؤهلين بشكل كاف وقدراتهم القتالية من الدرجة الثالثة.

كفاءة القادة: منخفضة للغاية.

مقاييس القوى البشرية: لا يمكن الحفاظ على استمرار هذه الكتيبة بشكل خاص وقاعدة "روتام" العسكرية بشكل عام في ظل توافر هذه القوى البشرية الضئيلة".

وفي ضوء تلك المطالب، تم تقوية الكتيبة بشكل أو بآخر، كما تم تعيين نائب قائد علماني يعمل إلى جانب القائد الرئيسي، بالإضافة إلى تعيين مستشار عسكري، ومع ذلك فلم يوجد للكتيبة حاخام بسبب الخلاف بين الحاخامية العسكرية الرئيسية حول كفاءة وقدرات هذا الحاخام، وقد طالب "عوزي" بحاخام عسكري حريدي ينتمي إلى

القطاع الحريدي، كما أنه في الكتيبة التي كان بها لكل جندي مشكلة خاصة به فيما يتعلق بتجنيده لم يكن بها ضابط مختص بتنسيق ظروف التجنيد.

وبالإضافة إلى ذلك فقد حدث صدام بين الأهداف والمصالح المختلفة لمؤسسي المشروع وبين المؤسسة العسكرية، تمحور حول إمكانية إنشاء كتيبة كاملة جديدة يمكنها أن تخفف من ضغط المهام القتالية التنفيذية الملقاة على عاتق كتائب الجيش بمنطقة غور الأردن وتوفر كمية جيدة من قوات الاحتياط، ومن أجل استكمال إنشاءها بشكل جيد سواء من الناحية الكمية أو الكيفية، قرر الجيش زيادة مصادر تجنيده من شباب اليشيفوت المنظمة عسكريا والمجندين المتدينين الآخرين الذين لا ينتمون إلى القطاع الحريدي، حينئذ بدأ الصراع حول أهداف الكتيبة، وهل ستكون كتيبة "نتساح يهودا" مؤسسة على شباب الحريديم فقط أم سيتعمد على الحريديم والمتدينين، أم أن المجند سيكون من عامة الجمهور المتدين وخاصة من صفوف الشباب الذين ينتمون للحركات القومية الدينية؟

ولقد كان الواقع السيئ بالإضافة إلى حاجيات الجيش أحد أسباب انهيار الفكرة الأساسية لتجنيد الشباب الحريديم وإنشاء كتيبة حريدية خالصة، بسبب الصعوبات التي وقفت في وجه ضرورة تجنيد ثلاث سريات سنويا تحتوي كل واحدة منها على ١٢٠ مجند متطوع من الجمهور الحريدي، ولقد قررت هيئة أركان الجيش بالتعاون مع حاخامات القطاعات الحريدية في البلاد تجنيد شباب من الجمهور المتدينين، حيث تم فتح كتيبة الناحال الحريدية أما الشباب المتدينين والقوميين المتدينين دونما الحرص على تجنيد شباب حريديم فقط، وبالنسبة للحاخامات الحريديم فإن قوة ونجاح إقامة كتيبة حريدية يكمن في استيعابها لشباب الحريديم الذين تسربوا من الدراسة لإعطائهم الفرصة لبناء مستقبلهم، لذلك فقد كان مهما بالنسبة لهم المحافظة على الصورة الحريدية لهذه الكتيبة، لذلك استمروا في مصاحبة هذه الكتيبة للإجابة على كل التساؤلات الدينية الخاصة بجنودها، وكان لهم تأثيرهم الروحي والثقافي على جنود وقادة هذه الكتيبة.

وبالنسبة لطاقم القيادة الخاص بالكتيبة فقد تكون من الضباط خريجي اليشيفوت المنظمة عسكريا ومن بينهم تم إدراج قادة من القطاعات الحريدية وخريجي الدورة التدريبية الأولى الذين تلقوا دورات القيادة بجيش الدفاع، ولقد تغلبت الظروف القصرية على أرض الواقع التي وضع فيها هؤلاء القادة على كل الخلافات والفوارق المهنية.

وبالنسبة لأعضاء اليشيفوت فلم يكونوا جميعا راضون عن تجنيد أبناء اليشيفوت لكتيبة حريدية، فقد رأى بعضهم أن هذا يعد مخالفًا للاتفاقات المبرمة بين اليشيفوت المنظمة عسكريا وجيش الدفاع، إلا أن الحاخامات الذين يرأسون هذه اليشيفوت أصروا على تجنيد عدد من شبابها إلى تلك الكتيبة الحريدية، ولقد عبر "أبراهام بارون" سكرتير اليشيفوت المنظمة عسكريا عن أن دافع استعدادهم للتجنيد لكتيبة الناحال الحريدية لا ينبع من حبهم لجيش الدفاع ولكن لمعارضتهم تجنيد فتيات باليشيفوت المنظمة عسكريا، حيث أن قرار الجيش بهذا الخصوص أثار معارضة قوية في أوساط حاخامات اليشيفوت، والحل الوسط الذي تم تقديمه لحل الأزمة بين الحاخامات وقادة الجيش لم يرض عددا من زعماء اليشيفوت الذي يتشددون في تطبيق أحكام الشريعة، ونتيجة لذلك فلقد تم الاتفاق بين رؤساء اليشيفوت وجيش الدفاع أن يتم تجنيد التلاميذ في كتيبة الناحال الحريدية.

وبالنسبة للدورة التدريبية الثالثة من هذه الكتيبة فقد تم تجنيدها في أغسطس عام ٢٠٠١ وقد احتوت على ٨٢ مجندًا، وكانت هذه الدورة الوحيدة التي تتم تجنيدها في هذا العام، وقد أكملت عدد مجندي الكتيبة بثلاث سرايا قتالية وسرية واحدة للقيادة، وفي عام ٢٠٠٢ تم تجنيد دورتين تدريبيتين في شهري يناير ويوليو، واحتوت كلا منها على ٨٣ مقاتلا، وحتى شهر يونيو ٢٠٠٢ تم استكمال كتيبة حريدية كاملة، مكونة من ثلاث سرايا وقائد عسكري ونائب له بالإضافة إلى مستشار عسكري.

ووفقا لوجهة نظر "عوزي أبيعازر" فإن إنشاء كتيبة على أساس من المتطوعين من الشباب الحريدي لم تكن فكرة مواتية للواقع، حيث رأى أن قيادات الجيش فضلت

إنشاء كتيبة هيكلية لحل المشاكل والصعوبات التي تواجه تجنيد شباب الطائفة الحريدية وبسبب معارضة إنشاء كتيبة عسكرية ذات طابع حريدي متشدد، وبعيدا عن كل ذلك فقد كانت هناك رغبة حقيقية لاستغلال القوة البشرية لهذا الشباب الحريدي، وبناء جيل جديد من القادة من خلال هذه الكتيبة.

كتيبة توراتية؟!

عقب تقديم "عوزي أبيعازر" استقالته تم تعيين "أدي داجان" بدلا منه والذي أنهى مهمته بعد فترة قصيرة بسبب حادث مروع تعرضت له الكتيبة، ولقد زاد "أدي"- الذي تولى منصبه في شهر يونيو ٢٠٠٢- خطط التدريب على كل المستويات، حيث أن سرايا الكتيبة تلقت دورات تدريبية لمدة أربعة شهور في منشأة "أدم" وتلقت تدريبات على إطلاق النار ببندقية من طراز(٠٥)، وبعد ذلك تم تنفيذ تدريبات متقدمة للكتيبة في معسكر "جادي" في منطقة غور الأردن وذلك لمدة ستة أسابيع، كما تم تنفيذ مناورات عسكرية ليلية في مناطق مغلقة وفي أخرى مفتوحة، وتم إنشاء مواقع لهذه الكتيبة في المناطق الساحلية بغور الأردن.

إلا أن تقدم الكتيبة من الناحية القتالية التنفيذية اصطدم بحادثة مروعة، حيث أنه في يوم ٦ فبراير عام ٢٠٠٢ تسلل مخرب فلسطيني إلى مستوطنة "حمرا" بغور الأردن وواجه سرية عسكرية وأصاب اثنين من جنودها بعد معركة معهم بالسلاح، ثم تسلل إلى بيت إحدى الأسر بالمنطقة، وقتل الأم وابنتها التي تبلغ ١١ عاما، وتم استدعاء جنود الكتيبة لمنع تسلل المخرب ومع ذلك فقد نجح في ذلك وقتل جندي من جيش الدفاع كما أصيب أحد القادة العسكريين في قدمه.

وعقب هذا الحادث أصدر رئيس أركان الجيش قرارا بعزل قائد كتيبة الناحال الحريدية الرائد "أدي داجان" وكذلك نائب قائد السرية التي كانت مسؤولة عن حراسة المكان الذي وقع به الحادث، ولقد تم اتخاذ هذا القرار على خلفية المستوى القتالي المنخفض الذي ظهر في أداء جنود كتيبة الناحال الحريدية في التعامل مع هذا الحادث، ولكن كان التقصير الأساسي لجنود الكتيبة هو عدم تمكنهم من تصفية هذا

المخرب على الرغم من دخولهم معه في معركة بالسلاح لمدة ساعة كاملة، كما أن الكتيبة لم تشارك في مهام قتالية في إطار عملية "الجدار الواقي".

ولقد ظل جنود الكتيبة في مواقعهم العسكرية بمنطقة غور الأردن والقيام بالمهام الروتينية الملقاة على عاتقهم في المناطق الجبلية وعند المداخل الحدودية والحواجز المرورية والسجون في القرى، ولقد عرف جنود الكتيبة أن زملائهم يخدمون في الضفة الغربية ويقومون بتنفيذ اعتقالات واعتراضات ويقومون بدورهم بنوبات الحراسة في السجون والمعتقلات هناك، الأمر الذي أدى إلى زيادة حالة الاستياء لديهم، وطالبوا بالتدريب على الوسائل القتالية المطلوبة لتنفيذ المهام القتالية المنوطة بهم مثلهم في ذلك مثل بقية كتائب الجيش.

ولقد خلف المقدم "يوناثان برنسكي" القائد الذي تم استبعاده، وقد نشأ "يوناثان" في بيت لأسرة متدينة وترقى في سلاح الناحال حتى وصل إلى رتبة مقدم، وخلال فترة خدمته تعلم في الجامعة العبرية العلوم السياسية ودراسات الشرق الأوسط، ولقد وصل إلى الكتيبة يوم ١٠ أبريل ٢٠٠٢ وتولى قيادة ثلاثة سرايا منها تشتمل كل سرية على حوالي ٨٠ جنديا، أما سرية القيادة فقد اشتملت على ١٣٤ جندي، حيث يحكي عن ذلك قائلا :"حينما وصلت إلى الكتيبة كان الجنود على قمة الجبل وذلك قبل تنفيذ عملية الجدار الواقي، وكانت قريتي "طوباس" و" طامون" خارج نطاق أنشطة الكتيبة، وبالنسبة للجنود فهم لم يكونوا فخورون بشكل كبير بما يقومون به، ومن الناحية القتالية لم يكونوا على المستوى المطلوب، والشيء الوحيد الذي تعلموا أن يقوموا به هو كيف يقومون بإنشاء نقطة مراقبة على الحواجز الأمنية".

ولقد كان اشتراك جنود الكتيبة في مطاردة نشطاء تابعين لحركة "حماس" في الأسبوع الذي تلي تولي المقدم "برنسكي" لمنصبه أحد الأسباب التي أدت إلى ارتفاع الروح المعنوية للجنود، وبالإضافة إلى جنود "نتساح يهودا" اشترك في هذه المطاردة جنود كتيبة "عليت" وطائرات عمودية تابعة لسلاح الجو والتي قامت بقتل خمسة من المخربين، أما جنود الكتيبة فهم اللذين قاموا باعتقال "حسام بدران" أحد كبار قادة

"حماس" في الضفة الغربية، وعقب نجاح الكتيبة في هذه المطاردة تقرر اشتراك الكتيبة في عملية "طريق الأفعى" للوحدة العسكرية رقم ٥٠٠ في قريتي "طوباس" و"طامون" العربيتين لمدة ١٠ أيام، ومن أجل تنفيذ هذه المهام تلقت الكتيبة كما تلقوا أيضا تدريبات قتالية مختصرة، وقام جنود الكتيبة بتنفيذ عمليات تمشيط البيوت والمعتقلات ووجدوا أسلحة خاصة بالمخربين وهدموا بيوت مخربين آخرين بمساعدة قوات الدبابات الخاصة بالوحدة.

ولقد كانت هذه بمثابة بداية جديدة للكتيبة، حيث حظيت بالتدريبات العالية المستوى لبقية الوحدات والكتائب القتالية الأخرى في الجيش وبدأت تشترك في كل المهام العسكرية الصعبة، وعن ذلك يحكي المقدم "برنسكي" في مقابلة أجريت معه يوم ٢٠٠٤/٥/١٥ ، قائلا: "منذ هذه اللحظة وكل شيء قد تغير، وفي خلال عدة شهور كنا على دراية بكل شيء بالمنطقة التي تتواجد بها الكتيبة، حتى بات من المعرف أن الكتيبة ٩٧ تعرف المنطقة بصورة جيدة، وكل كتيبة جديدة كانت تأتي للمنطقة تمر علينا أولا لتعرف كل شيء عنها، فكل الجنود كانوا على معرفة بكل بيت في المنطقة وكيف يمكن الوصول إلى مفترق الطرقات وأين يوجد المسجد، فقد كانت لنا ميزة مهمة وهي بأننا نعرف المكان جيدا".

وقبل نهاية عام ٢٠٠٢ تم نقل مسؤولية كتيبة "نتساح يهودا" إلى قيادة القوات البرية، وبذلك حصلت على اعتراف كامل من قبل جيش الدفاع، ومع ذلك فقد استمرت قيادة القوى البشرية وشعبة الشباب والناحال بوزارة الدفاع في رعاية المشاكل الخاصة التي واجهت الكتيبة والتي فشلت قيادة القوات البرية في حلها.

ولقد كان لنجاح جنود الكتيبة في مواجهة عدد المخربين خلال عام ٢٠٠٣ أثر كبير في ارتفاع معنوية الجنود وزادت من احترامها وتقديرها داخل جيش الدفاع والأهم من ذلك بين شباب القطاعات الحريدية داخل المجتمع الإسرائيلي.

ولقد بدأت ثمار قرارات ضم شباب من خارج القطاعات الحريدية تقطف خلال عام ٢٠٠٣ عندما تم تجنيد خمس دورات تدريبية كل واحدة منها تشتمل على حوالي ١٠٠ جند، وكانت كما يلي:

الدورة التدريبية الثامنة	تاريخ التجنيد ٢٠٠٣/١/٩	١٠٠ جندي.
الدورة التدريبية التاسعة	تاريخ التجنيد ٢٠٠٣/٦/٢٣	١١٥ جندي.
الدورة التدريبية العاشرة	تاريخ التجنيد ٢٠٠٣/١٢/٢٨	١٢٦ جندي.
الدورة التدريبية الحادية عشر	تاريخ التجنيد ٢٠٠٤/٤/٢٨	١٠٩ جندي.
الدورة التدريبية الثانية عشر	تاريخ التجنيد ٢٠٠٤/٨/٢٥	١٣٤ جندي.

ولقد وجدت شعبة القوى البشرية بهيئة الأركان العليا وشعبة الشباب و الناحال وقيادة سلاح الناحال بالتعاون مع عدد من الحاخامات، الطريقة المناسبة من أجل تأسيس مكانة جديدة وملائمة لهذه الكتيبة داخل جيش الدفاع بالإضافة إلى تحديد المهام التي تقوم بها، وذلك من خلال الدمج بين الشباب الحريدي وغيره من شباب المجندين، حيث كان لهذا عظيم الأثر على تقوية قيمة القوى البشرية داخل الكتيبة بالإضافة إلى تقوية مهامها التنفيذية.

ولقد أصبحت الكتيبة اليوم بمثابة كتيبة "توراتية"، مثلت حلا مثاليا للشباب من قطاعات الجمهور الحريدي والقطاعات الدينية القومية الذي يحافظ على الفرائض الدينية ويطالب بالمحافظة على نمط حياته الديني خلال أداؤه الخدمة العسكرية، وفي السنة السابعة من إقامتها أسست الكتيبة وضعها ككتيبة قتالية تحافظ على الأمن في منطقة غور الأردن وتشارك الجيش في القيام بمهامه التنفيذية وفي حربه المستمرة ضد "انتفاضة الأقصى"، واليوم أصبح من الواضح أنه لا خلاف على أن كتيبة "نتساح يهودا" نجحت في أن تجد مكانا لها بين سائر كتائب الجيش وأن تقوم بجزء من المهام التنفيذية الملقاة على عاتق جيش الدفاع.

وإذا كان في الماضي تميز جيش الدفاع الإسرائيلي بأنه "بوتقة الصهر" تخدم في داخله اليوم كتيبة دينية حريدية خاصة، الأمر الذي يثير عدة تساؤلات حول نجاح

الجيش في سد الفجوات الاجتماعية، والتقريب بين القطاعات السكانية الدينية والعلمانية في البلاد، ففي حقيقة الأمر نشبت داخل الكتيبة نفسها صراعات بين المؤسسة العسكرية ورموزها وثوابتها وبين الثقافة الدينية الحريدية القومية.

الفصل الرابع: بين الفروض الدينية والأوامر العسكرية

أثناء إعدادي لهذه الدراسة سافرت إلى قيادة كتيبة الناحال الحريدية بغور الأردن بهدف إجراء مقابلات ميدانية مع جنودها وقادتها، ومن أجل التعرف عن قرب على سلوكيات وتصرفات المجندين أثناء فترة التدريبات، و التعرف أيضا على نمط حياتهم بالقاعدة العسكرية، إلا أن العبارات والصور التي كانت على حائط مكتب قائد السرية السادسة الملازم ثاني "ميخائيل بالوخ"، هي التي استوقفتني كثيرا، فعلى باب المكتب معلقة لافته ضخمة تحمل اسم السرية "حياة القداسة"، تتكون من صورة الأسد الذي يزأر على خلفية لونها أصفر، بالإضافة إلى علم كتيبة "نتساح يهودا" المكون من اللونين الأبيض والأخضر، أما حائط غرفة المكتب فمكون من جزأين متساويين، في الجزء الأول مرفوع علم إسرائيل وفي الجزء الثاني مرفوع علم الكتيبة، الأمر الذي من شأنه أن يضفي مناخا من الروحانية على جنود السرية الداخلين إلى مكتب قائدها، ومن وراء منضدة القائد توجد صور رئيس الدولة ورئيس الوزراء إلى جانب صور حاخامات منظمة "رعاة التوراة"، مثل الحاخام" شاخ" والحاخام "ميلوفيفيتش"، وإلى جانب إحدى الأرائك موضوع "صندوق التوراة" وإلى جانبه أسفار العهد القديم "التناخ" و أسفار الجمارا "أحد قسمي التلمود"، بالإضافة إلى كتاب الحاخام "نحمان مبرسيلف" الذي يحمل عنوان "الشجاع لا ييأس أبدا"، علاوة على رسالة الحبر "ربي موسى بن ميمون" التي تحمل عنوان "اسمع رسالة أبيك ولا تهجر أمك التوراة"، وعدد من الكتب التاريخية والفكرية والعسكرية الأخرى مثل كتاب "عزار جت" الذي يحمل عنوان "مصادر الفكر العسكري" وكتاب "أليستر هورن" بعنوان" الحرب الوحشية من أجل السلام الرئيسي" الذي قام بترجمته وإعداده "جان لاترجي"، وإلى جانبهم كتب فكرية وتوراتية أخرى وبعض الكتب عن دولة إسرائيل وتراثها الحربي، فقد مزج مكتب "بالوخ" بالفعل بين عالم الروح وعالم العسكرية، وبين ثقافة تلميذ مثقف وحافظ للفرائض الدينية وبين قيم العمل العسكري، وهذه الصورة التي وجدتها في مكتب قائد هذه السرية لم تفارقني طوال فترة إعدادي لهذه الدراسة عن كتائب الناحال الحريدية.

أما في زيارتي الثانية إلى الكتيبة فقد انتظرت قائد السرية السادسة "عرن أوحيون" في غرفته وقمت – عن قصد – بفحص صندوق التوراة الذي بمكتبه، وبالنسبة لـ"عرن" فقد تربى في بيت متدين بـ" تل- موند" وتعلم في المدرسة العسكرية بـ"حيفا" وترقى في الجيش حتى وصل إلى منصب قائد سرية بكتيبة الناحال الحريدية، وقد قرر "عرن" أن يتقوى في مجال الدين، إلا أنه لا يرى نفسه حريديًا مثلما يرى نفسه يهوديا متدينا، وقد وجدت على مكتبه كتاب "حديث الصديقين"؛ ذلك الكتاب الذي يتحدث عن قبور فرقة "الصدوقيون" الدينية في شمال البلاد وعن تاريخ حياتهم وعن صلواتهم وأدعيتهم، وعلى مقعد بلاستيكي بالقرب من مكتبه كان موضوع كتاب" الرجل وبيته" من إعداد "أ. كيطوف" الذي يتحدث عن توراة البيت اليهودي ومسائل الزواج، والسلام الأسري، والتواضع والإيمان، وعلى أحد الأرفف كان موضوعا كتاب الحاخام" ناع أورلويك" بعنوان "الجوهر من خلال الحب بين الآباء وأولادهم"، وكتاب "شريعة الجيش" الذي أصدرته دار نشر "يشيفت شعلبيم" وتم الاعتراف به من قبل الحاخامات الرئيسيين في البلاد، مثل الحاخام "عوبديا يوسف" والحاخام "موردخاي إلياهو"، ورئيس المحكمة الربانية العليا الحاخام "أبراهام كاهانا شافيرا"، وفي الصندوق المقابل لمكتبه وضعت كراسات الإرشاد الخاصة بعدد من أسلحة جيش الدفاع، إلى جانب عدد من الكتب التاريخية والعسكرية وبعض الكتب عن المعارك القتالية التي جرت إبان الحرب العالمية الثانية.

وكان "عرن" قد دعاني إلى زيارة مكتبه واحتساء كوبا من القهوة، وعلى أحد جوانب الحائط وضع علم الكتيبة ومنسوج عليه الاسم الجديد للسرية وهو "أبطال داوود"، أما على الجانب الآخر من الحائط فقد كان معلق علم إسرائيل إلى جانب الشمعدانات السباعية رمز الدولة، أما خلف كرسي قائد السرية فقد كانت معلقة صور رئيس الدولة ورئيس أركان جيش الدفاع وإلى جانبهم كلمات نشيد "الأمل" (نشيد إسرائيل الوطني) بالإضافة إلى نص بيان إعلان استقلال البلاد عن الانتداب البريطاني، ولقد كان هذا بالنسبة لي أمرا غير مسبوقا في تجمع عدد كبير من الرموز القومية

والوطنية، أما على الحائط المقابل فقد كتبت عدة فقرات من أسفار العهد القديم "التناخ"، مثل: "كل شيء من عمل الرب الذي تبارك اسمه"، "إن إرادة الرب هي التي ستكون"، "تذكر يوم السبت لتقدسه"، كما وضعت صور عدد من الحاخامات السفارديم، مثل الحاخام "كادوري" والحاخام" حافيتس حاييم" و" الحاخام "شالوم شرعفي" والحاخام "يعقوب أبو حصيرة" والحاخام "يوسف حاييم"، وفي أحد جوانب المكتب كانت هناك كمية كبيرة من الكتب في كل المجالات وخاصة فيما يتعلق بموضوعات القتال، وعدد منها عن جيش الدفاع وتقاليد الحروب، إلى جانب عدد من كتب التلمود وقوانين الجيش من إعداد الحاخام "زكريا بن شلومو"، وبالإضافة إلى ذلك فقد كان معلقا علما آخر للكتيبة ومنسوج عليه هذه الكلمات :"من الإنسان الذي يهتم بالحياة، ويحب الأيام ليرى الخير، فلتنقي لسانك من الشر، وشفتيك من قول السوء".

ولقد أصبحت الخدمة العسكرية في كتيبة "نتساح يهودا" بمثابة ملتقى بين منظومتين مهمتين وهما المؤسسة العسكرية وعالم اليشيفوت الحريدية، حيث أصبحا الآن يعيشان سويا من خلال التعاون والاعتراف المتبادل ومزج القيم الأساسية المشتركة بينهما، وعلى الرغم من هذه الصورة المثالية للدمج بين قيم الصهيونية مع منظومة الفرائض الدينية اليهودية الحريدية، إلا أن الواقع على الأرض عكس مواجهة ومنافسة بين الجانبين على أفكار الجندي وأيديولوجياته، حيث أن شباب المجندين في الكتيبة هم نتاج ثقافة متشددة من شأنها أن تستمر في تأثيرها عليهم حتى أثناء فترة أداءهم الخدمة العسكرية، وذلك بمساعدة الحاخامات المصاحبين لهذه الكتيبة، والذين حاولوا تقوية الأسس الدينية للجنود والتزامهم بتراثهم الروحاني، حيث كان هدف الحاخامات هو تقليل مدى تأثير المؤسسة العسكرية العلمانية على المجندين الحريديم، وبشكل واقعي كان الهدف هو خلق كتيبة عسكرية منغلقة على نفسها ومنعزلة عن الجيش، متعصبة لنمط حياتها الديني البعيد عن الثقافة العلمانية.

وبالنسبة للصحيفة الشهرية "براعم نتساح يهودا" الناطقة باسم الكتيبة، ففيها الكثير من النقاط والأسس التي تعكس الخط أو التكوين الثقافي للكتيبة، حيث أنها تحتوي على أقوال ومواعظ الحاخامات، بالإضافة إلى أسئلة وأجوبة حول عدد من موضوعات الشريعة والإيمان، فعلى سبيل المثال الحاخام "زكريا بن شلومو" المتخصص في الشريعة العسكرية، أعطى العديد من الإجابات على عدة مشاكل تشريعية، كما أن هناك حاخامات آخرين تناولوا موضوعات متصلة بالإيمان وبالتعليم، بالإضافة إلى ذلك فإن هناك عدد من قادة وجنود الكتيبة كانوا يكتبون من وقت إلى آخر في هذه الصحيفة في موضوعات تتصل في مجملها بشؤون روحية ودينية متضمنة في الخدمة العسكرية، وبطبيعة الحال فقد احتوت الصحيفة على أخبار روتينية عن الكتيبة وعن أحداث عسكرية وعمليات قتالية تنفيذية أخرى، وكذلك بعض الأخبار عن المناسبات السعيدة مثل انتهاء الدورة التدريبية لسرايا الكتيبة وبعض الأخبار عن عقد قران وعدد من المناسبات العائلية الخاصة بجنود الكتيبة، إلا أن الصحيفة وعناوينها ولغتها كانت تمثل خطا ثقافيا توراتيا خاصا بها لا يوجد ما يشابه في أية كتيبة أخرى من كتائب الجيش، فحتى الملاحظات التي كانت تكتب في نهاية الصحيفة كانت تتعلق بفقرات التوراة، وبمناسبة كل عيد ديني كانت الصحيفة تمتلئ بمعلومات عنه وعن طقوسه والفرائض الدينية المتعلقة به، كما أن الحاخامات المسؤولين عن الصحيفة لا يشتغلون فقط بمسائل التعليم التوراتية بل كانوا يردون على كل الأسئلة المهمة التي كانت تثيرها المشاكل الناتجة عن الخدمة بالجيش.

وفي أثناء مناورة عسكرية قامت بها الكتيبة تحت حرارة الشمس الحارقة في منطقة غور الأردن، كان على الجنود التدحرج على الأرض الصلبة في وادي أحد الجبال واتخاذ مواقع بين الصخور الملساء، وبعد أربع ساعات هي مدة المناورة لم أسمع الجنود يتأففون أو يتذمرون منها مثلما هو دارج على ألسنة بقية جنود الوحدات العسكرية الأخرى، كما لم أسمع أيضا منهم ولو لمرة واحدة كلمة سب أو لعنة، وفي حواراتي التي أجريتها معهم لاحظت أن هناك تعطشا كبيرا للتعرف على تاريخ

الصهيونية من خلال التأكيد على المعركة وتراثها داخل جيش الدفاع، وخاصة حــول قصص حرب الأيام الستة (حرب ١٩٦٧) وتحرير القدس وبقيــة الأمــاكن المقدســة اليهودية، فقد كان التطور الذي حل بهم بمثابة رسائل صــهيونية متصــلة بــالتراث الروحاني الذي تربوا عليه، وفيما يتعلق بموضوعات التعليم والإعــلام فقــد كانــت مستمدة من عدة نقاط من المنظومة التعليمية العسكرية ومن القاعدة الثقافية – الروحية للشباب الحريديم.

وقد وضعت المؤسسة العسكرية كهدف أساسي لها دمج كــل المجنــدين فــي كتيبــة عسكرية واحدة وموحدة، تعمل وفق قيم الجيش والمعارك مثلها مثل بقية كتائب جيش الدفاع، كما أن كتيبة الشباب الحريدية مرت ببرنامج لتعلم قــيم الصــهيونية ودولــة إسرائيل، حيث تلقوا هذا البرنامج بشكل روتيني في إطار تلقيهم التدريبات العســكرية الأولية، وفي أثناء التدريبات القتالية التنفيذية.

وقد تمت عملية تجنيد الشباب في البداية عن طريق شعبة الشباب والناحــال بــوزارة الدفاع وبمساهمة عدد من الحاخامات، وبعدما أصبح التجند في الكتيبة تطوعيــا نقــل الجيش صلاحياته إلى الحاخامات، فقد كانوا هم المسؤولون بشكل فعلي عــن إكمــال عدد كل سرية قبل أن تنعقد الدورة التدريبية الخاصة بها، في حين أن وزارة الــدفاع كانت تمول مواطنين من أبناء الطائفة الحريدية لتجنيد الشباب بعد فحص الحاخامــات لهو ولأوضاعهم الاجتماعية، بالإضافة إلى أنها كانت تمول ما يسمى بــ"المصــاحب الاجتماعي" وهو حاخام كان يتم إيفاده من قبل الكتيبة نفسها ليقوم بإعــداد التقــديرات اللازمة بالنسبة لأعداد المتطوعين الجدد.

وقد تكون الطاقم الأول لقادة هذه الكتيبة من ضباط أبناء "اليشيفوت المنظمة عسكريا" الذين تطوعوا للقيام بهذه المهمة، وكانت هناك رغبة متمثلة في تكوين طاقم قيادة من المتدينين يمكنه التعامل مع المشاكل والاحتياجات الخاصة بهذه الكتيبة الحريدية، وقــد تم تجنيد "يانكي كليين" قائد السرية الأولى، من إحدى اليشــيفوت المنظمــة عســكريا وذلك بعد عامين من تسريحه من الجيش، وذلك من أجل ضمان الحفاظ علــى نمــط

الحياة الديني لدى جنود الدورة التدريبية الأولى، كما أن رئيس شعبة القوى البشــرية اتخذ قرارا خاص بتشكيل طاقم إداري للكتيبة مكون جميعه من الرجال فقــط تجنبــا للاستعانة بالمجندات اللائي يخدمن بنفس القاعدة العسكرية الأمر الذي من شــأنه أن يثير معارضة شديدة في صفوف الحاخامات القائمين على هذا المشروع.

وبالنسبة للتدريبات الأولية التي تستمر لمدة أربعة شهور فقد كان من المقرر لهــا أن تتم في قاعدة خاصة ومنفردة لكي يتم تجنــب الاحتكــاك بالمجنــدات أثنــاء القيــام بالتدريبات، ومن أجل الحفاظ على الفروض الدينية التي طالب بها الحاخامات القائمين على المشروع، إلا أن هذا القرار تم تغييره من جانب جيش الدفاع عقب الانتهاء مــن الدورة التدريبية الثانية، حيث أن سرايا الكتيبة يتم تدريبها في قاعدة عسكرية كبيــرة في المنطقة العسكرية الوسطى تسمى قاعدة "معسكر أدم" العسكرية، ومــع أن مخــيم الكتيبة منفصل عن بقية مخيمات القاعدة، إلا الجنود الحريديم الذي يتلقون التــدريبات يلتقون يوميا بالجنود والمجندات بالقاعدة وفي واقع الأمر يحدث اتصــال واحتكــاك مستمر مع المجندات، وهذا الواقع الجديد لم يلق استحسانا لدى الحاخامات الذين كانوا يشجعون المشروع، لذلك فإن قرار الجيش أدى إلى حدوث مواجهات مع قادة الكتيبــة ومع بقية الجهات القائمة على المشروع، ومع ذلك فقد اختلف جنود كتيبــة "نتســاح يهودا" عن بقية الجنود بالقاعدة حيث لم يكونوا يقرءون الصحف العلمانيــة الذائعــة الصيت في البلاد، فبدلا من يديعوت أحرونوت وهاآرتس ومعاريف كــانوا يقــرءون الصحف الدينية مثل "هامودیع، هاتسوفيه، هاماكور هاريشــون"، كمــا لــم يكونــوا يشاهدون التليفزيون ولا يستمعون لمحطات الراديو العلمانية، فلقد كان هذا هو الواقع السائد في معسكر "أدم" إلا أنه في زيارتي المتكررة لهذا المعسكر اتضح لي أن الصلة الوثيقة التي نشبت بين الجنود على اختلافهم بداخله خلقت واقعا مختلفــا، حيــث أن المشاركة في أعمال الحراسة والتدريبات والتعليم والإدارة داخل المعســكر أدى إلــى فتح آفاقا واسعة للتعاون والتفاهم المشترك بين عالم العسكرية العلماني وجنود الناحال الحريديم.

ولقد كانت إحدى الظواهر المهمة التي طرأت على الساحة نتيجة هــذا اللقــاء بــين المؤسسة العسكرية ورموزها وبين عالم الحريديم تلك التي نتجت من خلال الأجازات الأولى التي كان يخرج فيها المجندين، حيث قرر قادة الكتيبة أن يخرج المجندين فــي أجازتهم الأولى بدون الملابس العسكرية وبدون سلاح أيضا من أجل تجنب حــدوث احتكاك أو مصادمات مع جمهور الحريديم خاصة في المراحل الأولــى مــن إنشــاء الكتيبة، إلا أن هذا الأمر كان مثار خلاف بين أجهزة الجيش التي كانــت تعتبــر أن الملابس والسلاح العسكري هي رموز وطنية ومدعاة لتفاخر الجندي بنفســه داخــل المجتمع الإسرائيلي، فعلى سبيل المثال مع نهاية الدورة التدريبية الأولى خرج المجند "حاييم فجينتش" في أجازته إلى منطقة "بني باراك" الحريدية التي هي مســقط رأســه مرتديا ملابس الجيش وعلى رأسه "بارييه" أخضر وسلاحه على كتفه، وحينما ســئل عن إحساسه في تلك اللحظة رد قائلا:"شعرت أن الأمر غاية في البساطة، وأنه لــيس من المهم أن تكون متدينا أو علمانيا، أو أين تسكن ولأي عالم تنتمي، الأهــم هــو أن هناك أناس آخرين يموتون من أجلك وعليك أنت أيضا أن تموت من أجل الآخــرين، وهذا الشعور هو شعور بسيط وليس شعورا أيــديولوجيا أو صــهيونيا، إنــه مجــرد إحساس بسيط". وربما تكون طبيعة الحياة العسكرية داخــل مخيمــات الجــيش قــد تجاوزت الانتماءات الأيديولوجية والدينية لكل مجند من جنود هذه الكتيبة.

ولقد كانت طريقة وأسلوب إجراء الطقوس والمراسم العسكرية التي يجب أن يقوم بها المجندين في كتيبة "نتساح يهودا" نقطة التقاء أخرى بين عالم الجيش والعالم الحريدي، وذلك من خلال التفاهمات التي توصل إليها الطرفين، فخلال الدورة التدريبية الأولــى للمجندين في هذه الكتيبة خشي قادتها من إجراء مراسم إلقاء القســم عنــد "الحــائط الغربي" (حائط البراق)، مثلما هو معتاد بالنسبة للوحدات القتالية في جــيش الــدفاع، وذلك خشية من أن يقوم جمهور الحريديم الذين يصــلون عنــد الحــائط بالتظــاهر ومهاجمة المجندين الشباب وأبناء أسرهم، لذلك فقد تقرر إجراء هذه المراسم في مكان تاريخي آخر ينسب إلى مقابر "المكابيين"، حيث إنه مكان بعيد ومنعزل وقيمته الدينية

ليست كبيرة، وبالتأكيد لا يساوي في قداسته قداسة "الحائط الغربي"، ومع ذلــك فقــد تخوف بض الضباط أيضا من مهاجمة الجماهير للمجندين أثناء مراسم رفــع العلــم المعتادة، إلا أن جمهور هذه المنطقة تعاون بشكل كبير واحترم إلى أقصى الحدود هذه المراسم، حيث أن مراسم إلقاء القسم على خلاف كل مراسم الجــيش تحتــوي علـــى سمات دينية خاصة، فتشتمل على قراءة بعض فقرات من أسفار العهد القديم وأجــزاء من كتاب "ربي موسى بن ميمون"، ويتعهد فيها الجنود "أن يقبلوا بدون قيد أو شــرط كل ظروف الجيش"، إلا أنه أثناء إلقاء القسم قال واحد من الجنود "أنا أعلن" بدلا مــن "أنا أقسم"، نظرا لأن بعض الحاخامات أصدروا فتوى أنه لا يجب القســم علـــى أي شيء حقيقي، ومع ذلك فقد استمرت مراسم إلقاء القسم بشكل طبيعي وانتهــت بإلقـــاء "نشيد الأمل" (النشيد الوطني الإسرائيلي)، وبنشيد حماسي آخر وهو "أنا أؤمن بقــدوم المسيح"، وبعد نجاح الدورة التدريبية الأولى لكتيبة "نتساح يهودا" تقرر إجراء مراسم إلقاء القسم التقليدية للدورة التدريبية الثانية عند "الحائط الغربي".

وفي يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٩٩ أقيمت مراسم إلقاء القسم عند الحائط الغربي بمصـــاحبة الحاخام الأكبر لإسرائيل الحاخام "يسرائيل ليئو"، في حين تلاشـــت المخـــاوف مـــن الجماهير حينما اقترب المئات منهم إلى جنـــود الكتيبـــة بعـــد أن أوقفـــوا صـــلواتهم وطقوسهم الدينية ورددوا معهم نشيد "أنا مؤمن" والذي تبعه نشيد "الأمل"، كما انضـــم إليهم الكثير من الآباء والمصليين والدموع تذرف من عيونهم، في حين قال الحاخـــام" ليئو": "إن سماع نشيدي الأمل وأنا مؤمن عند الحائط الغربي لشيء يثيـــر المشـــاعر ويحرك الأحاسيس".

وقد احتدت المصادمات بين المنظومة الحريدية وجيش الدفاع إبان فترة قيادة الرائـــد "عوزي أبيعازر" لهذه الكتيبة، حيث طالب بإنشاء معسكر ديني لهذه الكتيبة، وبعد ذلك قرر أن يترك الكتيبة بعدما لم تتم الاستجابة لمطالبه، وكانت نقطة الخلاف الرئيســـية بين المنظومة الحريديم والجيش الذي يمثله "أبيعازر" هو مطالبته بوجود طاقم قيـــادة من الحريديم الذين يرتدون الملابس السوداء، ويمثلون مثلا أعلى للجنود فـــي مجـــال

الدين، وكان في رأيه أن طاقم القيادة في الكتيبة أثر بشكل سلبي من الناحية الروحية على جنود كتيبة "نتساح يهودا"، حيث قدم لهم نموذجا شخصيا سلبيا من القادة الذين يتصرفون تصرفات خارجة عن إطار الفروض الدينية، فقد اتضح من استطلاعات الرأي التي أجراها الرائد "أبيعازر" بين جنود الكتيبة أثناء فترة قيادته لها، أن غالبية الجنود أكدوا أن معظم القادة لا يحافظون على الفروض الدينية بشكل كبير، وأنه لا يوجد قائد واحد يحافظ عليها وأن مناخ الكتيبة بشكل عام ليس حريديا، وعندما سئل الجنود، ما هو – في رأيكم– المناخ السائد بكتيبة الناحال الحريدية، أجاب ١% منهم فقط أنه مناخ حريدي، بينما اكتفى ٣١% بوصفه بأنه مناخا دينيا، وأجاب ٦٢% منهم أن مناخ الكتيبة ليس دينيا بالمرة، و٦% أكدوا أن المناخ السائد ليس دينيا بشكل عام.

كما كانت هناك بعض الشكاوى من وجود التليفزيونات والصحف العلمانية في معسكرات الكتيبة الأمر الذي يضر بالروح الحريدية التي من المفترض أن تكون سائدة بها، وكان من الواضح أن صلب المشكلة يكمن في أن هناك عدد من المجندين غير المتدينين يخدمون بالكتيبة، وكان على جيش الدفاع أن يلبي احتياجاتهم، والتي لا تتناسب – بطبيعة الحال – مع المطالب المتشددة للقطاعات الحريدية في البلاد.

وكانت إحدى المصادمات الحادة التي وقعت، هي رفض "أبيعازر" مصاحبة حافلة من المتنزهين في منطقة غور الأردن يوم السبت، كنا حدثت احتكاكات أخرى أيضا عندما خرج جنود الكتيبة إلى دورات عسكرية في إحدى القواعد التي توجد بها مجندات، وكذلك تلقيهم بعض الدورات التدريبية المهنية التي يوجد في كثير منها بنات من المدنيين، وهذا الأمر يمثل حتى الآن نقطة خلاف وصراع بين حاخامات كتيبة "نتساح يهودا" وبين المؤسسة العسكرية، وفي تصريحات كثيرة له أعرب الرائد "عوزي أبيعازر" عن انزعاجه من عدم وجود مناخ حريدي بالكتيبة يمكن من المحافظة على نمط الحياة الديني.

وفي المراحل الأولى من إنشاء الكتيبة لم يتم بلورة "نمط للتعايش" بين الاحتياجات والمفاهيم الحريدية والمطالب العسكرية، الأمر الذي أدى إلى تزايد الخلافات حول كل

موضوع وآخر، إلا أن تواجد الحاخامات المصاحبين للكتيبة من جانب والقادة العسكريين من جانب آخر هو الذي ساهم في سرعة تشكيل الكتيبة بشكل تستطيع معه مواجهة المطالب الملحة للطرفين الحريديم والجيش، ومع ذلك فقد كانت النزاعات والصراعات والمشاكل إحدى أهم السمات المميزة لكتيبة "نتساح يهودا"، وأيضا مع مرور الوقت وبعد تخطي أزمة "أبيعازر"، ظهرت مرة أخرى عدة مشاكل ومواجهات بين الحريديم والمؤسسة العسكرية، وظهرت في كل سرية من سرايا الكتيبة مشاكل جديدة، ففي سرية القائد "ميخائيل علو" كانت هناك الكثير من المشاكل التي نتجت من التناقض بين الفروض الدينية والظروف العسكرية، و"علو" هو من سكان "تل أبيب" وينتمي لأسرة حريدية متدينة، وفي شبابه درس في إحدى المدارس الدينية وبعد ذلك بـ"يشيفا" مستوطنة "بني عقيبا"، وعندما تم تجنيده في صفوف الجيش بدأ في سلاح المظلات، وكان انضمامه إلى كتيبة الناحال الحريدية بالنسبة له بمثابة تحديا اجتماعيا كبيرا، ففي إحدى المقابلات التي أجريت معه يوم ٢٣/٤/٢٠٠٤، تحدث عن هذه التجربة قائلا:" لقد جئت من سلاح المظلات، وكان انضمامي للكتيبة بمثابة صدمة ثقافية كبرى، فقد كان نمط الحياة الحريدية داخلها أمرا غريبا لي، فقد كان من الصعب لقادة غير متدينين الانخراط في كتائب دينية".

ولقد كانت إحدى الظواهر المهمة التي توصلت إليها الدراسة هي تمرد الجنود الحريديم أنفسهم ضد الجمهور الحريدي ونمط الحياة الدينية، فقد احتج هؤلاء الجنود على ضرورة الصلاة وتلقي دروس في التوراة أثناء تلقي التدريبات العسكرية، إلا أن هذا التمرد تغير خلال فترة قصيرة بمساعدة الحاخامات والقادة، فقد كان التمرد ضد نمط الحياة الدينية من جانب المجندين في الدورة التدريبية الأولى الذين كان معظمهم من الطلبة المتسربين من "اليشيفوت" ونبذوا من قبل عائلاتهم ومجتمعهم الحريدي، إلا أن المؤسسة العسكرية هي التي فرضت على جنود الكتيبة المحافظة على نمط الحياة الديني، انطلاقا من الالتزام بالأسس التي تم تحديدها كشروط لإنشاء هذه الكتيبة، ويضرب الحاخام "شمعون ألماليح" مثالا على هذا الموضوع وذلك في مقابلة أجريت

معه يوم ٢٠٠٣/١٢/١٤، حيث قال :"جاءني أحد الشباب يشتكى أن هذا يعد تمييــزا دينيا، وأنه لا يفهم لماذا تتدخل السلطات العسكرية في مثل هذه الأمور وتجبره علـــى أن يقيم الفروض الدينية".

وبشكل عام فإنه يجب الاعتراف بأن المؤسسة العسكرية هي التي أعادت جزءا مـــن هؤلاء الشباب إلى الالتزام بنمط الحياة الدينية، بل والأكثر من ذلـــك أن الحاخامـــات وقادة كتيبة الناحال الحريدية أدركوا أن كتيبة دينية حريدية هي السبيل الوحيد لإجبار هؤلاء الشباب على الالتزام بالفروض الدينيـــة، ويمكنهـــا أن تكـــون نقطـــة جـــذب واستقطاب للشباب المتدين الحقيقي، حيث أن تقاطع المصالح بين المؤسسة العسكرية والمنظومة الحريدية أرسى قواعد للتعاون فيما بينهما لإنشاء أساس ديني مستقر لكتيبة الناحال الحريدية، كما أن تقاطع مصالح آخر فيما يتعلق بالبرامج التعليمية والتربويـــة وما تحتوي عليه من تعريف بالصهيونية وبدولة إسرائيل، حيث هذه المجـــالات لـــم توجد بها أية خلافات بين متطلبات المؤسسة العسكرية وبين أفكار الشباب الحريـــديم، وقد وجدت نقطة الالتقاء بين الجانبين في تعطش الشباب الحريدي لســـماع القصـــص المختلفة عن معارك جيش الدفاع، والتعرف على بطولات حروب الماضي، وفي كل دورة تدريبية التزم المجندين بتعلم بعض الكلمات الوطنية والتعود على مراسم تحيـــة العلم كل صباح.

وتجدر الإشارة إلى الصراع الذي نشب بين مطالـــب المؤسســـة العســـكرية وبـــين والمطالب الحريدية في سرية الملازم "شلومي ممان"، الذي كان قائدا للسرية الأولى، والذي تجند في كتيبة "نتساح يهودا"، وفي مارس ٢٠٠٤ وصلت أخبار ســـريته إلـــى الصحف في البلاد والصراع الدائر داخلها حول ترتيب الأولويات بين تحيـــة العلـــم الوطنية وبين أداء صلاة الفجر، و"شلومي" هو من مواليد مستوطنة "ركســـيم" وهـــي مستوطنة دينية حريدية، ووفقا لكلامه فإن بكل حي بـــ"ركسيم" يوجد معبد ومدرســـة دينية، ومعظم سكانها يلتزمون بنمط الحياة الـــديني، لكـــن ٣٠% مـــنهم فقـــط مـــن العلمانيين، وقد تلقى "شلومي" تعليميا دينيا وفي طفولته تعلم التوراة والتلمود بإحـــدى

المدارس الدينية بـــ"حيفا"، ثم انتقل إلى مدرسة "بني عقيبا" بـــ"كريت شموئيل"، وظل بها حتى تم تجنيده داخل صفوف الجيش في سبتمبر ١٩٩٩ حيـــث التحـــق بالـــدورة التدريبية الثانية لكتائب الناحال الحريدية.

وكان "شلومي" قد قرر أن يتم اصطفاف جنود سريته في ثلاث مجموعات أمام علـــم الدولة لتحيته، ثم الذهاب لأداء صلاة الفجر، وذلك بعد أن تشاور مع حاخامات الكتيبة وأعطوا معظمهم موافقتهم على أن تتقدم تحية العلم على أداء الصلاة، إلا أن هذا أثار حالة من الاستياء والتذمر في صفوف المجندين الحريديم حيث رأوا في صلاة الفجـــر فرض ديني يعلو في أهميته تحية العلم، في حين أن أحد المجندين تشاور مع حاخـــام الحي الذي يقطن فيه، وعندما عاد للكتيبة رفض الوقوف لتحية العلـــم وذهـــب لأداء صلاة الفجر، وفي هذه المواجهة الحادة بين التعليمات العسكرية وأوامر الحاخام، لـــم يكن أمام قائد السرية خيار سوى أن يحاكم هذا الجندي ويسجنه، وبالنسبة لحاخامـــات الكتيبة الذين يمثلون الوقود المحرك لأية مشكلة أو صراع ينشب في الكتيبة، فقد أيدوا قرار "شلومي" ومعاقبة الجندي.

وربما يكون من أكثر الأمور الدالة على التقاء الجيش وعالم الحريديم في كتيبة "نتساح يهودا" هو موقف الحاخامات المصاحبين للكتيبة، والذين أعطى لهم الاتفـــاق الأولـــي على إنشاء الكتيبة – والذي قبلته شعبة الشباب وسلاح الناحال بوزارة الدفاع- حـــق الإشراف اليومي على كل أنشطة الكتيبة، وليس المقصـــود بـــذلك بطبيعـــة الحـــال الإشراف على التدريبات العسكرية والمناورات القتالية، لكـــن لوجـــود الحاخامـــات بالكتيبة تأثير كبير على نمط الحياة داخلها، وفي الوقع فإن المؤسسة العسكرية كانـــت قد وافقت على أن تكون الأنشطة الدينية الحريديـــة داخـــل الكتيبـــة تحـــت إشـــراف الحاخامات.

وقد وضع المقدم "يوناثان برنسكي" قائد كتيبة "نتساح يهودا" خلال الســـنوات ٢٠٠٢- ٢٠٠٤ الأسس المختلفة لإنشاء هيئة دينية داخل الكتيبة، وكانت هذه الأسس كالتالي:

- إن الكتيبة هي بمثابة كتيبة دينية.

- أنه من وجهة النظر التربوية يوجد شيء ما من التمييز الديني داخلها.
- أنه من غير الممكن إجبار أي جندي على أن يتدين.
- أنه ليس من حق قادة الكتيبة التدخل بين الجندي والحاخام المصاحب للسرية التي ينتمي إليها.
- أن الكتيبة أنشأت لكي يتمكن الجندي المتدين من أداء الخدمة العسكرية دونما التخلي عن الفروض الدينية، لذلك يجب المحافظة على الطابع التوراتي للكتيبة.
- أنه من أجل الحفاظ على طابع الكتيبة يجب على المجندين المحافظة على القواعد والأسس المتبعة والمتقيدة بالمناخ الحريدي، وهي:
- تغطية الرأس.
- الحفاظ على لغة نظيفة.
- الحفاظ على الطقوس الدينية.

جنود الناحال الحريدية: السمات، الدوافع، صعوبات التكيف مع الحياة العسكرية:

الجنود الذين تطوعوا للخدمة بكتيبة الناحال الحريدية بالدورة التدريبية الأولى كان معظمهم من الشباب الذي ليست له قدرات عالية سواء على المستوى الثقافي أو على المستوى الجسماني، كما عانوا من مشكلات اقتصادية صعبة، وكانوا على هامش المجتمع الحريدي، فقد تركوا الدراسة في اليشيفوت لأن هذا النمط من الحياة لم يناسب طباعهم وقدراتهم، في ظل غياب أي إطار آخر من الممكن أن يستوعبهم، حيث تسكعوا في الشوارع وكانوا قريبون من ارتكاب جرائم، فقد فقدوا احترامهم داخل المجتمع الحريدي، وجزء منهم تم نبذه من قبل أسرته لأنهم ألحقوا بهم العار.

أما "تسوريئيل بيليتس" أحد القائمين على مشروع التجنيد لكتيبة الناحال الحريدية، فقد اعتاد أن يتجول بمفرده في شوارع ومقاهي ميدان "تسيون" بالقدس التي اعتاد شباب الحريديم المتسربين من اليشيفوت أن يتسكعوا به، وكانت الدوافع الرئيسية التي تقف وراء تجنيد هؤلاء الشباب هو الرغبة في بناء مستقبلهم بأنفسهم وامتلاك حرفة

يستطيعون من خلالها كسب قوتهم، كما أنهم لم يروا في أنفسهم أنهم تركوا المجتمع الحريدي، فوفقا لما يقولون فإن الحياة العسكرية التي تحافظ على نمط الحياة الدينية ساعدت على تقوية عالمهم الروحي، فالتجنيد للجيش مثل بالنسبة لهم فرصة لاستعادة احترامهم أمام المجتمع ولبناء مستقبلهم الشخصي، فقد أعاد للكثير منهم إمكانية مواجهة الصعوبات والمطالب الملحة للحياة مثل التي وجدوها في سلاح قتالي في جيش الدفاع.

وهناك جزء آخر من المجندين الذين قرروا بمنتهى البساطة عدم استكمال الدراسة في اليشيفوت، والاندماج في الحياة العملية، وبشكل قانوني قرروا الانخراط في كتيبة "نتساح يهودا"، وكان الدافع الرئيسي وراء هؤلاء الشباب هو العثور على فرصة جيدة في الحياة، ففي أوساط الجمهور الحريدي الشاب الجيد هو الذي يخصص كل حياته لتعلم التوراة، لكن ما يزال هناك شبابا وأسر كاملة تحاول البحث عن مجال يمكن من خلاله كسب الرزق، فمن أجل أن تبني أسرة وتجد لنفسك مكانا داخل المجتمع الحريدي، يجب عليك أن تمتلك حرفة ومكان عمل، وقد قام المكلفين بعملية التجنيد داخل جيش الدفاع باقتراح هذا المشروع على هؤلاء الشباب والذي يشتمل على سنتين خدمة عسكرية وسنة واحدة لتعلم حرفة والتي تعرف بسنة "المشروع" والتي يستكمل بها المجند تعليمه ويكتسب حرفة، كما أتيح لهم أيضا فرصة تلقي كورسات حرفية داخل جيش الدفاع مثل كورسات الخياطة وقيادة السيارات، كما كانت هناك أيضا بعض الأسباب المادية وراء التجند لكتيبة الناحال الحريدية، حيث أن الشباب الذين اختلفوا مع أسرهم تلقوا إعانات لتأجير شقق، وفي نهاية الخدمة العسكرية تلقوا مكافأة تقدر بأكثر من ١٠٠٠٠ شيكل، من أجل استئجار شقة أو البدء في مشروع، كما حصلوا على مكافأة أخرى للتسريح من الجيش تقدر بـ٤٠٠٠ شيكل، وعلاوة على الأسباب المادية فقد رغب جزء من الشباب التجند من أجل بناء شخصيتهم من خلال الخدمة في كتيبة عسكرية مقاتلة، كما كانوا مثل أولئك الذين رغبوا في القيام بجزء من المهام الأمنية للبلاد والدفاع عن أرض إسرائيل كأمر ديني، وهذا الأساس الديني

من جانب هؤلاء الشباب حظي بتأييد الحاخامات، الذين أكثروا من الحديث عن الفقرات التوراتية وعن كتاب "ربي موسى بن ميمون" التي تتحدث عن الإشادة بالمقاتلين لتحرير الأرض المقدسة والدفاع عنها.

ولقد واجهت محاولات تكيف الشباب مع الأوضاع في الجيش صعوبات كثيرة، فمعظم المدنيين الذين كانوا يتسكعون سابقا في الشوارع، استصعبوا حمل عبء الحياة العسكرية، والأكثر من ذلك أن هناك الكثير منهم ترك نمط الحياة الدينية، ولم يلتزم بأداء الصلاة، ولم يحافظ على طقوس يوم السبت، وفجأة دخل مرة أخرى إلى كتيبة دينية محافظة، تجبر مجنديها على الالتزام بالفروض الدينية من خلال أوامر الجيش.

ولقد كانت الفترة الأولى من التدريبات الأولية فترة صعبة للغاية في بناء الجندي وتشكيل هويته، وبمرور السنوات حل تغير بأسلوب وطريقة إعداد الجنود الجدد، ومع ذلك فقد ظل عدد من القادة متمسكين بأسلوب قاس للغاية في إعداد الجنود في فترة التدريبات الأولية، وهذا التصادم بين الأسلوبين القاسي والمعتدل في إعداد الجنود أدى في نهاية الأمر إلى ظهور مظاهر لتمردهم داخل الكتيبة، وهذا التمرد نشب في الأساس على خلفية وجهات النظر المختلفة حول الصلاحيات الممنوحة للقائد وحدودها.

وقد اشتكى جنود السرية الثانية من الضغوط الصعبة التي تمارس عليهم أثناء التدريبات العسكرية ومن الإضرار بالفروض الدينية مثل الطعام "الكاشير" (الحلال وفق الشريعة اليهودية) والحفاظ على قداسة يوم السبت، كما زعموا أيضا أن القادة ينكلون بالجنود، وفي مقابل هذه الصورة السيئة للقادة في الكتيبة أعطى القادة صورة سيئة للمجندين حيث زعموا أن جزءا منهم ترك الحياة الدينية، ولم يحافظ على تناول الأطعمة الحلال، ولم يصل، كما عمل في يوم السبت، وأضر بالسلوكيات الإنسانية داخل الكتيبة، ومن بين ٥٨ جندي تم تجنيدهم هرب منهم ٢٠ جندي ومعظمهم ألقوا في السجن الحربي، وآخرين تلقى علاج نفسي بشكل سري.

ولقد كانت الصعوبة في استمرار وتطوير كتيبة قتالية مكونة من الشباب الذي جاء من الجمهور الحريدي داخل كتيبة حريدية، كان السبب وراء اتخاذ قرار أن يتم الدفع بقوة بشرية من قطاعات دينية أخرى إلى الكتيبة، وقد اشترك في هذا القرار جهات من الجيش بالإضافة إلى الحاخامات، وأدى إلى إحداث تغيير في البناء الداخلي لعناصر لكتيبة "نتساح يهودا"، والتي أصبحت كتيبة توراتية، وقد احتوت الكتيبة على كل المشاكل الدينية في المجتمع الإسرائيلي، حيث أن نصف قادتها وجنودها جاءوا من اليشيفوت المنظمة عسكريا، والتي حدد حاخاماتها أن الكتيبة الحريدية هي مكان جدير بأداء الخدمة العسكرة فيه، وإلى جانبهم كان يخدم جنود تخرجوا من مدارس "حسيدية" (إحدى الطوائف الدينية اليهودية) لكن عددهم كان قليل نسبيًا، كما كان معظم الشباب الحريديم من الجمهور الليتواني، علاوة على شباب من اليشيفوت السفارادية، وبعض الجنود من العلمانيين، فقد وجد التنوع الديني في القطاعات السكانية الإسرائيلية مكانه في كتيبة "نتساح يهودا"، فقد كان ١٠% من كل سرية هم من المتطوعين من الطوائف الحريدية من أصول أمريكية أو فرنسية، و في الدورات التدريبية النهائية كانت نسبة الجنود الحريديم حوالي ٢٥% وبقية المجندين يحسبون على الجمهور الديني التقليدي في البلاد.

وفي الاستفتاء الذي عقد بين جنود الكتيبة وصف ١٦% منهم فقط أنفسهم كحريديم، في حين وصف ٧٥% منهم كمتدينين، و٨% وصفوا أنفسهم كمتدينين تقليديين و١% وصفوا أنفسهم كعلمانيين، وفي استفتاء آخر للتحقق من توصيف المجند، تم سؤال المجندين، إلى أي مدى تحافظ على الفروض الدينية والتوراتية؟

- ٣٤,١% أجابوا أن يسعون للمحافظة على الفروض الدينية.
- ٣٤% أجابوا أنهم يحافظون عليها بشكل كبير.
- ٢٣,٥% يحافظون بشكل أساسي على طقوس يوم السبت وتناول الأطعمة الحلال.
- ٨,٢% يحافظون بمستوى ضئيل على الفروض الدينية.

وفي استفتاء آخر اتضح أن ٢٥% من المجندين ينتمون لأسر حريديـــة (ليتوانيـــة)، و٩% من أسر حريدية بالفعل، ١٩% من أسر دينية و٤٧% من أسر دينية – قومية، والبقية وصفوا أسرهم بالعلمانية.

الفرص والمخاطر:

إن السؤال الأهم الذي يجب طرحه من خلال هذه الدراسة هو: هــل مثلــت كتيبــة الناحال الحريدية "نتساح يهودا" تحولا حقيقا في شكل العلاقات بين الجمهور الحريدي وجيش الدفاع ؟ أم أن التأثير المتبادل الذي حدث ما هو إلا مجرد وضع موطئ قــدم للطائفة الحريدية داخل المؤسسة العسكرية؟ وما هي فرص استكمال هــذا المشــروع وبناء جسر من التفاهم المتبادل بين لتجنيد شباب الحريديم عن رغبــتهم؟ ومــا هــي المخاطر الكامنة في إنشاء وحدة حريدية منعزلة خاضعة لتأثير الحاخامــات، داخــل المؤسسة العسكرية في الوقت الذي تزداد فيه الهوة بين القطاع العلماني والديني فــي المجتمع الإسرائيلي؟

ما هي إذا الفرص والمخاطر الكامنة في كمشروع كتيبة الناحال الحريديــة "نتســاح يهودا"؟

إن كتيبة نتساح يهودا ما تزال في أطوارها الأولى، ومع ذلك فإنه يمكن تقدير النتائج العلنية التي هدف إليها المؤسسين الأوائل لهذا المشروع، وما الذي حققه كل عنصــر من العناصر أصحاب المصالح المختلفة من وراء إنشاء هذه الكتيبة، كما أن النقــاش العميق والجاد حول هذا الموضوع يجب أن يتناول أيضــا المخــاطر فــي مواجهــة الفرص لهذه الكتيبة داخل جيش الدفاع، خاصة على خلفية التغيرات التي طرأت على شكل العلاقة بين المجتمع الإسرائيلي وجيش الدفاع.

وفيما يتعلق بالجهات صاحبة المصلحة في هذا المشروع فإن الطائفة الحريدية ممثلــة في الحاخامات وعدد من أعضاء الكنيست الحريديم حققت مطالبها ولم تتساهل في أية لحظة في شروط انعزالية وخصوصية الكتيبة التي تشكلت من تلاميذ اليشيفوت الذين لم تكن لديهم المقدرة على استكمال دراستهم، إلا أن المشكلة الكبرى التــي واجهــت

الحاخامات للموافقة على التجنيد بالجيش كانت خطيرة، وهي الخوف من أن يغير بقية التلاميذ الحريديم من زملائهم فيطالبون هم الآخرين بالتجند في الجيش، ولكن تبين أن تلاميذ اليشيفوت لا يتسرعون في ترك الدراسة والتجند بالجيش، وفي مقابل ذلك فإن نجاح كتيبة الناحال الحريدية ككتيبة توراتية قتالية داخل الجيش، حولتها إلى مطمح لكل أبناء القطاعات الحريدية والدينية في البلاد الذي يرغبون في الخدمة بالجيش لكن بشرط الحفاظ على نمط حياتهم الديني، وقد وصلت أعداد الشباب الذين تركوا اليشيفوت ويرغبون في إيجاد حل لهم لبناء مستقبلهم والحصول على فرصة عمل إلى المئات، وكانت الخدمة العسكرية هي السبيل الوحيد أمامهم لتحقيق رغباتهم.

وكان الانجاز الكبير هو لمجموعة الحاخامات المصاحبين لكتيبة "نتساح يهودا"، والتي استطاعت أن تفرض على جيش الدفاع طابع الحياة الحريدية واستيعاب الشباب الذي تسرب من عالم اليشيفوت، وقد منحوا حق التدخل في الحياة العسكرية، وأصبحوا بمثابة من يحكمون في كل شؤون الجيش التي تمثل عراقيل في وجه فرض نمط الحياة الدينية داخل الكتيبة، ولقد كان التدخل والتأثير الحاخامي في كل ما يتعلق بشؤون الكتيبة ليس له ما يماثله في أية مؤسسة عسكرية أخرى، كذلك في سرايا "اليشيفوت المنظمة عسكريا".

ومثلما في أي كتيبة عسكرية فإن طاقم القيادة هو المسؤول عن تدريب وتأهيل المجندين وعن الأعمال القتالية التنفيذية، أما في الحالة التي نحن بصددها فإن القادة كانوا يوقرون بشكل كبير الحاخامات، والأكثر من ذلك فقد كانوا يخشون من المواجهة مع الحاخامات ومع الصلاحيات الممنوحة لهم داخل كتيبة "نتساح يهودا".

وبالنسبة للدروس اليومية داخل الكتيبة فقد كانت عن "الجمارا" (أحد قسمي التلمود الذي يتكون من المشنا والجمارا البابلية والجمارا الأورشليمية)، كما كانت تدور مناقشات حول بعض الموضوعات العامة مثل السياسات الحكومية تجاه الفلسطينيين ومستقبل السيادة على أرض إسرائيل، وكانت هذه المناقشات تدور بشكل ذكي وحذر، كما كانت عملية الرفع من الروح المعنوية للمجندين تأخذ الطابع الديني.

وفي بداية المشروع تمرد جزء كبير من المجندين على عالم الحريديم واليشيفوت، فقد طالب المجندين في الدورات التدريبية الأولى بالانفصال عن سيطرة الحاخامات والبحث عن طريق لهم بعيدا عن الالتزام بالفروض الدينية، وأكثر من مرة سجلت حالات عدم الالتزام بالفروض الدينية داخل الكتيبة مثل انتهاك حرمة يوم السبت وأداء الصلوات، والمؤسسة العسكرية فقط هي التي حاولت الحفاظ على الفروض الدينية داخل الكتيبة حفاظا على استمرار نجاح المشروع ومستقبله.

وبالنسبة للمؤسسة العسكرية فقد كانت مدركة أن إنشاء كتيبة قتالية تشارك في المهام التنفيذية لجيش الدفاع وتوفر جزءا من قوات الاحتياط هو أمر يحتاج إلى العمل المستمر والجاد والشجاع، ومن أجل استكمال القوى البشرية اللازمة للكتيبة تم التوجه إلى مصادر أخرى للقوى البشرية في أوساط الجمهور الديني التقليدي، ومع اتخاذ القرار بإنشاء الكتيبة تم توفير بعض الاحتياجات العسكرية اللازمة وفتحت أبواب الكتيبة أمام أبناء "اليشيفوت المنظمة عسكريا"، لذلك فلم تكن الكتيبة مجرد كتيبة عسكرية حريدية منوعة لكن كانت كتيبة توراتية يمكنها أن تجذب إليها شباب من كل قطاعات جمهور المتدينين الأرثوذوكس بالبلاد وأن تكون بمثابة "بوتقة صهر" مكونة من نسيج صهيوني- ديني- حريدي في إطار كتيبة واحدة، ويذكر أن حاخامات الكتيبة كانوا مشاركين في قرارات تحديث بناء القوى البشرية في الكتيبة من خلال تفهم ضرورة مشاركة قطاعات مختلفة من الشباب بالكتيبة، وربما كانت لهم نظرة أكثر وعيا من ذلك فيما يتعلق بوجود عدد صغير من المجندين الحريديم داخل الكتيبة.

وعلى أية حال فإن الواقع على الأرض هو الذي حدد التطورات المختلفة التي مرت بها الكتيبة، فمن جانب المجهودات المتواصلة من أجل تجنيد عدد ضئيل من شباب الحريديم ومن جانب آخر ضغوط قادة الجيش من أجل إنشاء وحدة عسكرية قتالية وليست مجرد مشروع اجتماعي تربوي، حيث أن المطالب والرغبة في توفير كتيبة تنفيذية تغلبت على الرغبة في تحقيق بعض الأهداف الاجتماعية والتربوية لهؤلاء الشباب الحريديم، ومع حدوث التغييرات في بناء القوى البشرية بالكتيبة سحب منها

أساس كونها "حريدية" فقط، حيث أن الشباب المجند اليوم ويقوم بجميع المهام داخـــل الكتيبة كان مجندا من قبل في وحدات عسكرية أخرى.

المخاطر:

تم إنشاء هذه الكتيبة لحل أزمة الشباب الحريدي المهمش الذي تسرب من اليشـــيفوت، لذلك فقد تقرر إنشاء كتيبة قتالية تابعة للجيش لكنها تعمل وفق أسس ومبادئ تتناقض كلية مع الأسس التي يقوم عليها جيش الدفاع، وكان هناك عدد من الضباط في الجيش يعتقدون أنه من الممكن حل هذه المشكلة بإنشاء سرية حريدية واحدة ضـــمن ســـلاح الناحال في قاعدة "إيلنيبا"، والتي يتم فيها التأهيل العسكري لشباب المجندين أصـــحاب القدرات الجسمانية والثقافية المنخفضة، ومع ذلك فإنه من غير الممكـــن تجاهـــل أن إنشاء هذه الكتيبة قد أضر بالأسس الرئيسية لجيش الدفاع وذلك بتدخل الحاخامات في إنشاءها وإداراتها، كما كان لها آثار سلبية أخرى تمثلت فـــي أن شـــباب اليشـــيفوت المنظمة عسكريا أصبحوا يخدمون في كتيبة حريدية الأمر الـــذي أدى إلـــى حـــدوث توترات كبيرة، كما نشبت خلافات أيضا مع الحاخامات الذين يرغبون في إنشاء كتيبة حريدية منعزلة وبين قادة اليشيفوت الصهيونية.

وبناء على ما سبق فإنني أعتقد بضرورة قيام نقاش جاد وعميق حول علاقـــة الـــدين بالجيش في البلاد، وذلك على خلفية التغيرات والتوترات التي طرأت خلال الســـنوات القليلة الماضية، وكل من يتفحص ما يحدث داخل المجتمـــع الإســـرائيلي منـــذ عـــام ١٩٧٣، يشعر بمدى تخلف الثقافة السياسية وعمق أزمتها، ويمكن التعبير عن هـــذه الظاهرة بعبارة "سياسات متشددة لمنظمة غير برلمانية"، فمنذ عام ١٩٧٣ وما بعـــدها وجد جيش الدفاع نفسه في صراع من أجل استعادة مكانته المتردية داخـــل المجتمـــع الإسرائيلي، كما أن هناك الكثير من الأبحاث التي أعدت وتتحدث عن وجـــود هـــوة كبيرة بين المجتمع والجيش، كما أن الخدمة العسكرية في حد ذاتها لم تعد تمثل "بوتقة صهر"، وتقدير الجمهور لقيمة الجيش سحقت بمرور السنوات، خاصة في ظل الفشل العسكري للجيش منذ عام ١٩٧٣، وفي ظل الخلاف الشديدة حول مبـــررات وعدالـــة

أهداف الحروب التي دخلتها إسرائيل وذلك فيما يتعلق بشكل خاص بحرب لبنان عـــام ١٩٨٢ والانتفاضة الفلسطينية الأولى والثانية.

بالإضافة إلى ذلك فإن تدخل المؤسسة القضائية والإعلامية في ممارســـات الجـــيش أضرت بمكانته، ولم تعد هناك مسائل أو موضوعات أمنية "مقدسة" لا يتم التعــرض لها بالنقد، كما أن هناك بعض القضايا والموضوعات التي نوقشت في أروقة المحاكم، وهناك من يقولون أن تزايد الصدع بين المتدينين والعلمانيين في البلاد أصبح يشـــكل خطورة متزايدة على الدولة وجيشها، وذلك على خلفية الجدل حول صورة المجتمـــع الإسرائيلي في ظل نمط الحياة المتغير والقرارات الصعبة التي اتخذت فيمـــا يتعلـــق بمستقبل الأراضي الفلسطينية وحدود الدولة، فقد ازدادت الهوة بين الجمهور الـــديني والعلماني في البلاد منذ توقيع اتفاقات "أوسلو"، وتزايدت في الفترة الأخيـــرة بســـبب الأضرار التي سببتها سياسات حكومة "شارون" التي قادت عملية إزالة المســـتوطنات من قطاع غزة وكتل استيطانية محددة في "يهودا والسامرة" (الضفة الغربيـــة)، وفـــي ظل الخلافات الشديدة حول جدوى إنشاء كتيبة دينية داخل الجيش، فهناك الكثير مـــن الباحثين الذين يحذرون من تفشي ظاهرة التمرد على الخدمة العسكرية داخـــل هـــذه الكتيبة، ومن التصادم بين صلاحيات ومهام القادة العسكريين وبين مواقف الحاخامات وبين الأساس التربوي والتعليمي الذي نشأ عليه المجندين بالكتيبة.

الفرص:

إنه على الرغم من كل ما قيل عن المخاطر الكامنة في هذه الكتيبة الحريدية، إلا أنـــه لا يمكن تجاهل الفرص الكبيرة لنجاح هذه الكتيبة بعد أن تنجح فـــي مـــرور المحـــك العسكري الصعب، حيث أنها ساهمت في حل مشاكل أولئك الحريديم الذين يبحثـــون عن تعلم حرفة والحصول على فرصة عمل، فقد انضم كثير منهم إلـــى الكورســـات التعليمية في الجامعات والمعاهد التكنولوجية، كما أن الضغط الجماهيري الحريدي في هذا الجانب اضطر الحاخامات في نهاية المطاف إلى تشجيع فكرة الخـــروج للعمـــل والتأهيل المهني.

وقد وصل المجتمع الحريدي إلى أوج قوته في النصف الثاني من عقد التسعينات وازداد تمثيله السياسي (السفاراداي والاشكنازي) داخل المجتمع، حيث حصلوا على ١٧ مقعد في البرلمان من خلال حزب "شاس" في انتخابات عام ١٩٩٩، كما تم انتخاب "أوري لوفوليانيسكي" لرئاسة مدينة "القدس"، بالإضافة إلى أن لجنة المالية في الكنيست ظلت لفترات كبيرة تحت سيطرة الحريديم.

ولاشك أن مشروع كتيبة الناحال الحريدية هو مشروع نجح إلى حد ما، حيث أنه من وسط المجندين به يوجد شباب حريدي وشباب حريدي –قومي، وشباب من الطوائف "الحسيدية" المختلفة، وإلى هؤلاء انضم شباب حريديم من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ومن بلدان أخرى، كما أن عدد المتطوعين لتجند في الكتيبة ارتفع خلال الدورات التدريبية النهائية بشكل يفوق الأعداد المطلوبة.

الخلاصة:

إن مسيرة التغييرات في المجتمع الحريدي بالنسبة للخدمة العسكرية في جيش الدفاع هو أمر هامشي، وسيتسمر لفترة طويلة من الزمن كذلك، حيث أن مشروع الكتيبة الحريدية شمل فقط أولئك الشباب الذين تسربوا من اليشيفوت، مع ذلك فإنه يوجد أمل بأن يجد ألاف الشباب الحريديم طريقهم إلى الخدمة العسكرية في ظل نجاح هذه الكتيبة.

وفي تقديري فإنه من غير الممكن أن يتم فرض الخدمة العسكرية على القطاع الحريدي، ويجب الاستمرار في التعاون والشراكة معهم من خلال الأخذ في الاعتبار احتياجاتهم الدينية المختلفة، ويجب أن يتم التقدم في مشروع كتيبة الناحال الحريدية بتأني وبحذر، من خلال الحفاظ على الأسس الرئيسية لجيش الدفاع، دون الإضرار بقيم الديقراطية، وإن الخدمة العسكرية في كتيبة حريدية هي خطوة مهمة نحو التقارب مع المجتمع الحريدي وانخراطه في جيش الدفاع وفي سوق العمل، ولكن مع مرور الوقت من الممكن أن تكون أحد عوامل التخفيض من التوتر بين الجمهور الحريدي والعلماني في البلاد في إسرائيل وتمنع توسيع الهوة بينهما التي تهدد مستقبل الدولة.

الجزء الثاني

بين تعلم التوراة وكسب الرزق: المجتمع الحريدي في لندن

*** عن البحث:**

في إطار مجموعة الدراسات حول العلاقات الدينية والاجتماعية والسياسية التي يقوم بإعدادها معهد "فلوسهاييمر" للدراسات السياسية، فإن البروفيسور"عميرام جونان" أعد دراسة ميدانية حول الطائفة اليهودية الحريدية بمنطقة "ستامفورد – هيل" بالعاصمة البريطانية (لندن)، والتي يقطن بها في الوقت الحالي غالبية سكانية من الحريديم اليهود، وتتركز هذه الدراسة حول العلاقة بين تعلم التوراة والخروج إلى سوق العمل لكسب الرزق بين أبناء هذا المجتمع الحريدي، فالصورة التي تعكسها الدراسة هي صورة مجتمع المتعلمين والعاملين من الحريديم، حيث إن ثلثي الحريديم من الرجال في هذا المجتمع يمارسون أعمالا ومهن مختلفة، بشكل يختلف تمامًا عن الواقع الموجود بالمجتمع الحريدي في إسرائيل، فالحريديم بلندن حاولوا الموازنة بين تعلم التوراة وكسب الرزق من خلال الخروج إلى سوق العمل، لذلك فهم ينقسمون إلى أكثر من نوع فهناك من يخصص كل وقته من أجل تعلم التوراة، وهناك من يخصص كل وقته للعمل وكسب الرزق، وهناك من يخصص نصف وقت يومه لتعلم التوراة وبقية اليوم يعمل في حرفة تدر عليه دخلا يمكنه أن يعيش منه، وهناك من يخصص لنفسه وقتًا محددًا لتعلم التوراة في أيام معينة من الأسبوع، وهناك من يكتفي بتعلم دروس التوراة في السبوت والأعياد الدينية، إلا أن أغلب من يعملون منهم يلتزمون بالاستمرار في تعلم التوراة كجزء لا يتجزأ من الحياة الحريدية اليومية، في حين تتركز مصادر الرزق الرئيسية للحريديم بلندن في ممارسة مهنتي التدريس، والتجارة.

مقدمة:

يوصف المجتمع الحريدي في إسرائيل على أنه "مجتمع متعلمين"، اعتاد على تلقي دروس التوراتية بشكل كامل في المدارس الدينية "اليشيفوت"، إلا أنه بمرور الوقت بدأ بضع مئات من الرجال الحريبديم في التوجه إلى سوق العمل، بشكل أصبح يمثل ظاهرة كبيرة الحجم، فقد تمكن الكثير منهم من الحصول على شهادات تأجيل من الخدمة العسكرية بجيش الدفاع، في نفس الوقت الذي تزايد فيه الدعم المالي الذي

تخصصه الدولة لأسر وشباب الحريديم، وكانت النتيجة لذلك حدوث تزايد مستمر في نسب عزوفهم عن المشاركة في القوى العاملة بالبلاد، فقد أظهرت التقديرات المختلفة أن ثلثي الرجال الحريديم في إسرائيل لا يعملون، والسؤال الذي يطرح نفسه حاليا على الساحة الجماهيرية الإسرائيلية، هو إلى متى سيتحمل المجتمع الحريدي بشكل خاص والمجتمع الإسرائيلي بشكل عام عبء إعالة "مجتمع المتعلمين" هذا الذي يتزايد حجمه عاما بعد عام؟، وبناء على ما سبق فإننا نجد أن البروفيسور "مناحيم فريدمان" أستاذ الاجتماع في جامعة "بار إيلان"، والخبير في دراسة المجتمع الحريدي، يطرح عدة تساؤلات حول هذا الموضوع، حيث يذكر في أحد أبحاثه، قائلا: "هل وجود مجتمع من المتعلمين يلزم أبنائه بالدراسة في "اليشيفوت" لمدة طويلة من الوقت، وبتجنب التزود بالثقافة الاقتصادية والمهنية، أمر ممكن لفترة طويلة من الوقت؟ وهل سيضطر المجتمع الحريدي في المستقبل القريب إلى التمييز بين أولئك الذين يدرسون في اليشيفوت، وبين أولئك الذين يضطرون للاندماج بصورة أو بأخرى في الحياة الاجتماعية السائدة بالعالم الغربي؟".

ويعيش الحريديم في إسرائيل وفق المفهوم الذي مفاده أن اليهود الذين يسكنون في الأرض المقدسة يجب عليهم الالتزام بنمط الحياة الدينية التقليدية، لذلك فهم يعيشون في إسرائيل بمجتمع منغلق على أنفسهم تسوده الثقافة الدينية والاجتماعية الخاصة بهم، وكان نتيجة ذلك تجنبهم الانخراط في سوق العمل من أجل كسب الرزق، الأمر الذي أدى إلى ارتباطهم اقتصاديا بالمجتمع الذي يعيشون به بشكل عام، وفي إسرائيل فإن الثقافة الحريدية التي تفرض على الرجل الحريدي تجنب تعلم أي دراسات أخرى غير التوراة تمنعه أيضا من أداء الخدمة العسكرية، فوفقا للاتفاق بين الدولة والمجتمع الحريدي يحصل كل شاب حريدي يقوم بدراسة التوراة في "اليشيفوت" على إعفاء من الخدمة العسكرية، لذلك فإن شباب الحريديم وجدوا أنفسهم في مشكلة حقيقة تمثلت في محاولة التوفيق بين شروط الثقافة الحريدية المفروضة عليهم وبين القوانين الرسمية للدولة، وفي المقابل فإنه في بلدان أخرى غير إسرائيل – التي لا يوجد بها إلزام

بالخدمة العسكرية – فإن الفرصة مفتوحة أمام الشباب الحريديم للاختيار في أي وقت بين الدراسات التوراتية وبين الخروج للعمل وكسب الرزق عـــن طريـــق التـــدريب المهني أو الالتحاق بالدراسات العليا في أي جامعة أو معهد.

الفصل الأول:الطوائف الحريدية في الغرب كقاعدة للمقارنة مع المجتمع الحريدي في إسرائيل

أدركت منذ عدة سنوات في الوقت الذي بدأت فيه دراستي عن المجتمع الحريدي، أن هناك أهمية كبرى لدراسة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الخاصة التي تطرأ على الطوائف الحريدية في البلدان الأخرى، وذلك من أجل وضع قاعدة مقارنة بينها وبين الحريديم في المجتمع الإسرائيلي، وقد كانت فرضية بحثي تتمحور حول الكشف عن طبيعة حياة الحريديم في الدول الغربية الكبرى المتطورة اقتصاديًا وتكنولوجيًا، وكيفية تأثيرها على نمط حياتهم، ولقد تطورت هذه الفرضية البحثية على خلفية الشهادات التي قالها الحريديم الذين هاجروا لإسرائيل من دول غربية مختلفة، فمعظمهم كانوا يعملون في الدول التي أتوا منها، وكانت نسبتهم أكبر من أولئك الذين كانوا يدرسون فقط، الأمر الذي يشير إلى أي مدى كانت متاحة أمامهم الفرصة للاختيار ما بين العمل والدراسة، إضافة إلى ذلك فإن المجتمعات الحريدية خارج إسرائيل عرفت منذ وقت طويل كيفية التوازن بين تعلم دروس التوراة وبين الخروج لسوق العمل، أما المجتمع الحريدي في شرق أوروبا فقد سعى إلى أن ينطوي على نفسه وأن يحارب تأثير حركات الحداثة والصهيونية، وبالنسبة لمن كانوا يعملون في هذا المجتمع فقد اعتمدوا بشكل أساسي على التجارة وعلى الأعمال اليدوية، وعلى الأعمال التي لا تحتاج إلى الدراية بمهن حرفية حديثة و لا لتدريب أو تأهيل مهني، إلا أن الأمر لم يكن كذلك في أوساط المجتمعات الحريدية بوسط أوروبا، فهناك وقف المجتمع الحريدي في مواجهة مجتمع حداثي متطور أكثر مما هو الحال عليه في شرق أوروبا، إلا أن جزءًا من الحريديم وجدوا لأنفسهم طريقًا وسطًا بين ذلك وتمكنوا من المزج بين نمط الحياة الدينية ونمط الحياة الحديثة، وبناء على ذلك فقد ظهرت في ألمانيا بمنتصف القرن التاسع عشر حركة "التوراة مع نهج البلاد" التي خرجت من المدرسة الدينية للحاخام "رفائيل شمشون هيرش" بفرانكفورت، وقد فسر أتباع هذه المدرسة ظهور هذه الحركة بأن جزءا من الحريديم أدركوا ضرورة السير

مع "نهج البلاد" الحداثي السائد في تلك الفترة وأهمية البحث عن فرصة عمل، وآخرين سلكوا نهج الحركات اليهودية الأرثوذكسية الحديثة وتوجهوا نحو الاعتراف بمفاهيم الحياة الحداثية المتطورة السائدة في وسط أوروبا وغربها، كما أن هناك من اكتفوا بالانخراط في مجال دراسة العلوم الطبيعية وتجنبوا دراسة الفلسفة والفنون.

وبمرور السنوات ومع هجرة اليهود الحريديم من وسط أوروبا لدول غرب وشمال أوروبا- وخاصة(بريطانيا)، ولأمريكا الشمالية (الولايات المتحدة الأمريكية) وجد المجتمع الحريدي نفسه شيئا فشيئا أمام مجتمع حداثي منفتح، فقد نمى المهاجرين الحريديم من وسط أوروبا في المدن الغربية المقامة على مؤسسات ثقافية تنتهج أساليب المزج بين التعاليم الدينية وضروريات الحياة، وعقب الحرب العالمية الثانية انضم جزء كبير من حريديم شرق أوروبا وقلة ممن نجوا من أحداث النكبة (الهولوكوست) إلى المراكز اليهودية الكبرى في المدن الغربية، في حين هاجر آخرين إلى إسرائيل، وهكذا حدث فارق جغرافي- ثقافي أساسي بين تياري الهجرة الحريدية عقب الحرب العالمية الثانية، فكل تيار من هذين التيارين وجد نفسه في وضع اجتماعي – ثقافي متغير، ففي الغرب تطورت حياة متعددة الثقافات أمام موجات الهجرة الجديدة والمتزايدة، وهذه التعددية الثقافية التي تطورت بشكل أساسي خلال النصف الثاني من القرن العشرين، مكنت بشكل تدريجي من المزج بين التقاليد والحداثة داخل جماعات الهجرة المختلفة من كل الأجناس، ومن بينهم جماعة المهاجرين اليهود الحريديم، وفي المدن الغربية لم تكن الطائفة الحريدية داخلة في صراع مع دولة صهيونية ولم يلق على عاتقها العبء الثقيل للأرض المقدسة كما هو الحال في إسرائيل، لكن كانت هناك بعض الأوساط الحريدية التي طمحت لتطوير مجتمع "اليشيفوت" الذي خربته أحداث النكبة (الهولوكوست)، لكنهم فعلوا ذلك من خلال انخراطهم في حياة سوق العمل، أما في إسرائيل فقد كان الأمر مخالفا تماما، فقد تقوقع المجتمع الحريدي داخل عالم اليشيفوت وبالتالي انعزل تمامًا عن المجتمع الإسرائيلي.

وفي النصف الأول من القرن العشرين سكن معظم الحريديم في المدن والأحياء الصغيرة في شرق ووسط أوروبا، واليوم تتركز هذه الجماعات السكانية في المدن الغربية الكبرى، وبالتالي فهي واقعة تحت التأثير الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لهذه المدن، ولا شك في أنها طمحت إلى أن تصل إلى المستوى المعيشي بهذه المدن، لذلك فقد سلكت طريقها نحو إيجاد فرص جديدة يمكنها من خلالها تحسين مستوى الدخل.

ومن خلال هذا الوصف التاريخي للحريديم في الغرب، فمن الممكن القول بأن نمط الحياة الذي تطور في أوساط المجتمع الحريدي بالدول الأوروبية يدل على أنه إلى أي مدى كانت هذه الكتلة السكانية الحريدية قادرة على التكيف مع نمط الحياة الأوروبي، وخاصة في مجال الخروج إلى سوق العمل وكسب الرزق، وأنا أعتقد أنه من أجل التعرف بشكل جيد على ما يحدث داخل المجتمع الحريدي في إسرائيل فمن الضروري دراسة أحوال المجتمعات الحريدية بالدول الأخرى، ومن أجل ذلك قمت بإعداد بحث عن الحريديم في مدينتي "نيويورك" و"لندن"، اللتين تعدان بمثابة تجمعين مهمين من تجمعات الحريديم في الغرب، حيث اعتبرتهما – في بحثي – نموذجين عمليين لدراسة نمط التحاق شباب الحريديم في الغرب بسوق العمل في ظل غياب الالتزام بأداء الخدمة العسكرية.

وفي مدينة نيويورك قمت بمتابعة الرجال الحريديم الراغبين في الالتحاق بسوق العمل، بعد استكمال دراستهم للتوراة، حيث يلتحقون بشكل مباشر بالعمل أو التأهيل المهني أو الأكاديمي، وحاولت في هذا البحث التعرف على وجهة نظر الحاخامات وزعماء الطوائف الحريدية في الشخص الذي يترك "اليشيفوت" وينضم لسوق العمل، وعلى الخلافات القائمة بين الطوائف الحريدية المختلفة حول هذا الموضوع، وعلى الطرق والوسائل المختلفة التي ينتهجها شباب الحريديم للالتحاق بالعمل، وعلى الأطر المؤسساتية المختلفة التي تطورت لتسهيل القيام بذلك، وقد توصلت نتائج هذا البحث إلى أن المجتمع الحريدي في نيويورك وفي مناطق أخرى بالولايات المتحدة وكندا،

وجد لنفسه طريقا وسطا بين الالتزام بتعلم ودراسة التوراة وبين الانخراط في حياة العمل، فمعظم الكتلة السكانية الحريدية هناك منخرطة في أعمال مختلفة ومهن مستحدثة منها ما هو متعلق بتكنولوجيا المعرفة وخاصة تلك المرتبطة بالحاسب الآلي، كما أن عائلات وحاخامات الحريديم لا يعارضون ذلك بل يسمحون به في كثير من الأحيان، بل وفي أحيان أخرى يشجعونه، كما توصل البحث أيضًا إلى أن الحريديم في نيويورك بدءوا يهتمون بشكل كبير بتضمين علوم ومعارف عامة في المنظومة التعليمية الحريدية التي تتأسس على علوم ومعارف التوراة، بل يطالبون أيضًا بإدخال دروس عن الخدمات المهنية والعملية، كما توصل البحث إلى أن المجتمع الحريدي في نيويورك بدأ يأخذ صورة "مجتمع المتعلمين والعاملين"، فالكثير من الرجال الحريديم يعملون وفي نفس الوقت يدرسون العلوم الدينية، فالالتحاق بالعمل لا يلزم بالضرورة الشخص الحريدي بأن يتوقف عن استكمال دراسته الدينية، وهذه الصفة لم تكن تقتصر على المجتمع الحريدي في نيويورك وحسب، بل كانت تميز أيضًا المجتمعات الحريدية اليهودية في دول شرق ووسط أوروبا قبيل أحداث النكبة (الهولوكوست)، وأيضًا المجتمع الحريدي في إسرائيل.

وفي صيف ٢٠٠٢ قمت بوضع القواعد الأساسية لهذا البحث الذي يتعرض للحريديم في لندن، والذي يختلف بطبيعة الحال عن البحث الذي تعرض للحريدينم في نيويورك، والذي يتمحور حول مشكلة واحدة وهي مشكلة التأهيل المهني للحريديم والتحاقهم بسوق العمل، أما فيما يتعلق ببحث الحريديم في لندن فهو أكثر شمولا ويحتوي على رؤى مختلفة حول حياة الطائفة الحريدية في لندن، وقد حاولت فيه الإجابة على سؤال عام، وهو: كيف أن طائفة منغلقة على نفسها ومتعصبة يمكنها أن تحافظ على نمط حياتها الديني والثقافي في مواجهة الحياة الحضارية - الحداثية في لندن؟ لذلك فالبحث يحتوي على معلومات مختلفة حول حياة الطائفة الحريدية في لندن، وعلى طرق مواجهتها للحياة الحداثية التي تهدد ذلك النمط المتشدد الذي تتميز به، وحول مشاركتها في الحياة السياسية هناك من أجل أن تؤمّن لنفسها مصالحها

الخاصة، وفي نهاية البحث أطالب بتقدير النتائج المترتبة على انخراط رجال الحريديم في سوق العمل، والتوازن بين تعلم التوراة والالتحاق بسوق العمل من خلال الاعتماد على موارد دولة متقدمة، وهذه المشكلة هي التي تواجه المجتمع الحريـدي الآن فـي إسرائيل، إما بسب ضغوط من الخارج أو بسـبب تزايـد التـذمر لـدى القطاعـات الجماهيرية الأخرى – غير الحريدية – في الداخل.

الطائفة الحريدية في منطقة "ستامفورد – هيل" بلندن:

يتمحور البحث بشكل أساسي حول الطائفة الحريدية في منطقة "سـتامفورد – هيـل" (Stamford Hill) الواقعة في شمال لندن، ببلديـة "هـاكني" (Hackney)، والتـي تشتمل على عدد من الأحياء اللندنية المتجاورة، وتقع منطقة "ستامفورد – هيل" فـي الجزء المسمى بـ"لندن الداخلية"، والذي يسكن به مهاجرين من شبه القارة الهنديـة، ومن جزر الكاريبي ومن شمال أفريقيا ومن الشرق الأوسط، لذلك نجد أن فـي هـذا الكم الكبير من المهاجرين يوجد بحر من الثقافات المختلفة، أمـا الطائفـة الحريديـة فتتركز في شمال بلدية "هاكني"، فهي تسكن في المنطقة التي تقطنها الطائفة اليهوديـة بالبلاد، وهي ليست حريدية في أساسها، حيث هاجرت في الماضي إلى هذه المنطقـة قادمة من منطقة (East End) القريبة من مدينة لندن من الناحية الشـرقية، والتـي كانت بمثابة مكان استقرار للهجرات اليهودية إلى بريطانيا في منتصف القرن التاسـع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، ومع الوقت استقر أعضاء هذه الهجـرات فـي منطقة "ستامفورد – هيل" بالإضافة إلى مهاجرين حريديم من ألمانيا وأقـاموا بـؤرة سكانية حريدية في هذه المنطقة.

وبعد أن وصلت موجات الهجرة اليهودية إلى لندن عقب أحداث النكبة (الهولوكوست) تركزوا في منطقة "ستامفورد – هيل" واحتلوا مكان اليهود الذين هاجروا إلى أحيـاء شمال وغرب لندن التي تحولت بمرور الوقت إلى بؤر سكانية كبيرة ليهود بريطانيـا وهي أحياء: Golders Green, Hendon, Edgeware، أما البؤرة السكانية التـي أقامها المهاجرين الحريديم الألمان في شمال بلدية (هاكني)، فقد كانت بمثابـة عامـل

جذب للحريديم من شرق أوروبا، وبمرور السنوات ومع زيادة أعداد السكان الحريديم في منطقة "ستامفورد – هيل" زاد في المقابل تيار اليهود غير الحريديم الذين هاجروا من المنطقة بعد أن احتل المهاجرين الحريديم الأجزاء الشمالية والغربية من لندن أيضًا، وفي الوقت الحالي فإن معظم السكان الحريديم في منطقة "ستامفورد – هيل" هم من "الحسيديم" (إحدى الفرق الدينية اليهودية)، ويتوزعون بين عدة طوائف حريدية مختلفة، والصورة التي يعكسها نمط الحياة الحريدية في هذه المنطقة تعكس بشكل كبير النهج الذي انتهجته الطائفة "الحسيدية" المحافظة لمواجهة تحديات المجتمع الحداثي الذي تعيش به، حيث أن هذه الطائفة تشبه في ظروفها إلى حد كبير ظروف المجتمع الحريدي في لندن، وذلك في علاقتها بالعالم المحيط بها.

وقد اعتمدت في بحثي بشكل خاص على المقابلات الميدانية والحوارات الغير مرتبة التي أجريتها مع زعماء الحريديم في لندن، ومع بعض النشطاء ورجال الأعمال، وأيضا مع رجل الشارع البسيط، و الذين كان من بينهم أشخاص حريديم من أعضاء المجلس المحلي لبلدية "هاكني"، وأيضا حاخامات ومعلمين، ونشطاء حريديم يعملون على تكوين بنية أساسية من الخدمات الحديثة للطائفة الحريدية، بالإضافة إلى أشخاص من جميع أطياف المجتمع الحريدي في لندن، والذين يتمركزون في البؤر السكانية الأساسية بلندن سواء في منطقة "ستامفورد –هيل" أو بمنطقة "جولدرز جريين"، كما أجريت عدة مقابلات مع مجموعة من نشطاء الطوائف الإسلامية التي تقطن منطقة "ستامفورد – هيل" إلى جوار الطائفة الحريدية، كما كانت لي بعض اللقاءات مع عدد من المسؤولين في بلدية "هاكني"، وذلك في محاولة للتعرف من خلالهم على مدى فهمهم وإدراكهم لمسألة قيام مجتمع يهودي حريدي يمكنه مواجهة تحديات المجتمع الحداثي الذي يعيش فيه.

وبالنسبة لتلك الحوارات واللقاءات التي أجريتها فقد مثلت بالنسبة لي المادة الرئيسية التي اعتمدت عليها في بحثي، فقد تحدث جزءا من الذين التقيت بهم بشكل عميق عن المشاكل التي تواجه المجتمع الحريدي، وأنا مدين لهؤلاء الأشخاص بالكثير من

الفضل، وبشكل خاص فأنا أرغب أن أخص بالشكر ثلاثة أشخاص خصصـــوا لـــي جزءا كبيرا من أوقاتهم لمساعدتي، وهم : الحاخام "أبراهـــام بينتـــر" أحـــد النشـــطاء المهمين بالطائفة الحريدية في منطقة "ستامفورد – هيل" والذي كـــان أحـــد أعضـــاء المجلس المحلي لبلدية "هاكني"، والحاخام "أبا دونر" أحد زعماء المجتمـــع الحريـــدي بالأحياء الشمالية الغربية من لندن، وعضو المجلس المحلي لبلدية "بارنـــت"، والســـيد "منشيه شارف" الذي يقطن منطقة "ستامفورد – هيل"، حيث أن هـــؤلاء الأشـــخاص أمدوني بالكثير من المعلومات.

كما ساعدني في إعداد هذا البحث عدد من الباحثين الذين ينتمون للمجتمع الحريـــدي بلندن أو على دراية كاملة بما يحدث داخله، ومن بينهم أود الإشارة بشكل خاص إلى "كريستين هولمان"، التي أعدت بالاشتراك مع ابنتها "ناعومي" استطلاعات للرأي في أوساط الطائفة السكانية الحريدية بمنطقة "ستامورد – هيل" ومنطقتي "بروتون بارك"، و"مانشيستير"، كما استعنت أيضا بمادة وبيانات من الانترنت، وخاصة تلك التي تتعلق بالاقتصاد البريطاني، بالإضافة إلى أن كلية "كويين ماري" ســـاعدتني بشـــكل كبيـــر لإنهاء هذا البحث، علاوة على بعض الباحثين في معهد "أبحاث السياسات اليهوديـــة" في لندن، ومن بينهم أذكر بشكل خاص زميلي البروفيسور "ستانلي فترمان".

١ – النتيجة الأساسية: نمطي المتعلمين والعاملين بالمجتمع الحريدي:

إن النتيجة الأساسية التي خرج بها هذا البحث هي تقديم عدة أطروحات حول طبيعـــة العلاقات بين الطائفة الحريدية في مدينتي لندن ونيويورك والمجتمع الذي تعيش فيـــه، وكيفية موازنتها بين متطلبات تعلم التوراة والخروج لسوق العمل بهدف كسب الرزق، ولذلك فقد قمت بالتمييز بين ٥ أنماط أساسية خاصة بالرجال والشباب فـــي المجتمـــع الحريدي، التي تبرز من خلالهم مشكلة الموازنة بين تلقي الدروس التوراتية والعمـــل لكسب الرزق، وهذه الأنماط ، هي:" الشاب الذي يتعلم بشكل كامل"، و"الشاب الـــذي يعمل قليلا"، و"الشاب الذي يعمل بشكل جزئي"، و"الشاب الذي يعمل ويتعلم"، و"الشاب الذي يعمل ويتعلم قليلا".

وبالنسبة للنمط الأول وهو "**الشاب الذي يتعلم بشكل كامل**": فهو الذي يوصف داخل إسرائيل بأن توراته هي شغله الشاغل والعمل الذي لا عمل له غيره، فهو الذي يخصص كل وقته من أجل تعلم التوراة، وفي الغالب ما يكون قد التحق في شبابه بـ"اليشيفا"، ويعتمد في حياته على إنفاق والديه عليه والإعانات التي تمنحه الدولة إياها، وهذا النمط يتميز من ينتمون إليه بأنهم يعملون داخل نموذج يسمى بـ"مجتمع المتعلمين".

"**الشاب الذي يعمل قليلا**": فهو ذلك الشاب الذي يتعلم بشكل عام ومع ذلك فإنه يسعى للحصول على فرصة عمل ولو بشكل جزئي، وهؤلاء الشباب يسعون للبحث عن فرصة عمل من أجل مساعدة أسرهم ولو بشكل بسيط، حيث أنهم يتحملون جزء من العبء الاقتصادي لأسرهم، وفي لندن ونيويورك لا يواجه هذا النوع من الشباب الحريدي أي مشكلة، أما في إسرائيل فإنه يواجه مشكلة مخالفة قانون الخدمة العسكرية، وكذلك مخالفة قانون الدخل والضريبة.

"**الشاب الذي يعمل بشكل جزئي**": وهو الذي اتخذ خطوات جوهرية في طريق الالتحاق بسوق العمل، وذلك على الرغم من التزامه بتلقي دروس التوراة والتي يخصص لها وقتا معينا من يومه، إلا أن هناك بعضًا منهم يرغب أولا في استكمال دراسته بشكل كامل قبل أن يقوم ببناء نفسه اقتصاديا وماديا، والكثير منهم يحاول الموازنة بين فرص العمل المختلفة وبين تعلم التوراة.

"**الشاب الذي يعمل ويتعلم**": وهو الذي خرج من إطار المجتمع الحريدي ووجد لنفسه طريقا في سوق العمل من خلال الحفاظ على تلقي دروس التوراة بشكل محدد ووفقا لمنهج "تحديد أوقات معينة لتعلم التوراة"، وفي نيويورك ولندن يعد هذا هو النمط الأكثر شيوعًا داخل المجتمع الحريدي، حيث أنه داخل هذين المجتمعين توجد الكثير من أشكال تلقي دروس التوراة أثناء أوقات العمل، حيث يوجد من يتعلمون بالمعبد في أوقات ما قبل صلاة الفجر أو في المساء، ويوجد من يخصصون ساعة أو أكثر من أجل تلقي دروس التوراة أثناء القيام بأعمالهم، بشكل يمكنهم من استمرار صلتهم بتعلم

التوراة بشكل وثيق، ويوجد من يحافظون على تلقي دروس التوراة أكثر من مرة خلال اليوم الواحد.

"**الشاب الذي يعمل ويتعلم قليلا**": وهو الذي لا يحدد وقتا معينا من أجل تلقي دروس التوراة بشكل يومي، ولكن يجعل ذلك في المناسبات المختلفة والأعياد وأيام السبوت أو في المناسبات العائلية، وهذا النمط كان سائدا في الجيل الذي أعقب أحداث النكبة (الهولوكوست) ولم يلتحق بـ"اليشيفوت"، وفي الأجيال التي أعقبت ذلك زاد عدد الذين يعملون ويتعلمون في نفس الوقت، وهذه الأجيال كانت ملزمة بتعلم التوراة داخل الإطار العام الذي يعيشون فيه داخل مجتمعاتهم، في نفس الوقت الذي يعملون فيه.

وفيما يلي الجدول رقم (١) الذي يستعرض الأنماط الرئيسية المختلفة المنتشرة بين شباب المجتمع الحريدي بمنطقة "ستامفورد – هيل"، بالإضافة إلى الإشارة لعدد من سماتها.

جدول رقم ١

الأنماط الرئيسية في أوساط الرجال الحريديم بمنطقة "ستامفورد – هيل" بلندن

النمط	السن	سنوات التعليم الكاملة	السمات			
			تلقي دروس التوراة		الالتحاق بسوق العمل	
			الزمن	المكان	الزمن	النوع
الشاب الذي يتعلم بشكل كامل	٢٠-٢٤	١-٤	طوال اليوم	في أي مكان	لا يوجد	لا يوجد
الشاب الذي يعمل قليلا	٢١-٢٥	١-٤	طوال اليوم	في أي مكان	في أوقات مختلفة	فرص عمل كاملة
الشاب الذي يعمل بشكل جزئي	٢٣-٢٧	١-٤	نصف اليوم	في أي مكان وخاصة المنزل	في جزء من اليوم	نصف وظيفة

الشاب الذي عمل ويتعلم	٢٣+	٣٥+	فيما يقرب من كل اليوم، وخاصة قرب أوقات الصلاة بالصباح والمساء	في المعبد والمنزل	في أوقات العمل	وظيفة كاملة
الشاب الذي يعمل ويتعلم قليلا	٢٢+	٣٥+	في أيام السبوت والأعياد فقط	في المعبد فقط	في أوقات العمل	وظيفة كاملة

إن هذه الأنماط الخمسة تميز بشكل خاص الشباب الحريدي في لندن والذي يبدأ حياته كـ" شاب يتعلم بشكل كامل"، وبعد ذلك بعام واحد أو أقل ينتقل إلى الدرجة التي تليها ليصبح "شاب يعمل قليلا"، وإذا كان ينتمي إلى أسرة محدودة الدخل ولا يوجد لها الكثير من موارد الرزق، فيبدأ في البحث عن فرصة عمل مؤقتة ولفترات قصيرة من الوقت بعد إنهائه أوقات الدرس، وبعد عام كامل أو أقل قليلا يتخذ قرارا جوهريا فيما يتعلق باستمراره في سوق العمل ليصبح بعد ذلك "شاب يعمل بشكل جزئي" خلال عدة سنوات، وهذه النوعية من الشباب الحريدي لا تكون لديه أية رغبة للانفصال بشكل تام عن إطار المجتمع الحريدي الذي يحيا بداخله، حيث أنه لا تتوافر لديه وظيفة ثابتة تجعله يترك الاستمرار في تلقي دروس التوراة ولو بشكل جزئي، ويوجد من أولئك الشباب الذي يظل بهذه المرحلة لفترة عام أو عامين، ويوجد من يظل بها أكثر من ذلك، كما يوجد منهم من يكتفي بذلك الوضع لفترات طويلة حيث يمكنه من أن يظل بين عالمين مختلفين، وهما عالم التوراة وعالم العمل، ولا يفقد في نفس الوقت وضعه المتميز داخل المجتمع الذي يعيش به، وانطلاقا من ذلك فإنه يتخذ قرارا في وقت من الأوقات بأن يستمر في العمل ويتحول إلى "شاب يعمل بشكل كامل"، ومنهم من يختار

أن يكون "شابا يتعلم ويعمل" في نفس الوقت، وهو الذي يقوم بتحديد أوقات معينة لتقلي دروس التوراة، وهناك من يكتفي بأن يكون من نمط ذلك الذي "يعمل ويتعلم قليلا" و هو الذي يقوم بتقليل أوقات تلقي دروس التوراة ويجعلها في المناسبات والأعياد فقط، وذلك بهدف أن يستمر في تبوء مكانه ولو متواضعة داخل مجتمعه الحريدي.

ويوجد أيضًا من يبدأ حياته كـ"شاب يتعلم بشكل كامل" لكن وضع أسرته لا يمكنه من أن يستمر كذلك، وبعد ذلك بعام أو أقل ينتقل بسرعة لينضم لصفوف الحريديم العاملين، ويوجد من يبدأ حياته كـ "شاب يعمل قليلا"، وذلك لأن وضع الشاب الذي يتعلم بشكل كامل لا يروق له، وفي مقابل هذين النمطين يوجد بعض الشباب الحريديم الذي تحظى أسرته بوضع اقتصادي قوي يمكنها أن تنفق عليه لسنوات طويلة، ولا يحتاج إلى نصف وظيفة مثل بقية أقرانه من الشباب الحريدي، ولا يحتاج ذلك لساعات معينة في اليوم يخصصها في العمل بالتجارة أو المراهنات أو غير ذلك، وهذا النوع من الشباب الحريدي من الممكن أن يكون زوجًا لبنتًا لأحد الحاخامات الحريديم، وهذه الزيجة من شأنها أن توفر له وضعا اقتصاديا مريحًا بشكل عام، كما يوجد أيضا منهم من يظل لفترات طويلة كـ"شاب يعمل بشكل جزئي".

وتنقسم وسائل الخروج إلى سوق العمل بين الشباب الحريديم إلى جزأين، فيوجد من يلتحق بالعمل دون أن يجهز نفسه لذلك بأي شكل من الأشكال، ويوجد من يستعد لذلك بعدة وسائل مختلفة، وذلك من خلال تلقي دورات تدريبية مهنية وحرفية أو دورات دراسية أكاديمية، لكن بعد الخروج إلى سوق العمل تواجه الشاب الحريدي مشكلة إمكانية الاختيار بين تعلم التوراة وبين الاستمرار في العمل، وفي مواجهة هذه المشكلة أيضا ينقسم الحريديم إلى عدة أنماط بين الحريديم "الليتوانيين" (جماعة من اليهود الذين ينتمون إلى منطقة ليتوانيا الأوروبية)، والحريديم الذين يعيشون في لندن، فهناك الكثير من الحريديم الذين يكتفون بالقليل من التعليم مقارنة بأقرانهم من الحريديم الآخرين، وعلى الرغم من ذلك فإنه يوجد نسبة كبيرة من الحريديم الذين

يعملون ويتعلمون بشكل جزئي في نفس الوقت، والجدول رقم(٢) يحـاول أن يشـرح بشكل عام الوسائل المختلفة التي يتحول من خلالها الحريديم في لندن من الدراسة إلى العمل والعكس.

جدول رقم ٢

وسائل تحول الشباب الحريدي من الدراسة إلى العمل

	وسائل تحول الشباب الحريدي			**وسائل تحول الحريديم "الليتوانيين" ومهاجرو ألمانيا**	
	بشكل سريع	بشكل بطئ	وسائل مقدسة[1]	بشكل عادي	وسائل مقدسة
عمر الزواج	١٩-٢١	١٩-٢١	١٩-٢١	٢١-٢٣	٢١-٢٣
الشاب الذي يتعلم بشكل كامل	لمدة عام واحد	لمدة ٣ أعوام	لمدة ٧ أعوام	٤-٥ أعوام	٦-١٠ أعوام
الشاب الذي يعمل قليلا	لمدة عام	لمدة عام واحد	ــــــ	ــــــ	ــــــ
الشاب الذي يعمل بشكل جزئي	١-٢ عام	لمدة ٤ أعوام	١-٢ أعوام	١-٢	١-٢
عمر الالتحاق بسوق العمل	٢١-٢٤	٢٣-٢٧	٢٦-٣٠	٢٦-٢٩	٢٨-٣٢

٢- تطور الطائفة الحريدية في شمال لندن:

هجرة الحريديم من وسط أوروبا وشرقها:

لقد أدت هجرة اليهود الحريديم إلى الدول الغربية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانيـة إلى حدوث تغيير جغرافي كبير في انتشار الشعب اليهودي حول العـالم فـي نهايـة القرن التاسع عشر، فنتيجة هذه الهجرة حدث تحول كبير في شكل انتشار الطوائـف اليهودية الحريدية والإشكنازية التي استوطنت في الماضي دول شرق ووسط أوروبا،

[1] المقصود بهذه الوسائل تلك التي يستخدمها الشباب الحريديم الراغبين في أن يصبحوا حاخامات أو مدرسين في المدارس الدينية "اليشيفوت".

أما بقية الكتل السكانية الحريدية التي بقيت فقد هاجرت في معظمها إلى أمريكا الشمالية وإسرائيل، وفي أعقاب هذا التحول الكبير انتقل مركز الثقل للحريديم في أوروبا من تلك المدن الصغيرة التي قطنوا بها قبيل أحداث النكبة (الهولوكوست)، إلى المدن والميادين الكبرى بالدول الغربية، حيث أقام الحريديم لأنفسهم من جديد مدن جديدة خاصة بهم، وكانت منطقة "ستامفورد – هيل" بلندن هي إحدى أهم هذه المدن.

وقد استمرت عملية تشكيل الطائفة الحريدية في لندن لفترة طويلة من الوقت، ففي المراحل الأولى من هجرة اليهود لبريطانيا لم يكن من بينهم الكثير من المهاجرين الحريديم، حيث أن التجمعات اليهودية الحريدية في دول وسط وشرق أوروبا لم تتوجه بشكل كبير وسريع إلى دول غرب أوروبا وأمريكا الشمالية، التي وجد بها الكثير من اليهود اللذين لم يحافظوا على الفروض الدينية وعلى تقاليد يوم السبت، كما أن هناك الكثير من يهود أوروبا من وجد لنفسه طريقًا مختلفًا خارج الإطار الحريدي والديني لليهود، وبناء على ذلك فإن الطوائف الحريدية اليهودية التي تكونت في لندن كانت صغيرة جدا في بداية الأمر، وبصعوبة شديدة وجدت لنفسها طريقا وسطًا بين العالم العلماني الحداثي الذي عاشت فيه، وبين عالم الحريديم الديني، إلا أن الزيادة الحقيقة التي طرأت على الحريديم في لندن حدثت في عقدي العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين، وبشكل محدد عقب صعود النازيين للحكم في ألمانيا عام ١٩٤٥.

وقد وصل الحريديم من ألمانيا وهم لا يعرفون أي شيء عن العلوم الحديثة أو المهن الحرفية، وكان جزء صغير منهم لديه خلفية ببعض العلوم الأكاديمية، إلا أنهم تمكنوا من التعرف على نمط الحياة داخل تلك البلدان التي هاجروا إليها، كما تمكنوا أيضا من استغلال مواردها بشكل جيد لسد احتياجاتهم ومتطلباتهم، وبتعبير آخر فإن لندن لم تكن تختلف كثيرا عن برلين أو فرانكفورت، وعن بقية المدن الألمانية الأخرى، وكان الحريديم الذين استوطنوا منطقة "ستامفورد – هيل" بلندن هم الذين أسسوا النواة الأولى للحياة الحريدية التي تجمع بين التقاليد الدينية وبين الحياة الحداثية.

كما وصلت موجة ثانية من المهاجرين الحريديم إلى بريطانيا من وسط وشرق أوروبا عقب الحرب العالمية الثانية، وكان أولئك هم اليهود الذين فقدوا إبان أحـداث النكبـة (الهولوكوست) أسرهم وطوائفهم، وبحثوا عن ملجأ لهم في الدول الغربية وخاصة في الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل، وكان التوطن في منطقة لندن أحـد الأهـداف المهمة لهؤلاء المهاجرين الحريديم، بسبب مستواها الاقتصادي المرتفع ووجود طائفة يهودية كبيرة بها.

التجمع الجغرافي للحريديم:

توجد في بريطانيا أربعة تجمعات رئيسية للطائفة الحريدية، اثنان بالعاصمة لندن فـي منطقة "ستامفورد –هيل" و "جولدرز – جرين" وما حولها، وثالث في منطقة "بروتون بارك" التي هي جزء من مدينة "سالفورد"، أما التجمع الحريدي الرابع فهو صغير في حجمه لكنه مهم من حيث احتوائه على المؤسسـات التعليميـة التوراتيـة الخاصـة بالحريديم، والذي يوجد في منطقة "جيتس هيد" بالقرب من مدينة "نيكولاس" في شمال شرق بريطانيا.

ويوجد التجمعين الرئيسيين للحريديم في الضفة الشمالية من نهر "التايمز"، وفي منطقة "ستامفورد – هيل" في شمال لندن، التي تعد جزءا مما يسمى بـ" لندن الداخلية"، وفي منطقة "جولدرز جرين" وما حولها التي تعد هي الأخرى جزءا من الضواحي الشمالية الغربية مما يسمى بـ"لندن الخارجية"، وكل منطقة من هاتين المنطقتين لـه سـماته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الخاصة به، ولاشك أن هذا النمط الجغرافي للحريديم في لندن تتميز به أيضا الجماعات العرقية للمهاجرين الذين يرغبون في الحفاظ علـى نمط حياتهم وثقافتهم بعدما انتقلوا للعيش في الغـرب، كمـا أن هـذه النوعيـة مـن التجمعات وفرت الأساس الجغرافي لهذه الجماعات للاكتفاء الذاتي من خلال الاستغناء عن مجتمع الأغلبية الذي تعيش بداخله، كما توجد بعض الجماعات العرقية الأخـرى التي تشتت واندمجت داخل المجتمع البريطاني مثل الماليزيين والأرمينيين، لكن توجد جماعات أخرى أيضا تحافظ على تجمعها الجغرافي حتى إذا انتقلت إلى مكان آخـر

في إطار المدينة التي تعيش بها مثل الإيطاليين والقبرصيين واليونانيين بلندن، وفي أوساط الطائفة الحريدية برزت بمرور الوقت ظاهرة "التجمع الجغرافي والثقافي"، حيث إن الطائفة الحريدية ارتبطت بشكل كبير بالمكان الذي توجد به من خلال الاعتماد الكبير على المؤسسات التي نجحت في إنشائها به، وبسبب الارتباط الوثيق والمتبادل بين أفراد المجتمع الحريدي بلندن، والاقتراب من مؤسسات المجتمع الحريدي وخاصة المعبد في يوم السبت، الذي يعد أحد الأسس التي يقام عليها المجتمع الحريدي في لندن، في مقابل أننا نجد أن غياب نمط التجمع الجغرافي في بعض المناطق التي قطنها الحريديم مثل "ويليامس برج"، وأحياء "كراون هايتس" في حي "بروكلين" بمدينة نيويورك، قد تسبب في انهيار الأسس الثقافية والاجتماعية التي تربطهم وبالتالي انتشار العنف والجريمة في أوساطهم.

إلا أن الطائفة الحريدية في منطقة "ستامفورد – هيل" – موضوع البحث – فإنها متمسكة بالمكان الذي تعيش فيها وتزيد من وجودها به، وذلك على الرغم من وجود بعض حالات العنف التي سجلتها بعض الصحف الحريدية اللندنية مثل: The Jewish Tribune)، وصحيفة حي "هاكني" المحلية (Hackney Gazette).

وبمرور الوقت تحولت المنطقة إلى حريدية أكثر وأكثر، حيث ازداد عدد السكان في مناطق محددة من حي "هاكني"، لكن يوجد القليل من اليهود الذين يسكنون في أجزاء أخرى من الحي، ووفقا للمعلومات الدقيقة المتاحة فإنهم ليسوا بالحريديم، حيث أن الحريديم جميعهم يتمركزون في شمال هذا الحي وخاصة في منطقة "ستامفورد – هيل".

تجمع الحريديم بمنطقة "ستامفورد – هيل" بشمال لندن:

إن التكون الجغرافي الحقيقي للطائفة اليهودية في منطقة "ستامفورد – هيل" حدث خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، فقد هاجر الكثير من اليهود الذين كانوا يعانون من الفقر والجوع إلى لندن، والكثير من المهاجرين سكنوا في الأحياء الشمالية بهذه المدينة، والتي كانت من بينها منطقة "ستامفورد – هيل"، حيث انضم إليهم

بمرور الوقت مهاجرين يهود وصلوا بشكل مباشر من ألمانيا، ومع تزايد تجمع اليهود في تلك المنطقة وما حولها منحتهم السلطات البريطانية عام ١٩١٥ معبدًا جديدًا كـان موجودًا قبل ذلك في منطقة وسط لندن، وبالتدريج أخلى اليهـود منطقـة "east end" والأحياء القريبة منها وتمركزوا في الأحياء الشمالية لحي "هاكني".

تجمع الحريديم من مهاجري ألمانيا:

كان من بين يهود ألمانيا الذين استقروا في منطقة "ستامفورد – هيل"، مجموعة مـن الحريديم وفي الثمانينات من القرن التاسع عشر كونوا طائفة مستقلة بنفسها تحت اسم "جماعة إسرائيل" في حي "ستوك نيونجتون"، حيث إنعزلت هذه الطائفـة عـن بقيـة الطوائف اليهودية الأخرى التي كانت منضوية تحت لواء منظمـة "اتحـاد المعابـد اليهودية"، حيث أقامت الطائفة الحريدية لنفسها في سنوات الثلاثينات اتحـاد يعـرف باسم "اتحاد الطوائف الحريدية" تشبها بالطائفة الحريدية في فرانكفورت، التي عزلـت نفسها عن بقية الطوائف اليهودية في ألمانيا، وفي سنوات الثلاثينات هاجر الكثير مـن الحريديم الألمان إلى "ستامفورد – هيل"، عقب وصول النازيين للحكم، وفي منتصف الثلاثينات ازدهرت أوضاع الطائفة الحريدية من المهاجرين الألمان في المنطقة، حيث أقامت عدة منظمات ومؤسسات خاصة بها، منعزلة تمامـا عـن بقيـة المؤسسـات والمنظمات اليهودية الأخرى.

وبالإضافة إلى اليهود الحريديم من مهاجري ألمانيا الذين استوطنوا "ستامفورد –هيل"، انضم إليهم مجموعة من الحريديم المهاجرين من دول شرق ووسط أوروبا في أواخر عقد الثلاثينات وعقب الحرب العالمية الثانية، وفي منتصـف سـنوات الخمسـينات استوطن بالمنطقة يهود حريديم آخرين من أتباع الطائفة "الحسيدية" (إحـدى الفـرق الدينية اليهودية) الذين تركوا المجر في عام ١٩٥٦ عقب الانقـلاب الفاشـل علـى الاتحاد السوفييتي السابق، حيث وجدوا لأنفسهم هناك تجمع حريدي قائم بالفعل منحهم الإحساس بالأمان، ووفر لهم المؤسسات الخدمية القائمة على خدمة مصـالحهم، كمـا ساعدهم على استيطان هذه المنطقة هجرة بعض اليهود من طوائف أخرى إلى أحيـاء

أخرى من مدينة لندن وخاصة إلى منطقة (East End) التي استوطنها الكثيــر مــن اليهود خلال سنوات الخمسينات والستينات، حيث كانت تتوافر بها الكثير من فــرص العمل.

ولقد كانت التركيبة المنوعة لسكان حي "هاكني" التي تتكون من مجموعــات عرقيــة مختلفة من المهاجرين الجدد، والتي كانت في وقت لاحق القاعدة الأساسية لشــرعية وجود الآخر وقبوله بالمجتمع البريطاني بشكل عام وفي حي "هاكني" بشكل خــاص، إلا أنه في ظل هذه التركيبة العرقية والثقافية المتنوعة، لم يتميز الحريديم في منطقــة "ستامفورد – هيل" بلباس خاص بهم يميزهم عن بقية جيرانهم من مهاجري شبه القارة الهندية أو حتى عن المهاجرين المسلمين.

ولقد حظي اليهود الحريديم القادمين من شرق أوروبا بالكثير من المزايا، التي لم يحظ بها بقية اليهود الذين سبقوهم واستوطنوا منطقة "ستامفورد – هيل"، الأمر الــذي أدى إلى تزايد أعدادهم بشكل متسارع، واتساع رقعة الأماكن التي يقطنوها، حتى امتــدت إلى حي " South Tottenham" التابع لبلدية "Haringey"، وبمرور الوقت حــدث اختلاط منظم بين الطائفتين الحريديتين من يهود أوروبــا، وهمــا اليهــود الحريــديم القادمين من غرب أوروبا، واليهود الحريديم القادمين من شرق أوروبا، والذين وجدوا أنفسهم يتقاسمون العيش في منطقة واحدة من مدينة لندن، وذلك على الرغم من وجود اختلافات بين اليهود الحريديم القادمين من شرق أوروبا والحريديم القادمين من ألمانيا والذين كانوا في معظمهم ينتمون إلى الطائفة "الحسيدية"، والذين لم تكن لهم أي خلفية عن المهن الحرفية أو الدراسات الأكاديمية وكانت كل ثقافتهم تتركز حــول التــوراة وأحكامها، الأمر الذي صعب عليهم إمكانية التكيف مع المجتمع الحداثي في بريطانيا، لذلك فإن الامتزاج بين الحريديم من شرق أوروبا وغربها في لندن كان بمثابــة لقــاء بين مجموعتين ثقافيتين مختلفتين سواء على مستوى الأفكار الاجتماعيــة أو الدينيــة، وعلى الرغم من وجود هذا الاختلاف بين الجماعتين إلا أنهما كانتا مشــتركتان فــي كونهما ينتميان للطائفة اليهودية الحريدية التي كانت الأساس الذي قامت عليه حيــاتهم

الدينية والاجتماعية، الأمر الذي ميزهم عن بقية الأقليات الأخرى سواء اليهودية أو غير اليهودية التي هاجرت إلى بريطانيا واستوطنت بها عقب الحرب العالمية الثانية.

ولقد تسببت هجرة يهود شرق أوروبا إلى منطقة "ستامفورد – هيل" في نزوح اليهود الذين كانوا يقطنوها منها، إلى أماكن أخرى في بريطانيا بعد أن تطبعوا تماما بطابع المجتمع الانجليزي بشكل أصبحوا يمثلون جزءا لا يتجزأ منه، حيث أن المهاجرين من العالم الثالث استوطنوا هذه المنطقة أيضا بشكل أضر بمستواها الاجتماعي وذلك بعد أن تزايدت معدلات العنف والجريمة بها، وفي الوقت الحالي يقدر عدد سكان المنطقة بحوالي ١٢٠٠٠ نسمة، وذلك على الرغم من أن بعض الصحف التي يصدرها الحريديم في لندن تقدر أعدادهم بما بين ١٥٠٠٠ إلى ٢٠٠٠٠ نسمة.

الفصل الثاني: البحث عن توازن بين تعلم التوراة والخروج لسوق العمل

كان دخول الكثير من الشباب الحريديم في منطقة "ستامفورد – هيل" إلى سوق العمل – مثلما هو الحال عند طوائف أخرى بالغرب – هو نتيجة الخلل في التوازن بين النموذجين السائدين في المجتمع الحريدي، وأولهما هو نموذج الالتزام بتلقي دروس التوراة بشكل كامل، أما النموذج الثاني فقد كان الالتزام بالخروج لسوق العمل، إلا أن التوازن بين هذين النموذجين اختل خلال العقود الأخيرة، وذلك منذ أحداث "النكبة" (الهولوكوست) وحتى بداية سنوات التسعينيات من القرن العشرين، فقد تم تسجيل تحول كبير نحو نموذج الالتزام بتعلم التوراة داخل عالم الحريديم بشكل عام بما فيهم الطائفة الحريدية بمنطقة "ستامفورد – هيل" بكل تياراتها، وهي نفس الظروف التي مرت بها الطائفة "الحسيدية" (إحدى الفرق الدينية اليهودية)، وكذلك الحريديم الليتوانين، لكن بعد إعادة بناء عالم "اليشيفوت" من جديد – الذي كان قد انهار إبان الحرب العالمية الثانية– واشتغال عدد كبير من رجال الحريديم بتلقي دروس التوراة، رفع الحريديم "الليتوانيين" بشكل خاص شعار ضرورة تلقي التعاليم التوراتية بشكل كامل، وحذا حذوهم في ذلك "الحسيديم"، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع شأن ما يسمى بنموذج "التلميذ – الحاخام" في أوساط هذه الطوائف.

ولقد كان هذا التحول الكبير للرجال من الحريديم للدراسات التوراتية بشكل كامل منذ سنوات السبعينيات سببه أربعة عوامل، ثلاثة منهم كانت بمثابة الدعامات الأساسية التي تأسس عليها المجتمع الحريدي منذ بدايته، وهذه العوامل هي كالتالي:

- **الدعم الأسري:** ففي المجتمع الحريدي يلعب دعم الآباء دورًا كبيرًا، حيث أنهم من يقوم بإعالة أبنائهم الذين ما يزالون في الدراسة.
- **التطوع:** ولقد أصبح هذا الأمر بمرور السنوات يمثل قالبا خاصا في إطار التقاليد الحريدية، وقد كان الهدف منه تطوير تلقي دروس التوراة بشكل كامل والمساعدة على تخريج عدد كبير من التلاميذ – الحاخامات.

- **الاكتفاء بالقليل:** ويتمثل في استعداد المتعلمين وأسرهم بالاكتفاء بالقليل من الأموال في سبيل تلقي دروس التوراة، والتأقلم مع ظروف نقص الموارد وندرتها كجزء لا يتجزأ من حياتهم.

أما العامل الرابع فمصدره من خارج المجتمع الحريدي، إلا أنه كان حاسمًا في قدره وأهميته، وقد كان يتمثل في الاستعداد في تقدير وتدعيم المتعلمين الحريديم اقتصاديا من قبل الدول التي كانوا يعيشون فيها، وخاصة أولئك الذين يمرون بظروف اقتصادية صعبة، ويستحقون الدعم، وفي الوقت المناسب تطور هذا الدعم خاصة في السنوات التي تكون فيها المجتمع الحريدي وعالم "اليشيفوت" بالفترة الأخيرة، لكن هذا الدعم الاقتصادي لم يكن على رأس أولويات السياسات الاقتصادية للبلدان التي عاش بها الحريديم في أوروبا بل جاء متأخرا، وحدث هذا بشكل خاص في بريطانيا بسبب كونها أحد البلدان التي طورت سياسات الدعم الاقتصادي للدارسين بشكل عام، ووصل إلى درجة عالية نسبيا في الأجيال التي عاصرت حكومات حزب "العمل" على خلفية تبنيها لنظريات اجتماعية- اقتصادية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأمر في بريطانيا كان يختلف عما هو عليه الحال في إسرائيل، حيث لم تسع الحكومة البريطانية إلى تحويل المجتمع الحريدي الصغير الذي يسكن في داخلها لحقل الإنتاج في البلاد.

وهكذا تحولت الطائفة الحريدية في منطقة "ستامفورد – هيل" إلى أحد الطوائف اليهودية التي تتلقى دعمًا كبيرًا من الحكومة البريطانية، وساعد في ذلك زيادة عدد أطفال في كل أسرة حريدية، حيث حظوا بالكثير من الإعانات، كما استفاد الحريديم كثيرا من "معونات السكن" التي كانت تقدمها الحكومة البريطانية، والتي أرست قواعدها رئيس الحكومة السابقة "مارجريت تاتشر"، حيث خططت لإستراتيجية بعيدة المدى لبناء عدد كبير من الأحياء السكنية، وكان يتم منح هذه الإعانات وفقا لعدد الأطفال في كل أسرة، وبطبيعة الحال وفقا لثمن الشقق السكنية في كل منطقة، ولقد كانت الأسر الحريدية تحصل على ما يقارب من ٨٠ %- ٩٠% من أجور الشقق

التي كانت تقطن بها، وفي منطقة "ستامفورد –هيل" الموجودة في وسط لندن، والتـــي تقطن بها طائفة حريدية كانت أجور الشقق مرتفعة للغاية، حيث كانت تصل إلى ٢٠٠ أو ٣٠٠ جنيه إسترليني في الأسبوع الواحد، إلا أن هذه الإعانات الحكوميـــة مكنـــت الطائفة الحريدية من الاستقرار بشكل قوي في هذه المنطقة.

التغيرات في الركائز الأساسية بالمجتمع الحريدي:

قبيل نهاية عقد التسعينيات كانت هناك ضرورة ملحة للبحث عن مصدر دعما يمكن شباب الحريديم من الذين يخصصون كل وقتهم لتعلم دروس التوراة مـــن اســـتكمال دراستهم، وذلك بعد أن قلت الإعانات التي تخصصها لهم الحكومة البريطانية، مثلمـــا حدث في بلدان أخرى، حيث لم يعد الدعم الخارجي يكفي لتأمين مستقبل أسر شـــباب المتعلمين من الحريديم، أما التغير الأخر فذلك الذي طرأ علـــى المؤسســـات داخـــل المجتمع الحريدي، حيث إن الجيل الحالي من الآباء يتكون من خريجي "اليشـــيفوت"، ولا يمتلك المال الكافي لسداد المصاريف الدراسية لأبنائه، كما أن المتطـــوعين مـــن الأثرياء بالمجتمع الحريدي لم يعد بإمكانهم الاستمرار في تقديم الدعم لهذا العدد الكبير من الشباب الحريديم بلندن، خاصة إنهم مطالبون بتقديم الدعم المالي لمجتمع المتعلمين الحريديم في إسرائيل الذي يكافح من أجل استمرار بقائه، بالإضافة إلـــى ذلـــك فقـــد تزايدت في أوساط عائلات المتعلمين الشكوك في قـــدرة الطائفـــة الحريديـــة علـــى الاستمرار في التأقلم مع نمط الحياة الغربية في بريطانيا، حيث أنها امتصـــت طـــابع الحياة الذي من حولها، وخاصة ذلك الذي لا يضر بالتقاليد والدين ولكن من شأنه فقط أن يسهل ظروف الحياة ويلطفها.

وفي مقابل هذه المتغيرات التي طرأت على المجتمع الحريدي بمنطقة "ســـتامفورد – هيل"، نجد أن سؤالا يطرح نفسه يتمثل في: كيف تمكن أولئك الذين يخصصون كـــل وقتهم لدراسة التوراة ولا يعملون في البقاء داخل هذا المجتمع؟.

متغيرات في ركيزة دعم الآباء:

عاش شباب الدارسين من الحريديم في بداية الأمر على الإعانات التي يقـدمها لهـم آباؤهم، حيث كانت لجيل الآباء الكثير من الموارد التي تمكنوا من خلالها مـن دعـم أبنائهم الذين انقطعوا لدراسة التوراة والذين عمل الكثير منهم كجنـود فـي جيـوش التحالف خلال السنوات التي تلت انتهاء الحرب العالمية الثانية، لكن حينما جاء وقـت انضمام الأحفاد إلى منظومة الدراسات التوراتية لم تكفيهم الموارد التي كانت متوفرة لجيل الآباء الأول، كما أن أبناء الجيل الثاني لم يتم تأهيلهم بالشكل الكافي للانضـمام إلى سوق العمل لتقديم الدعم المادي اللازم لأبنائهم، الذين كـانوا – وفـق النمـوذج الحريدي – ملتزمون بالانقطاع لتلقي دروس التوراة بشـكل كامـل، إلا أن الأحفـاد نجحوا في الاستمرار في تلقي دروسهم التوراتية بفضل دعم المتطوعين من الأثريـاء اليهود، وبفضل الإعانات التي تقدمها الحكومة البريطانية التي كان مـن الممكـن أن تتوقف في أي وقت، وعلى الرغم من ذلك فإن الوضع ازداد خطـورة فـي الآونـة الأخيرة، حينما دخل الجيل الرابع من أبناء الحريديم في لندن إلى منظومة الانقطـاع بشكل كامل لتلقي دروس التوراة، حيث أن في هذه المرحلة لم يعد يتواجد مـن يقـدم الدعم من الأسرة، وأمام هذه الصعوبات، حاول الآباء تجنيد مـوارد دخـل أخـرى تمكنهم من الصرف على أبنائهم، وفي ظل هذا الوضع الجديد فإن الدعم الأسري لـم يتمكن من تأمين استمرار بقاء مجتمع المتعلمين، وبدأ البحـث عـن مـوارد تمويـل أخرى.

متغيرات في ركيزة دعم المتطوعين الأثرياء الحريديم:

إن تقديم المال بشكل تطوعي هو قيمة قديمة الأزل في التراث اليهودي بشـكل عـام والحريدي بشكل خاص، فحينما نشأت حركة "اليشيفوت" بـ"ليطا" خلال القرن التاسع عشر، تم تجنيد الكثير من الجمعيات الخيرية اليهودية لتنفيذ فكرة تقديم الدعم المـالي لتلاميذ "اليشيفوت"، ولم يجند لهذا الأمر الطوائف المحلية فقط بل الطوائف اليهوديـة التي تقطن في بلدان بعيدة أيضًا، فقد تم تجنيد الجميع من أجل تحقيق عظمة التـوراة في إسرائيل، وفي النصف الثاني من القرن العشرين انضم الكثير من اليهود الأغنياء

بحماس شديد لمهمة إعادة بناء عالم "اليشيفوت" الخرب، والذي نشأت وتزايدت معه ظاهرة تجنيد المتطوعين من اليهود، وبهذا فلم تترك الطائفة الحريدية وحدها، فقد ساهم الأغنياء من غير الحريديم في تقديم الدعم المالي لأبنائهم في جميع مراحلهم التعليمية، حيث توفر لهم المبرر الاجتماعي والاقتصادي للقيام بذلك، كما قام بعض الأغنياء الحريديم بذلك أيضًا، حيث كان لهم مبررهم الديني، إلا أن العبء كان ثقيلا للغاية، حيث أن عدد الدارسين أخذ في التزايد، وخاصة في إسرائيل، والأموال التي يتم دفعها لم تعد تلبي كم المصاريف المطلوبة.

وبمرور الوقت تناقصت كمية الأموال المقدمة لدعم الدارسين الحريديم، فقد أثرت كل أزمة إقليمية أو عالمية على هذه القدرات التطوعية، وعلى الذين يقدمونها بطبيعة الحال، وقد مثل تدعيم الدارسين الحريديم عبئًا ماليًا في السنوات الأخيرة، ولم يكن الحريديم يأملون في تلقي هذه المساعدات بشكل مستمر، حيث اضطر بعضهم بالاكتفاء بنصفها فقط، بينما اضطر آخرون للبحث عن وسائل تمويل أخرى.

متغيرات في ركيزة الاكتفاء بالقليل:

إن أحد الركائز الأساسية التي ساعدت عدد كبير من دارسي التوراة من الحريديم على إكمال دراستهم كانت الاستعداد بالاكتفاء بالقليل، ولقد كانت هذه القيمة إحدى القواعد الأيديولوجية التي مكنت الكثير ممن ينتمون للمجتمع الحريدي في الغرب وخاصة بمدينتي "لندن" و"نيويورك" من العيش في مستوى حياة كريمة، إلا أن قيم ثقافة الاستهلاك الغربية بدأت تتغلغل داخل المجتمع الحريدي، حيث أن شباب الحريديم كانوا يرغبون في حياة أفضل فيما يتعلق بالسكن والمأكل والملبس داخل إطار الحياة الحريدية بشكل عام، وقد ارتبط ذلك بخروج الكثير من الحريديم للعيش في ضواحي المدن الغربية مثلما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي الآونة الأخيرة بإسرائيل أيضا، حيث أن هذا الأمر حدث معه تحول كبير في تطلعات الحريديم نحو العيش في مستوى حياة أفضل، إلا أن هذا تطلب أيضا زيادة في قيمة الدخول، الأمر الذي أدى إلى ظهور فكرة صندوق "رب البيت" الحريدي من جديد في نفس الوقت

الذي خبا فيه نجم مشروع صندوق "التلميذ – الحاخام" الذي هدف إلى إصلاح عـالم اليشيفوت من جديد، أما صندوق "رب البيت" فقد هدف إلـى زيـادة الأمـوال التـي خصصت من أجل دعم المؤسسات الدينية والتعليمية والخيرية بالمجتمع الحريدي، فقد كان رجل الأعمال أو صاحب الحرفة البسيط يتوجه إلى هذا الصندوق ليتبـرع فيـه بجزء بسيط من أمواله من أجل إعادة إحياء عالم التوراة الذي خرب من جديد، وفـي السنوات الأخيرة بدأت تطرح فكرة هذا الصندوق مرة أخرى لأنه يكمل ما لم يـتمكن الدعم المالي الجماهيري من إكماله.

متغيرات في السياسات الاقتصادية البريطانية:

لم يواجه المجتمع الحريدي في لندن حتى الآن متغيرات حادة وخطيرة فيمـا يتعلـق بالسياسات الاقتصادية البريطانية، حيث إن جزءا كبيرا من الأسر الحريدية في منطقة "ستامفورد –هيل" مازال يتلقى مساعدات وإعانات اقتصادية من الحكومة البريطانيـة، والتي تتمثل في إعانات الطفولة، ومعونة السكن، ومعونة دعم الدخل، ومعونة ائتمان الضريبة على العمال، بالإضافة إلى بعض المعونـات التـي كانـت تقـدم لـذوي الاحتياجات الخاصة، والأرامل، والمسنين، إلا أن إعانات الطفولة، ومعونة السـكن، كانت من أهم المعونات التي تقدمها الحكومة البريطانية للحريديم في منطقة "ستامفورد –هيل".

وفي الاستطلاع الذي أعد عام ٢٠٠١ في أوساط الطائفة الحريدية بتلك المنطقة، ظهر أن ٦٢% من الأسر الحريدية تتلقى إعانات الطفولة، أما بقية الأسر التي لم تحصـل على تلك الإعانات فكانت أطفالها لا تستحقها بالفعل أو لم يكن بها أطفالا بالأسـاس. أما نسبة الأسر التي حصلت على معونة السكن فقد وصلت إلى ٧٠%، ونسبة الـذين يحصلون على دعم الدخل وصلت إلى ١٨%، وهذه النسب تمثل كل الأسر الحريديـة التي تقطن منطقة "ستامفورد – هيل"، وتجدر الإشارة إلى أن هذه النسب مرتفعة جدا في أوساط أسر الشباب من الحريديم، التي يتكون الجزء الأكبر منها مـن الأطفـال، لذلك فلا عجب أن أسمع من كثير ممن قابلتهم يصفون بريطانيا بـ"دولة الخير"، كما

أن كثيرًا ممن تحدثوا عن الإعانات الحكومية الخاصة بالأطفال والسكن والعمل وما إلى أخره، قالوا لي وبكل ثقة "إن الجميع يحصل على إعانات حكومية في حال تزوجه"، فلقد كان الحريديم يعرفون جيدا الطرق التي تمكنهم من التوجه إلى المؤسسات التي تقدم تلك المعونات، ومن أبرزها "نقابة إسرائيل"، التي أنشأت مكتبًا استشاريًا خاصا لمن يتقدمون بطلبات للحصول على الإعانات الحكومية.

وفي الآونة الأخيرة بدأت تتغير هذه السياسات الحكومية البريطانية فيما يتعلق بتقديم الإعانات، حيث تزايدت الدعوات بتخفيض الدعم الذي تقدمه الحكومة للأقليات في البلاد، مثلما تفعل الدول الغربية الصناعية الكبرى، في حين اتخذت بعض الخطوات لتشجيع العاطلين للدخول إلى سوق العمل، والتخفيض من نسب الدعم المالي لهم، وتم اقتراح خطة عمل لإعادة تأهيل العاطلين بشكل يمكنهم من زيادة أجورهم، في نفس الوقت الذي تزايدت فيه أصوات بعض العناصر الحكومية الداعية إلى التخفيض من الدعم الحكومي المقدم لغير القادرين على دفع أجور الشقق التي يستأجرونها، ففي ١ أغسطس ٢٠٠١ نشرت صحيفة "الجارديان" تقول:" إن وزراء الحكومة يرغبون في إلغاء هذا النظام بإجبار كل المستأجرين بدفع جزء من كلفة إيجارهم، كما في أكثر البلدان الأوروبية الأخرى، وتشجيعهم على التسوق والبحث عن سكن أرخص".

إلا أن نسب الأسر المرتبطة بإعانات السكن كانت كبيرة للغاية بالمدن البريطانية، وأي تخفيض في هذه الإعانات من شأنه أن يضر بالتأكيد بالقيم الاجتماعية والسياسية السائدة في بريطانيا، وربما تجبر الأقلية الحريدية في منطقة "ستامفورد – هيل" على إعادة حساباتها الاقتصادية من جديد.

ولقد أثار إعادة النظر في السياسات الدعم الاقتصادية البريطانية الكثير من المخاوف في أوساط الطائفة الحريدية، وذلك على الرغم من أن هذا الدعم لم يتوقف بشكل كامل، إلا أن الطائفة الحريدية مرتبطة بشكل كبير بموارد الدعم المالي الذي تقدمه الحكومة، وذلك على عكس ما هو سائد في إسرائيل، حيث تعتبر الدولة الحريديم بمثابة عبء عليها وكثير منهم يهاجرون إلى خارج البلاد لأن الدولة غير قادرة على

استيعابهم وإعانتهم. فالشباب الحريديم الذين قطنوا في لندن أدركوا بشكل سريع مدى كرم هذه الدولة تجاههم مقارنة بإسرائيل، التي للطائفة الحريدية بها تـــأثير سياســـي كبير، في حين أن مؤسساتهم التعليمية في إسرائيل تحصل على دعم مالي من الـــدول الأخرى نظرا لأنها غير مدرجة في إطار الخطط التعليمية الوطنية بـــالبلاد، بشـــكل يمكن من توفير الحد الأدنى لبقاء واستمرار هذه المؤسسات التعليمية.

زيادة تكاليف المعيشة:

لم تواجه الطائفة الحريدية بمنطقة "ستامفورد – هيل" مشكلة نقص مـــوارد الإعانـــات المالية المقدمة لها، بقدر ما واجهت مشكلة ارتفاع تكاليف المعيشة، حيث تزايد الغلاء في بريطانيا بشكل عام ولندن بشكل خاص، وداخل المجتمع الحريدي كانـــت هنـــاك مجموعة من التركيبات الاجتماعية والثقافية التي أدت إلى ارتفـــاع تكـــاليف الحيـــاة، وخاصة في مجالات الإسكان والتعليم، إلا أن التكاليف زادت بشكل ملحوظ فيما يتعلق بالحاجة للحصول على طعام "كاشير" (حلال وفقا للشـــريعة اليهوديـــة)، كمـــا زادت التكاليف الخاصة برحلات السفر التي كان يقوم بها الحريديم للاشتراك في المناسبات العائلية المختلفة، كذلك مصاريف الأبناء الراغبين فـــي اســـتكمال دراســـتهم، وهـــذا الارتفاع في التكاليف الخاصة بكل هذه الأمور زاد بشكل كبير من الآثار السلبية التي نتجت عن تقليل حجم الإعانات الحكومية المقدمة للطائفة الحريدية في لندن ولقـــد زاد من حجم هذه المشكلة في الآونة الأخيرة بسبب الأوضاع الديمجرافية للحريـــديم فـــي لندن الذين يسكنون فيما يسمى بـــ" لندن الداخلية" أي في الأحياء التي تتميز بارتفـــاع وغلاء مستوى المعيشة مقارنة بأحياء لندن الأخرى، كما أن عدد الأسر الحريدية في تلك المنطقة كبير نسبيا ويحتاج إلى مساحات أكبر للسكن بها، وذلك على العكس مـــن جماعات وطوائف ثقافية أخرى تقطن في نفس هذه المنطقة من لندن.

وفي بداية سنة ٢٠٠٥ بدأت تظهر بوادر إعادة إنشاء حي جديد في الضواحي البعيدة من مدينة لندن، وهذه المرة في مدينة "ميلتون كينس"، فقد بادرت الحكومة البريطانية بطرح خطة مشروع بناء وحدات سكنية كبيرة في شمال غرب البلاد من أجل زيـــادة

عدد المواقع السكانية وتجنب عدم التكدس في العاصمة البريطانية، مما دفع بعض العناصر داخل المجتمع الحريدي بلندن إلى دراسة إمكانية إنشاء حي مكون من عدة مئات من الوحدات السكانية من الكتلة السكانية الحريدية، وكان الهدف من هذه الفكرة التي ظلت في خطواتها الأولى حتى وقت كتابة هذا البحث، هو التخفيض من الكثافة السكانية داخل منطقة "ستامفورد – هيل" من أجل إتاحة الفرصة للأزواج الشباب للحصول على مسكن بسعر مقبول، ومع ذلك يجب التأكيد على أن الزعامات المحلية – (الحاخامات ومدراء المؤسسات المختلفة) – استمروا في التمسك بقوة بفكرة بقاء الطائفة الحريدية بنفس المنطقة التي تقطن بها وعدم انتقالها إلى منطقة أخرى، وكان لهم أسبابهم في ذلك، حيث أن المنطقة تحولت إلى "إقليم" حريدي من الممكن أن يؤمن استمرار بقاء المجتمع الحريدي في بريطانيا، كما أن بها الكثير من المؤسسات التي تقوم على رعاية هذه الطائفة اجتماعيا بشكل متوافق مع تركزها الجغرافي، والخروج إلى منطقة أخرى من الممكن أن يهدد خصوصية الطائفة الحريدية ومؤسساتها الحالية، ولقد كانت "جمعية إسكان إسرائيل اليهودية" تعمل منذ سنوات طويلة من أجل زيادة نسبة إسكان الحريديم في منطقة "ستامفورد – هيل" وذلك وفقا لظروف الإسكان الشعبي المتاحة، نظرا لأن الأحياء الشعبية الأخرى المنتشرة في بلدية "هاكني" لم تكن ملائمة لظروف الحريديم المعيشية، ولقد كان هذا يمثل فرصة أمام جمعيات الإسكان الخاصة ببعض الأقليات العرقية الأخرى من أجل إسكان أتباعها في هذه الأحياء الشعبية وذلك بدعم ملحوظ من الحكومة البريطانية، وعلى الرغم من كل هذه المجهودات فاستمرار بقاء أكبر عدد ممكن من الحريديم بمنطقة "ستامفورد – هيل"، كان دائما ما يواجه بمشكلة غلاء السكن في هذه المنطقة، الأمر الذي اضطرهم في النهاية إلى الخروج مع بقية أبناء عائلاتهم للعيش في أماكن أخرى، فهناك من انتقل إلى الضواحي القريبة في شمال غرب لندن مثل "جولدرز جريين" وما جوارها، وأقاموا هناك تجمعات جديدة للمجتمع الحريدي، كما أن هناك عدد من الحريديم

وجدوا لأنفسهم أماكن للسكن رخيصة للغاية في "بروتون بارك" الواقعة في ضــواحي "مانشستر".

وتجدر الإشارة إلى أنه توجد عبرة مهمة للغاية في ظاهرة خروج عدد من الحريــديم للعيش في أماكن أخرى وذلك بمبادرة شخصية منهم ولــيس مــن الزعامــات التــي تحكمهم وتوجههم، حيث أن الأمر يدل على أن المجتمع الحريدي في لندن هو صاحب استقلالية تامة فيما يتعلق بحسم مشكلات حيوية تمس حياته ومستقبلة، ولعل من أهمها مشكل "الخروج للعمل"، فإذا كانت له القدرة على اتخاذ قرار بتــرك المكــان الــذي يعيش فيه والطائفة التي ينتمي إليها، فإن له القدرة فيما يبدو على حسم مشكلة التوقيت الذي يخرج فيه لسوق العمل من أجل كسب الرزق، وأنا أؤكد على موضوع "التوقيت" بشكل كبير، لأنه في رأي هو الموضوع الرئيسي المطروح على الساحة في الوقــت الحالي بالنسبة الطائفة الحريدية في منطقة "ستامفورد – هيل".

ارتفاع تكاليف التعليم الحريدي:

بالإضافة إلى مشكلة ارتفاع تكاليف الإسكان، ظهرت مشكلة ارتفاع تكــاليف التعلــيم الحريدي، ففي ظل تزايد الرغبة في الحصول على تعليم حريدي خاص، خال من أي تأثيرات علمانية، أضيف على عاتق الأسر الحريدية عبء إقامة مؤسســات تعليميــة أخرى. ولا شك التكاليف إقامة مثل هذه المؤسسات في منطقة "ســتامفورد – هيــل" كانت باهظة للغاية، ومع ذلك فقد أنشئ بها ١٤ مدرسة لتعليم التوراة على الأقل كانت في معظمها مرتبطة بالطائفة "الحسيدية" (إحدى الفرق الدينية اليهودية)، كمــا كانــت هناك بعض المدارس الدينية الأخرى غير المرتبطة بالحسيدية وكــان مــن أبرزهــا "مدرسة تعليم التوراة الابتدائية"، و التي كان السبب في إنشائها هــو رفــض معظــم الحريديم لمناهج التعليم الوطني الإلزامي في بريطانيا، التي تم تحديدها مــن جانــب وزارة التعليم، إلا أن هذه المؤسسات التعليمية الحريدية لم تحظ بأي دعم مــالي مــن الحكومة البريطانية، بالإضافة إلى أنه كان ملحقًا بها عدد من "اليشيفوت" التي أثقلــت من العبء المادي على ميزانية الأسر الحريدية، كما كانت عادة إرسال الأبنــاء إلــى

"اليشيفوت" البعيدة في بريطانيا أو إسرائيل أو الولايات المتحدة أحد البنود الإضـــافية التي أثقلت من حجم المصاريف على الأسر الحريدية، إلا أنه تجدر الإشارة في هــذا الصدد إلى أن إسرائيل كانت الهدف المفضل بالنسبة لأولئك الذين يرغبون في تعلــم الدراسات التوراتية، حيث أنها "الأرض المقدسة".

ارتفاع تكاليف السفر إلى أنحاء التجمعات الحريدية على مستوى العالم:

سعى الحريديم في منطقة "ستامفورد – هيل" بلندن – مثل الكثير من الحريـــديم فـــي جميع أنحاء العالم – وراء السفر إلى التجمعات الحريدية في جميـــع أنحـــاء العـــالم للمشاركة في المناسبات السعيدة المختلفة وفي المآتم، وهذا الأمر ينطوي في بعــض الأحيان على ضرورة السفر إلى أماكن بعيدة جدا نظرا لانتشار الحريديم من اليهــود في أماكن متفرقة ومتباعدة على مستوى العالم، وفي كثير من الأحيان كان الحريـــديم في لندن يقومون بتنظيم رحلات منتظمة إلى إسرائيل سواء لزيارة الحاخام الأكبر أو لزيارة أقاربهم، وهذه الظاهرة جعلت من المجتمع الحريدي أحد المجتمعات التي تتسم بصفة "العالمية"، حيث إنه توجد علاقات أسرية مباشرة بين التجمعات الحريدية فـــي أربع قارات من قارات العالم الست.

وتوجد ٣ أسس مختلفة تقف وراء وصف الطائفة الحريدية بـــ"العالمية"، وهي: أنهـــا طائفة تقليدية في طابعها ولم تتأثر بظاهرة الحداثة العالمية، كذلك هجرة الكثير ممـــن نجوا من أحداث "النكبة" (الهولوكوست) من شرق أوروبا ووسطها إلى أنحاء متفرقـــة من العالم وخاصة إلى إسرائيل وإلى شمال قارة أوروبا وغربهـــا وجنـــوب القـــارة الأمريكية وأستراليا، حيث أن هناك الكثير من التجمعات الحريدية الكبيرة التي توجـــد في شرق الولايات المتحدة، وخاصة في "تورنتو"، و"مونتريال"، و"بـــوينيس أيـــرس" وبـــ"أنتروبون" علاوة على "لندن"، وفي هذه المرحلة تم بلورة الأســـاس الجغرافـــي العالمي الحالي للتجمعات السكانية الحريدية على مستوى العالم، وعلى هذا الأســـاس الجغرافي العالمي ازدادت عمليات التزاوج بين أبناء الطوائف الحريدية، وذلك علـــى الرغم من أن عملية البحث عن زوج مناسب بين أبناء طائفة دينية – ثقافية صـــغيرة

أمر غاية في الصعوبة، فعندما تصل فتاة لأبويين حريديين إلى سن الزواج تبدأ عملية البحث "العالمية" عن عقد صفقة زواج مناسبة بين فتاة تسكن في لندن مع فتى يسكن في "تورنتو" أو في "سيدني" أو "بونيس أيرس"، أو بين فتاة تسكن في "نيويورك" مع شاب يسكن في "القدس" أو "بني باراك"، وهذا التمازج جعل من أي مناسبة عائلية حريدية بمثابة مناسبة عالمية، تؤدي إلى القيام برحلات سفر كثيرة في أماكن مختلفة من العالم، لذلك فإن كل عائلة حريدية تشتمل على مكونات مختلفة وكثيرة مثلما هو الحال بالمجتمع الحريدي بشكل عام.

وبالنسبة لأبناء الطائفة الحريدية فإنه من المهم بالنسبة لهم أيضا السفر إلى الحاخام الأعظم الخاص بهم، وهذه الظاهرة كانت بمثابة تقليد يتبعونه في شرق أوروبا، لكن في الوقت الحالي فإنهم يقطعون آلاف الكيلو مترات من أجل مقابلة الحاخام الأكبر والحصول على بركاته، إلا أن هذه الرحلات في الغالب لا تشمل كل أبناء الأسرة إلا في حال تواجد الحاخام الأكبر في مكان قريب.

إسرائيل كبوتقة صهر التجمعات الحريدية على مستوى العالم:

إن دولة إسرائيل هي مطمح كل حريدي على مستوى العالم لزيارتها، حقا أن النسبة الأكبر من الحريديم يسكنون في إسرائيل، إلا أن إسرائيل تحتفظ بمكانتها الخاصة كـ"أرض مقدسة" يقوم الحريديم من خارج إسرائيل بزيارتها عدة مرات، وذلك أكثر من زيارتهم لأي بلد آخر، فقد قال لي أحد الحريديم أنه يسافر في كل ليلة رأس السنة العبرية إلى الحاخام الأكبر بالقدس، وأنه يوجد الكثير الذين يسافرون أكثر من مرة خلال العام الواحد، وهناك من يكتفي بمرة واحدة كل عامين، فكل حسب قدراته الاقتصادية.

لكن زيارة الحاخام الأكبر ليست هي السبب الوحيد الذي يقف وراء زيارة الكثير من الحريديم لإسرائيل، لكن يوجد الكثير من أبناء الأسر الحريدية خارج إسرائيل يقومون بزيارتها لرؤية أبنائهم الذين يتعلمون بالمدارس الدينية اليهودية، كما أنه يوجد الكثير من الحريديم الذين يهاجرون للاستثمار في إسرائيل بالسنوات الأخيرة، إضافة إلى أنه

توجد أهمية خاصة لإسرائيل بالنسبة لإبرام عقود الزواج، حيث أن البنات والأولاد الذين درسوا في المدارس الدينية بإسرائيل تتطور فيما بينهم بمرور الوقت علاقات ودية تتحول إلى الزواج فيما بعد.

ولا شك أن ترابط نسيج الشبكة العالمية للطائفة الحريدية على مستوى العالم، يدل على وجود صلة داخلية قوية بين أبناء مجتمع هذه الطائفة التي تتوزع كأقليات في مدن وقرى العالم، والمجتمع الحريدي لا يتنازل عن هذه الصلة التي تمتد على مستوى كثير من دول العالم، وذلك بواسطة وسائل المواصلات الجوية ووسائل الإعلام الإلكترونية وبالتالي فقد كونت لنفسها تجمع عالمي، ولكن استمرار بقاء هذا التجمع يحتاج لكثير من الأموال، لذلك فإننا نجد أنفسنا مرة أخرى أمام مشكلة ارتفاع المصاريف، فالشاب الذي لا يعمل لا يمكنه أن يقيم اتصالات ببقية العالم الحريدي.

متغيرات في محاولات التوازن بين واجب تعلم التوراة وواجب الالتحاق بالعمل:

إن التغيرات التي طرأت على سياسات الرفاهية الاقتصادية البريطانية أدت إلى طرح تساؤلات ملحة في أوساط الطائفة الحريدية بمنطقة "ستامفورد – هيل" بلندن حول قدرة الشاب الحريدي على الاستمرار في تكريس حياته لتلقي الدروس التوراتية بشكل كامل، حيث أن الدعم المادي الذي تقدمه الحكومة بدأ في التضاؤل، وهذا التساؤل بدأ يطرح أيضا في أوساط عدة طوائف حريدية أخرى في إسرائيل وفي الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد بدأت الطائفة الحريدية في لندن تعتريها المخاوف مما يثار في وسائل الإعلام البريطانية حول ضرورة انقطاع المساعدات والدعم المالي للطائفة الحريدية وضرورة البحث عن مصادر بديلة تدر عليهم دخلا يمكنهم أن يعيشوا من خلاله داخل المجتمع البريطاني، لذلك فقد أدرك أبناء الطائفة الحريدية أنهم سيمرون بضائقة اقتصادية كبيرة في حال استمروا في الاعتماد على دعم الدولة، وبناء على ذلك فقد كان كل شاب يقرر في التوقيت المناسب متى وكيف يخرج إلى سوق العمل بشكل هادئ، حيث أن هذا كان يحدث غالبًا بدون موافقة الحاخامات.

وقد أدى بروز هذا الواقع الاقتصادي الجديد الذي تعيشه الطائفة الحريدية في لندن إلى ارتفاع تكاليف الحياة بشكل غير مسبوق من جانب، وإلى تعميق ثقافة الاستهلاك من جانب آخر، وإلى جانب ذلك بدأ يقل الاهتمام بتخصيص المزيد من الوقت لتلقي دروس التوراة، في حين تشجع بعض منهم للبحث عن توازن بين تلقي دروس التوراة والالتحاق بسوق العمل، فقد اكتفى معظم الشباب الحريدي بعدد قليل من سنوات الدراسة التوراتية بعد تزوجهم حيث التحقوا بسوق العمل.

نموذج الشاب الذي يتعلم بشكل كامل:

إن "الشاب الذي يتعلم بشكل كامل": هو ذلك الشاب الذي يوصف داخل إسرائيل بأن توراته هي شغله الشاغل والعمل الذي لا عمل له غيره، فهو الذي يخصص كل وقته من أجل تعلم التوراة، حيث التحق في شبابه بـ"اليشيفا"، ويعتمد في حياته على إنفاق والديه عليه والإعانات التي تمنحه الدولة إياها، وهذا النموذج من الشباب يتميز من ينتمون إليه بأنهم يعملون داخل نموذج يسمى بـ"مجتمع المتعلمين".

وفي العقود الأخيرة ازدادت قوة نموذج "التلميذ – الحاخام" في أوساط الطائفة الحريدية على مستوى العالم، أما في أوساط الطائفة الحريدية في منطقة "ستامفورد – هيل" بلندن فقد تبنى هذا النموذج تيار الطائفة اليهودية الليتوانية و مهاجري ألمانيا، وقد شهد الأشخاص المتعلمين الذين عاشوا في المنطقة في أعقاب بداية الحرب العالمية الثانية والعقود التي تلتها، أن نمط الحياة الذي كان سائدًا بها هو الالتحاق بسوق العمل عقب استكمال تلقي دروس "اليشيفا"، أما في سنوات السبعينات فقد تغير هذا التوجه وزاد عدد الرجال الحريديم الذين خصصوا كل وقتهم واهتمامهم لتعلم التوراة فقط.

وتوجد عدد من التفسيرات الأدبية والعلمية التي توضح دوافع الاهتمام بهذا التوجه، وهي:

(١) **زيادة التوجهات اليمينية:** لقد كان أحد التفسيرات التي تعاملت مع هذه الظاهرة هو زيادة التوجه نحو اليمين السياسي والذي بدأ في التنامي بشكل كبير في أوساط

الطوائف الحريدية والدينية اليهودية بعدد من الدول وخاصة في قارة أمريكا الشمالية، وذلك بهدف الحفاظ على نمط الحياة الدينية، وكان أحد مظاهر التعبير عن ذلك هو التركيز بشكل كبير على تلقي الدروس التوراتية، و تجدر الإشارة إلى أن جذور هذه الظاهرة تعود إلى فترة كتابة التلمود البابلي، حيث أن نسبة من كانوا يتعلمون التوراة وقتها كان قليل جدا لذلك فقد تم الاحتفاظ بهذا النمط من الحياة للمتفوقين في تفسير وشرح التوراة وأحكامها، وفي الفترة الحديثة اضطر هذا العدد القليل ممن يحافظون على نمط الحياة الدينية لمواجهة ظاهرة انجراف تلاميذ "اليشيفوت" إلى الحياة الحضارية العلمانية الحديثة، وإلى عالم العمل، وفي أعقاب أحداث النكبة "الهولوكوست" كان هناك من توقعوا انتهاء عالم اليشيفوت الذي كان شبه خربا تماما، لكن الذي حدث كان عكس ذلك تمامًا فقد حدثت صحوة عجيبة ومفاجئة لهذا العالم وانضم إليه الكثير من الأشخاص ولاسيما الحريديم والمتدينين، فقد عمل الحاخامات الذين هاجروا من شرق أوروبا إلى لندن على إعادة الروح إلى هذا العالم من جديد، وإعادة الاحترام مرة أخرى لدروس التوراة ومن يتلقاها، وقد نجحوا في عمل ذلك بشكل كبير حتى وصلوا إلى الوضع الذي يقال فيه أنه بأيامنا هذه يوجد الكثير من فتيان "اليشيفوت" مثل الذين كانوا زمن ازدهار تعلم اليهودية الحريدية في شرق أوروبا قبل أحداث النكبة (الهولوكوست).

(٢) تأثير النموذج الإسرائيلي: التفسير الأخر لتزايد قوة نموذج "التلميذ –الحاخام"، هو ما قدمه لي الكثير من شباب وتلاميذ الحريديم أثناء محاوراتي لهم خلال فترة إعدادي لهذا البحث، حيث تحدثوا عن تأثرهم بالنموذج الإسرائيلي، فقد توجه الكثير منهم بأموالهم إلى إسرائيل للالتحاق بـ"اليشيفوت" المنتشرة بها، التي تحولت في العقود الأخيرة إلى مكان دراستهم المفضل، فحتى سنوات السبعينات لم تكن ظاهرة تلقي دروس التوراة بشكل كامل منتشرة في بريطانيا بشكل عام، وقد قال لي أحد ممن قابلتهم، والذي كان حينها أحد قادة الطائفة الحريدية في منطقة "ستامفورد – هيل"، أن الحريديم الذين يتعلمون التوراة في إسرائيل يحتفظون بجزء كبير من نمط حياتهم

العام، وبرفضهم للخدمة العسكرية، حيث أنهم تبنوا خيار تعلم التوراة بشكل كامل ولفترة طويلة من الوقت، وهذا الخيار تأييدا واسعا في أوساط الطوائف التي تمسكت بشدة بالحياة الدينية، و كانوا على استعداد بالتضحية برفاهيتهم الاقتصادية من أجل عظمة التوراة في إسرائيل، وعندما أكمل تلاميذ اليشيفوت الإسرائيلية الذين جاءوا من خارج البلاد فترة دراستهم واستعدوا للعودة إلى مواطنهم الأصلية للانخراط في نمط الحياة الطبيعي السائد بها، مورست عليهم المزيد من الضغوط من جانب حاخامات اليشيفوت بإسرائيل لتبني طريق شباب الحريديم السائد في الأرض المقدسة (إسرائيل)، وبالتالي طرح نهج أو نموذج "التلميذ – الحاخام" والكثير منهم تم إقناعهم بتبني هذا النموذج، حتى تحول بمرور الوقت إلى النموذج المسيطر على المجتمع الحريدي، فقد تم تسجيل الكثير ممن قبلوا الاستمرار في تلقي دروس التوراة بإسرائيل وذلك بعد زواجهم، وكان هناك من عادوا مرة أخرى إلى بلادهم وبحثوا عن طريقة مناسبة لاستكمال دراستهم الدينية بها.

ووفقا للكثير من المحادثات التي أجريتها مع عدد من شباب الحريديم في مدينتي "لندن" و"نيويورك" فإن تجربة التعلم بإسرائيل هي الأفضل بالنسبة للشباب الحريدي الذين يقطنون خارجها، لكن مع فارق جوهري واحد فقط وهو أن الذين يختارون الاستمرار في التعليم بشكل عام بعد أن يتزوجوا لا يقومون بذلك لفترة طويلة من الوقت مثلما يقوم به أقرانهم في إسرائيل، حيث أنهم بعد فترة قصيرة من الوقت يتوجهون للبحث عن فرصة عمل، وهذا يوصف وفقا للتعبير الحريدي بأن أولئك هم من يخصصون سنوات محددة لتعلم التوراة تتراوح ما بين سنتين إلى خمس سنوات وبعد ذلك ينضمون إلى سوق العمل.

(٣) الآباء الباحثين عن نموذج "التلميذ – الحاخام": التفسير الثالث مرتبط بتفشي ظاهرة نموذج "التلميذ –الحاخام" في أوساط الكثير من طبقات المجتمع الحريدي، والذي تحول فيما بعد إلى عبء نفسي ملقى على كاهل الآباء من الحريديم، الذين اعتقدوا أن بوسعهم إعالة الشاب الحريدي الذي يخصص كل وقته لدراسة التوراة،

حيث أن صفة "التلميذ – الحاخام" كانت تحظى باحترام وتقدير شديدين داخل المجتمع الحريدي، وذلك للأهمية الكبيرة للنموذج الثقافي الذي ينطوي علـــى هـــذه الصـــفة، فصاحب هذه الصفة عادة ما كان يلقى قبولا لدى أي أسرة يتقدم إليها طالبا الـــزواج من إحدى بناتها، فقد أدرك أبناء "اليشيفوت" جيدًا أن دراساتهم التوراتية ستنعكس على أوضاعهم الاجتماعية، حيث كان بإمكان أي منهم تكوين أسرة بشكل سريع، وبـــأدنى مشقة، وكان من يسترب من اليشيفوت قبل أن يتزوج يواجه العديد مـــن الصـــعوبات عندما يحاول الزواج، ولقد كان على الذين فشلوا بالالتحاق بـــ"اليشيفوت" أن يصـــلوا إلى الحد الأدنى من التعليم التوراتي لكي يتم قبولهم عندما يتقدمون للزواج، وبعد ذلك كانوا يبحثون عن فرصة عمل يمكنهم العيش منها ويهجرون التعليم التوراتي.

كما كان للفتيات الحريديات دور كبير في تفشي ظاهرة نموذج "التلميـــذ –الحاخـــام"، حيث تشبعن بثقافة اجتماعية وتعليمية تؤكد أن هذا النموذج من الشباب هـــو الأمثـــل الذي يلاءم الفتاة الحريدية، فقد قالت لي إحدى الفتيات اللائي تعلمن في مدرسة "بيت يعقوب"، "إن الحاخامات والمدرسين يملئون رؤوس الفتيات بهذه الثقافة"، الأمر الـــذي أدى إلى سيطرة ثقافة يمكن أن نسميها بثقافة "الزوج – الحاخام" في أوســـاط الأســـر الحريدية.

تحديات تواجه نموذج "التلميذ – الحاخام":

لا يزال نموذج "التلميذ – الحاخام" وهو ذلك الشاب الذي يخصص كل وقتـــه لـــتعلم التوراة هو الأكثر شيوعًا وانتشارًا في أوساط الطائفة الحريدية في لندن، وفي أثنـــاء المقابلات واللقاءات التي أجريتها خلال فترة إعداد هذا البحث لم يعـــرب أي شـــاب حريدي عن معارضته لهذا النموذج، لكن كانت هناك بعض التحفظات، مثل ما قالـــه أحد الشباب: "أولا وقبل كل شيء يجب عليك أن تهيئ نفســـك لتعـــيش وفـــق هـــذا النموذج، لكن من يتمكنون من ذلك يوجد من يدعمهم ماديًا، لكن بالنسبة لي فلا يوجد من يدعمني، إضافة إلى أنني كنت أتعلم ولا أعمل".

وبمرور الوقت ظهر أن هناك عاملا مرتبطًا بانتشار هذه الظاهرة، وهو مستوى دخل الأسر الذي يخصص أبناؤها كل وقتهم لتعلم التوراة، فقد ساد الاعتقاد أنه من أجل أن تعيش وفق نموذج "التلميذ – الحاخام" يجب أن يتم دعمك اقتصاديًا من قبل أبويك أو أحد أقاربك الأغنياء، حيث أن العيش وفق هذا النموذج يجب أن يتوفر له أساس اقتصادي قوي يقوم عليه أو أن يعيش صاحبه في مستوى حياة متدنى للغاية، فخلال اللقاءات التي أجريتها سمعت مرارًا وتكرارًا من الشباب الحريديم المتزوجين أنهم غير قادرين على تلقي دروس التوراة بشكل كامل، وذلك بسبب غياب الدعم المالي وحالة الفقر المدقع التي يعانون منها في ظل تزايد تكاليف الحياة المعيشية بالنسبة لهم ولأسرهم، إلا أن بقية الشباب الحريديم يبحثون عن طريقة يمكنهم من خلالها أن يوازنوا بين تلقي دروس التوراة وحياة العمل، حيث أنهم يواجهون واقعا اقتصاديا صعبا للغاية و لا يرغبون في الانعزال عن الثقافة الاستهلاكية التي تحيط بهم في المجتمع الحداثي بلندن، وهم يعرفون جيدا أنه من أجل الانخراط في هذه الثقافة يجب عليهم أن يكونوا أصحاب قوة شرائية، يمكن تحقيقها من خلال الخروج إلى سوق العمل.

نسب تعلم التوراة بشكل كامل داخل المجتمع الحريدي:

يوجد القليل من الإحصائيات المفصلة عن الحريديم خارج إسرائيل، ومعظمها إحصائيات جزئية وغير وافية، وفي هذا الجزء من البحث سنحاول الكشف – قدر الإمكان – عن البيانات الحقيقية والمفصلة للحريديم في المنطقة موضوع البحث، مثل ذلك الاستطلاع الذي أعد عام ٢٠٠١ من قبل منظمات محلية حريدية في منطقة "ستامفورد – هيل"، والاستطلاع الذي أعد عام ٢٠٠٢ من قبل منظمات محلية أيضا في منطقة "بروتون بارك"، والذي تعرض بشكل خاص للسكان الحريديم – الليتوانيين، وقد أظهر كلا الاستطلاعين مدى صغر حجم الطائفة الحريدية في الخارج مقارنة بها في إسرائيل، كما اتضح أن أكثر من يخصصون كل وقتهم لتعلم التوراة هم من الشباب الصغير، وأن المتقدمين في السن يفضلون الخروج إلى سوق العمل على تعلم

التوراة، إلا أن الجزء الأكبر من شباب الحريديم في إسرائيل نفسها يخصصون كل وقتهم لتعلم التوراة وذلك على خلفية حصولهم على إعفاء من أداء الخدمة العسكرية.

وفي ظل عدم وجود تمييز بين الرجال والنساء في البيانات الخاصة بالحريديم في منطقة "ستامفورد – هيل"، فإننا سنتبع طريقة غير مباشرة لتقدير نسبة المتعلمين في اليشيفوت من رجال الحريديم، حيث يمكن تقدير أن نسبتهم تتراوح ما بين ١٨– ٢١ %، وهذا التقدير لا يختلف كثيرا عن التقديرات التعدادية الخاصة بالطائفة الحريدية في منطقة "بروتون – بارك"، والتي قدرت أن نسبة ١٧% من الشباب البالغ من العمر ٢٥ عام فأكثر يتعلمون في اليشيفوت، أما الاستطلاع الذي أعد عام ١٩٩٧ والخاص بالطائفة الحريدية في منطقة "مونتريال" بكندا، فقد أظهر أن نسبة ١٤,٢% من الشباب البالغ من العمر ١٧ عام فأكثر يتعلمون في اليشيفوت، وهو ما يمثل نفس النسبة تقريبا في أوساط الحريديم بمنطقتي "مانشيستر"، و"ستامفورد – هيل" بلندن.

والجداول الآتية توضح صورة أكثر تفصيلا عن نسب المتعلمين للتوراة من الحريديم بشكل كامل في مناطق تجمعاتهم خارج إسرائيل، والتي يمكن الاعتماد عليها بشكل أو بآخر في حصر أعداد الطوائف الحريدية في بريطانيا وكندا بشكل عام بما في ذلك المتعلمين وغير المتعلمين، وقد حرصت عند إعدادها توخي أقصى درجات الدقة والموضوعية والاعتماد على أكثر من مصدر موثوق.

جدول بنسبة المتعلمين من الرجال في منطقتي "ستامفرود – هيل" و"بروتون بارك"

العمر	٢٠-٢٤	٢٥-٢٩	٣٠-٣٤	٣٥-٣٩	٤٠-٤٤	٤٥-٤٩	٥٠-٥٤	٥٥-٥٩
ستامفورد هيل	٣٥,٦	٢١,٢	١٦,٦	٧,٤	٦,٢	٩,٦	٤,٣	٠,٠
بروتون بارك	٨,٨	٢٩,٤	٤٦,٧	٢٠,٠	٧,٧	٠,٠	١٠,٥	٠,٠

جدول بنسبة المتعلمين من الرجال في منطقة "مونتريال" بكندا

العمر	١٧-٢٤	٢٥-٤٤	٤٥-٦٤
نسبة المتعلمين	٥٦,٥	٦,٠	٢,١

الفصل الثالث: أنماط الشباب الحريدي في لندن

- الشاب الذي يعمل قليلا:

بدأ الكثير من الشباب الحريديم في البحث عن فرص عمل مؤقتة أثناء تلقيهم لدروسهم التوراتية، وذلك بهدف المساعدة في سد احتياجات أسرهم المادية، التي تتناقص موارد دخلها خاصة في حال ولادة طفل آخر وتزايد الحاجة إلى توسيع مساحة الشقة، وفي ظل هذا الالتزام الأيديلوجي، وضرورة تقديم المساعدة الاقتصادية فإن نموذج الشباب الحريديم الذين يتعلمون بشكل كامل ما يزال يشكل الطابع الأساسي للأنشطة التعليمية داخل المجتمع الحريدي في لندن، بما يمثله ذلك من ارتباط اقتصادي.

أنواع فرص العمل المؤقتة:

يقوم الشباب الراغبين في مساعدة اسرهم اقتصاديا بتقسيم اوقاتهم على أساس جدولين زمنيين، وهما: الجدول اليومي، والجدول السنوي، وبالنسبة للجدول اليومي فيتركز على ثلاث أوقات رئيسية وهي: الصباح، وما بعد الظهيرة، والمساء، وبينهم فترة توقف لعدد من الساعات تعرف باسم "ما بين الوجبات"، اما الجدول السنوي فيتكون من ثلاثة فصول دراسية خلال العام الكامل والمعروف داخل المجتمع الحريدي باسم "ما بين الأوقات"، وهذا الإطار الزمني ينتشر بين الشباب الذين يسعون إلى سد احتياجاتهم الاقتصادية من خلال العمل، مثلما يقوم بذلك عدد كبير من الطلبة الذين يلتحقون بمؤسسات التعليم العالي، حيث أن مفهوم الالتحاق بالعمل هو أمر مقبول في نظر المجتمعات غير – الحريدية، الأمر الذي يكسر لديهم الحاجز النفسي للقيام بذلك.
و يمكن التمييز بين عدد من فرص العمل المؤقتة لهؤلاء الشباب، وهي:إعطاء دروس خصوصية للتلاميذ، توصيل التلاميذ، العمل المؤقت في مجالي التجارة والخدمات.

إعطاء دروس خصوصية للأولاد:

يقوم عدد من الشباب الحريديم بإعطاء الدروس الخصوصية لتلاميذ الصغار الذين يرغب أبائهم في تطوير مستواهم التعليمي وهم في سن مبكرة، حيث أن هناك الكثير من الآباء المستعدين للدفع بسخاء للمدرس الخاص الذي سيصل بأبنائهم إلى المستوى

المأمول، و هذا المبلغ الكبير الذي يدفع مقابل الدرس الخصوصي يبرر للشباب الحريدي القيام برحلة السفر الطويلة من منطقة ستامفورد – هيل إلى جولدرز– جرين البعيدة من أجل العمل كمدرس خصوصي لطفل صغير بـــ"اليشيفا"، ويمكن وصف هذا التصرف من جانب الآباء على أنه استثمار في مستقبل أطفالهم.

توصيل التلاميذ:

يوجد الكثير من الحريديم في لندن – كما هو الحال في إسرائيل – الذين يقومون بتوصيل التلاميذ من بيوتهم إلى المؤسسات التعليمية والعكس، فكل جماعة حريدية تسعى إلى إنشاء عدد من المؤسسات الحريدية الخاصة بها، وهذا التزايد في عددها في ظل الفصل بين البنين والبنات في صفوف الدراسة، وابتعاد المؤسسات التعليمية عن أماكن السكن، أدى إلى تزايد المطالب بتوفير خدمات التوصيل، كما أن هناك الكثير من المؤسسات التعليمية التي تساعد تلاميذها على الذهاب إلى المنزل اثناء فترة راحة الظهيرة خلال اليوم الدراسي الطويل.

وقد ازدادت المطالب بتوفير خدمات التوصيل بشكل خاص في منطقة "ستامفورد – هيل" بسبب الوضع الأمني الذي تخضع له الجماعة السكانية الحريدية هناك، فهي تقطن في أوساط مجموعات من المهاجرين، من بينهم الكثير من المسلمين، والحريديم يخشونهم كثيرا، فممن السهل للغاية أن تتعرف على الأطفال الحريديم وهم يتعرضون للمضايقات في الشوارع، لذلك فإن المؤسسات التعليمية الحريدية قامت بإنشاء أنظمة حراسة خاصة، والآباء الحريديم يفضلون أن يدفعوا الأموال بدلا من أن يتعرض أبنائهم للمضايقات والهجمات.

بالإضافة إلى ذلك فإن ظاهرة توصيل التلاميذ في أوساط الحريديم تميز أيضا تجمعات سكانية يهودية أخرى في لندن ومدن بريطانية أخرى، فالحاصلين على شهادات عليا في منطقة "ستامفورد – هيل" قليلا ما يستخدمون المواصلات العامة، ومن لا يقومون بقيادة سياراتهم يفضلون أن يقوم شاب حريدي بتوصيلهم.

فرصة عمل مؤقتة في مجالي التجارة والخدمات:

توجد الكثير من فرص العمل المؤقتة في مجالات التجارة والخدمات، والتي يمكن من خلالها العمل لمدة ساعة أو ساعتين ولاسيما في المخازن التجارية، أما في مجال الخدمات من الممكن العمل في عدة مجالات مختلفة فهناك من الحريديم من يقوم بتسويق بوليسات التأمين أو كروت التليفون، وهناك من تعلموا كيفية إصلاح الأجهزة الكهربائية والإلكترونية، فكل مجال أو وسيلة يمكن من خلالها ربح "بينس" واحد أو جنية إسترليني كامل يرحب بها أي شاب حريدي بشرط ألا تعطله عن تلقي دروسه التوراتية.

وفي نهاية هذا الجزء تجدر الإشارة إلى أن الالتحاق بفرص العمل المؤقتة سابقة الذكر ليس هو المصدر الوحيد الذي يعتمد عليه الشاب الحريدي لمساعدة الأسرة ماديا، إلا ان هذه الطريقة تستخدم ايضا للانخراط في سوق العمل بشكل كامل مستقبلا وذلك بعد الانتهاء مباشرة من الدراسة التوراتية بشكل كامل، فمعظم الشباب الحريديم لا يلتحقون بمدارس مهنية أو مؤسسات التعليم العالي، بل ينخرطون مباشرة بسوق العمل، حيث بدا من الواضح أنهم أقاموا لأنفسهم جهاز غير مؤسسي و غير رسمي لتأهيلهم مهنيًا وعمليًا.

٢- الشاب الذي يعمل بشكل جزئي:

في إحدى المرات قابلت شابا "حسيديا" كان قد انتهى للتو من دورة كمبيوتر تم تنظيمها بمبادرة من إحدى مدارس البنات في منطقة "ستامفورد –هيل"، حيث شرح لي استراتيجيته وربما أيديولوجيته فيما يتعلق بمشكلة الموازنة بين تعلم التوراة والعمل، فقد قال لي :"إن هدفي هو أن أظل أدرس طيلة حياتي، إذا سمحت الأوضاع بذلك، وإن لم تسمح فحينها سأقوم بالعمل نصف اليوم حتى لا أكون طيلة حياتي أسيرا للعمل فقط". ولكن كلمات شباب آخرين تدل على أنهم كانوا يدركون هذا الأمر، فقد كانوا يقولون: "سأعمل نصف يوم لكي لا تكون حياتي بأكملها في مشاكل دائمة"، وسواء هؤلاء أو أولئك فقد قرروا جميعا أن يسيروا على نمط الشاب الذي يعمل بشكل جزئي.

و لاشك في أن سياسات الرفاه الاجتماعي البريطانية تشجع على العمل بشكل جزئي، حيث أن الحد الأدنى لعدد ساعات العمل يصل إلى ١٦ ساعة في الأسبوع، ويحق للأسر صاحبة الدخل المنخفض الحصول على منحة استكمال الدخل التي تم تشريعها في أبريل ٢٠٠٣ وعرفت باسم. Working Family Tax Credit (WFTC)، وبعد ذلك أدخلت عليها بعض التغييرات وعرفت باسم: Working Tax Credit، وقد تم تخصيص هذه المنحة من أجل تشجيع العاطلين على العمل، وخاصة النساء منهم للدخول إلى سوق العمل بشكل كامل وليس بشكل جزئي، وكانت الفرضية المصاحبة لخطة منح هذه المبالغ هي أنه من يدخل إلى سوق العمل ولو بشكل جزئي سينخرط به مستقبلا إن تم تشجيعه، كما أن المنحة كانت تدفع لمن كانت نسبة ادخاره لا تزيد عن ٨٠٠٠ جنيه استرليني، وكان على من يطلبها أن يقدم وثائق تثبت أن دخله منخفض.

ومن الواضح إنه إذا لم تقم سياسات الرفاه البريطانية – عن عمد– بوضع هذه الخطة فإن شباب الحريديم لم يكونوا ليستمروا في الخروج لسوق العمل ولو حتى بشكل جزئي، وهذا الوضع لم يكن قائما بإسرائيل بسبب مشكلة الخدمة العسكرية، إلا أن "قانون طل" قد تم إعداده لحل هذه المشكلة عن طريق ما يسمى بـــ "سنة الحسم.

مجالات العمل بشكل جزئي:

المجالات الرئيسة التي يجد بها الشباب عملا بشكل جزئي هي التعليم، والتجارة والخدمات، و المنتجات الصغيرة.

وبالنسبة للتعليم فإن هناك جزءا كبيرا من شباب الحريديم يحاولون العمل خلال الدراسة بشكل عام ويجدون ذلك في المؤسسات التعليمية التابعة للمجتمع الحريدي، فهناك الكثير يعملون كمعلمين للتوراة وعلومها، وآخرين يشقون طريقهم نحو "اليشيفوت الصغيرة"، والبعض يتجه نحو "المدارشيم".

وهناك استطلاع رأي تم إعداده في منطقة ستامفورد – هيل احتوى على بيانات مفصلة عن الشباب الحريديم الذين يعملون بشكل جزئي، إلا أنه لم يشتمل على الكثير

من المعلومات حول الأعمال التي يلتحقون بها وذلك نظرا لأن البيانات الخاصة بذلك لا تميز بين النساء والرجال، وفي مقابل ذلك، فإن هذا الاستطلاع الذي قامت بإعداده باحثات بمنطقة "بروتون بارك" بمانشيستر، احتوى على بعض البيانات التي من الممكن أن نقف من خلالها على حجم ظاهرة العمل الجزئي في أوساط الكثير من الرجال الحريديم، فقد ظهر أن ٩% من الرجال تزيد أعمارهم عن ١٨ عاما يعملون في أعمال جزئية، وجزء كبير منهم يعملون بشكل عام، أما الاستطلاع الذي أعد في أوساط الحريديم بمنطقة "أوتورمونت" بمونتريال فأظهر أن ما بين ١١-١٢% من الرجال الحريديم المتزوجين يعملون في أعمال جزئية و٨,٨ % يتعلمون بشكل جزئي، وبناء على هذه البيانات من الممكن الوصول إلى تقدير شامل مفاده أن عُشر الرجال المتزوجين يقسمون أوقاتهم بين العمل والدراسة.

وبالنسبة للعمل في مجال التجارة والخدمات فإنه يعد بمثابة الخيار الأفضل لشباب الحريديم الراغبين في العمل بشكل جزئي، حيث أنه يدر عليهم دخلا كبيرا ويؤدي إلى تطور أوضاعهم الاقتصادية بشكل سريع، كما أن هذا المجال هو الذي يقوم باستيعاب التلاميذ الحريديم المتسربين من الدراسة ويبحثون عن مكان لهم في أوساط الشباب الذي يتعلمون ويعملون في نفس الوقت.

وفيما يتعلق بالعمل في مجال المنتجات الصغيرة فإن من يلتحق به من شباب الحريديم يتصفون بنوع من الجرأة التجارية للدخول في هذا المجال بشكل خاص، حيث أن احتمالات الربح عادة ما تكون غير موثوق منها.

٣- الشاب الذي يعمل ويتعلم "يخصص أوقات محددة لتعلم التوراة":

قبل البدء في الحديث عن سمات الحريديم الذين يعملون ويتعلمون في نفس الوقت، تجدر الإشارة إلى أنني قمت بجمع العديد من الدلائل والقرائن حول استمرار من يخرجون إلى العمل في تلقي دروسهم التوراتية، وهذه الظاهرة قد تزايدت وتعمقت في السنوات الأخيرة، حيث أن الأشخاص الذين يعملون يجدون الكثير من الوقت للدروس التوراتية في ظل تنظيمهم لأوقاتهم، لكن على هامش المجتمع الإسرائيلي

يوجد من يرتبطون بتعلم التوراة مع أداء "الصدقة" عن طريق دفع مبلغ محدد للتلاميذ الذين يتعلمون التوراة.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى القول أن الخروج إلى سوق العمل لم يكن يضر بالالتزامات الدينية المفروضة على الشاب الحريدي، أو على درجة إيمانه بالمجتمع الحريدي، بل يؤدي إلى بلورة رؤيته الخاصة حول تعلم التوراة، وتؤدي إلى زيادة انخراطه في عالم العمل.

تحديد أوقات لتعلم التوراة:

يعد تعلم التوراة نهجًا مألوفًا عند غالبية الحريديم الذين ينخرطون في سوق العمل بعد إنهاء دراستهم بشكل كامل، فهو يعد جزءا من نمط الحياة الحريدية، ولذلك فإنه يتم تنظيمه من خلال جدول زمني يومي وأسبوعي، فنموذج " التلميذ الحاخام" هو الأكثر انتشارا وسيطرة عند الحريديم، ففي خلاف مواعيد الصلاة اليومية، فإن مواعيد الدراسة التوراتية غير محددة، فكل إنسان حريدي له جدوله الزمني لتعلم التوراة، فهناك من يركزون مواعيد دراستهم في أوقات الصباح، وهناك من يفعلون ذلك بالمساء، وهناك الكثير ممن يدرسون بالوقتين في نفس اليوم، إلا أن الدراسة بشكل عام مرتبطة بمواعيد الصلاة اليومية، وبالمعبد بصفته مدرسة دينية بالأساس و المكان الأمثل لدراسة التوراة، وخاصة عند "الحسيديم" (إحدى الفرق الدينية اليهودية)، حيث تتجمع مجموعة من شباب المتعلمين العاملين قبل صلاة الغروب بساعة أو ساعتين ويجلسون في حلقات لمناقشة مسائل تلمودية، إضافة إلى وقت قريب من صلاة الفجر يتجمعون في المعبد ليقومون بواجباتهم الدراسية قبل الخروج إلى العمل، وبطبيعة الحال، وكما هو في أي طبيعة إنسانية يوجد كثيرين يقومون بذلك وآخرين لا يقومون به. حيث يوجد كهؤلاء الذين يتعلمون "خلسة" نظرا لأن الوقت يداهمهم والعمل كثير، وآخرين يخصصون جزءا من أوقاتهم لدراسة التوراة لأنهم يتحكمون في أوقاتهم. ومن كان عمله يتيح له ذلك فإنه يخصص في كل يوم عدد من الساعات لدراسة التوراة بشكل عام، ففي أحد المعابد قابلت شخصا حريديا يعمل في مجال التجارة

يصل يوميا وبشكل محدد إلى المعبد في تمام الساعة الحادية عشر قبل الظهر، وذلك بعد أن يكون قد انتهى من إدارة بعض الأعمال الخاصة به في مكان عمله، وبعد ساعتين من الدراسة في إحدى حلقات التعليم يعود مرة أخرى إلى عمله المعتاد، فتلما يقوم بالاستثمار يحدد أوقات معينة لتعلم التوراة بالشكل الذي يناسبه، أما الحريديم الذين تقاعدوا من أعمالهم فإنهم يأتون إلى المعبد خلال اليوم وينضمون إلى مجموعة الدارسين للتوراة الذين أصبحوا يمثلون ظاهرة تميز المجتمع الحريدي في لندن بالآونة الأخيرة.

ومن أجل تجسيد مراحل التعليم خلال الحياة اليومية للحريديم فسأقوم بعرض ثلاثة نماذج من الحياة اليومية لشباب "حسيديم" من نوعية المتعلمين العاملين، وأولهما يخص شاب جاء من مدينة نيويورك لكي يتزوج ويستثمر أمواله في لندن، وبعد الزواج درس قليلا وبعد ذلك بدأ في العمل أثناء تلقيه دراسته، وأصبحت حياته فيما بعد تقوم على أساس نمط حياة يخلط بين الدراسة والعمل، ففي الساعة ٦:٠٠ يتوجه إلى المعبد للدراسة وبعد صلاة الفجر يعود إلى بيته لتناول وجبة الإفطار، وفي الساعة ٩:٠٠ يكون بالعمل، وفي الساعة ١٧:٣٠ يعود إلى بيته وبعد ذلك بنصف ساعة فقط، يذهب مرة أخرى إلى المعبد لكي يواصل دراسته حتى صلاة الغروب بالساعة ٢٢:٠٠.

وهناك نمط حياة آخر يخص شاب حسيدي يقوم بإدارة دكان للوجبات الغذائية السريعة، حيث يستيقظ صباحًا لكي يتمكن من الدراسة لمدة نصف ساعة قبل صلاة الفجر، ومن المعبد يتوجه مباشرة إلى مكان عمله لكي يفتح الدكان بالساعة ٨:٠٠ ويعود إلى بيته حوالي الساعة ١٨:٣٠ يتناول وجبة العشاء مع أبناء عائلته ويخصص وقتا معينا لأطفاله، وفي الساعة ٢٠:٢٠ يكون في المعبد لاستكمال دراسته وفي الساعة ٢٢:٠٠ يقوم بأداء صلاة الغروب وبعدها يسرع بالتوجه إلى بيته.

أما النموذج الثالث فيخص ذلك الشاب الذي يتواجد في تمام الساعة ٦:٣٠ في المعبد ويقوم بتلقي الدراسة لمدة ساعة أو ساعة ونصف، ومن هناك ينطلق إلى مكان عمله، وفي نهاية يوم العمل يعود إلى منزله ومنه مرة أخرى إلى المعبد.

وعلى أية حال فإن نمط الحياة الخاص بهذه النماذج الثلاثة لا يختلف كثيرا عن بعضه البعض، وهي تشمل كل نماذج الشباب الحريديم الذين يعملون ويتعلمون في نفس الوقت، ففي ساعات المساء تكون المعابد مليئة بالمتعلمين، الأمر الذي يظهر من خلاله الفارق بين الحريديم الليتوانيين، وبين الحسيديم الآخرين، ففي إحدى المعابد الخاصة بالحريديم وجدت المتعلمين يطيلون من أوقات الدراسة في حين أن أقرانهم بالمعابد الحسيدية يأتون قبل وقت الصلاة بفترة قليلة لتلقي دروسهم.

الخلاصة:

حول مجتمع العاملين والمتعلمين في لندن:

إن الحديث عن خلاصة هذا البحث تستلزم تقديم استعراض مركز لتزايد عنصر المتعلمين في أوساط المجتمع الحريدي عقب الحرب العالمية الثانية، ففي السنوات الأولى عقب الحرب تركزت المجهودات حول إعادة أعمار العالم الذي تهدم، وبالنسبة للمجتمع الحريدي الذي تأثر بقوة بهذا الأمر فقد نجح في استيعاب تأثيرات الحداثة الغربية والصهيونية أيضا أكثر من أي عنصر آخر من عناصر التجمعات اليهودية في أوروبا، فقد عرف هذا المجتمع كيف يقوم ويحيا من جديد، ومن هذه الناحية ربما يكون المجتمع الحريدي يستحق الإشادة والتقدير التاريخي، ففي هذا العصر لا يوجد الكثير من المجتمعات الثقافية التي نجحت في إعادة إحياء نفسها والازدهار من جديد.

وفي بادئ الأمر كان هناك القليل من الشباب الحريديم الذين يتعلمون بشكل كامل، لكن مع مرور السنوات ارتفعت أعدادهم بشكل تدريجي، ففي إسرائيل وصلت أعدادهم إلى مقاييس مرتفعة جدا، وذلك في ظل رفضهم أداء الخدمة العسكرية، وبسبب التأثير السياسي للطائفة الحريدية على الحكومة الإسرائيلية، ويرى بعض الباحثين أنه يكمن وراء ذلك كارثة اقتصادية كبرى ستنفجر في المجتمع الإسرائيلي

مع مرور الوقت بسبب شباب الحريديم الذين لا يلتحقون بالعمل و لايؤدون الخدمة العسكرية في نفس الوقت.

وفي الغرب فقد ازداد عدد الحريديم خلال سنوات السبعينات، وهذه الزيادة صاحبتها زيادة في مستوى دخلهم وإنتاجهم الاقتصادي بشكل عام، حيث أن دول الغرب هاجر إليها معظم الحريديم في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، صاحب ذلك زيادة كبيرة في أعداد الشباب الحريديم في أوساط السكان بالغرب، في حين كان النمو الاقتصادي في بريطانيا خلال سنوات الستينات، و خاصة في مجال إعانات الأطفال والسكن، بمثابة قاعدة أساسية لدعم المجتمع الحريدي بشكل عام ومجتمع الشباب الحريديم بشكل خاص في البلدان الغربية، ولقد تم إعداد هذا البحث بهدف فحص "مجتمع المتعلمين" الحريديم في البلدان الغربية، وهل بالفعل يستحق هذا الوصف؟ وهل وصلت نسب الشباب الحريديم بالغرب لنفس النسب التي وصلت إليها بالمجتمع الحريدي في إسرائيل؟ وإذا كانت الإجابة "لا" ما هي الاختلافات بين المجتمع الحريدي في الغرب ونظيره في إسرائيل؟ وهل من الممكن أن نستخلص العبر من النهج الذي سلكته الطوائف الحريدية خارج إسرائيل، التي ما تزال تقف أمام تساؤل حول ما إذا كان من الصحيح الاستمرار في نفس هذا النهج؟.

ووفقا للبحث الذي أعددته في منطقة لندن، وضُم إليه البحث الذي أعددته في منطقة نيويورك مع الاستعانة بعدد من الاستطلاعات والبيانات العلمية، من الممكن القول أنه في السنوات الأخيرة ظهرت بعض الصعوبات المتعلقة في نمو عنصر المتعلمين بالمجتمع الحريدي، ففي الآونة الأخيرة أثيرت عدة مشكلات اقتصادية تسببت في تهديد استمرار سياسات الرفاه الاجتماعي، إضافة إلى تزايد ثقافة الاستهلاك في أوساط الجمهور الحريدي، ولقد نجحت الطائفة الحريدية خارج إسرائيل في توفيق أوضاعها الداخلية والخارجية، و كانت الصورة التي بدت من خلال البيانات والجداول فيما يتعلق بالطائفة الحريدية التي تقطن في منطقة "ستامفورد – هيل" بلندن، وأيضا عدد من الطوائف الحريدية الأخرى خارج إسرائيل هي صورة المجتمع الذي بحث

وعثر على توازنات واقعية بين تعلم التوراة والخروج لسوق العمل بالتوفيق مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية المختلفة المحيطة به.

ويطرح هذا البحث فرضية أنه في البلدان الغربية لا يوجد "مجتمع متعلمين" مثلما يوصف به مجتمع الحريديم في إسرائيل، ولكنه "مجتمع متعلمين وعاملين" وحتى في القسم الأكثر تشددا في القطاعات السكانية مثل منطقة "الحسيديم" في منقطة "ستامفورد – هيل"، التي تتماثل في طابعها بشكل كبير مع المجتمع الحريدي في إسرائيل من حيث الحفاظ الشديد على نمط الحياة الدينية والثقافية الحريدية، فجزء صغير فقط – حوالي الخمس– من الرجال الحريديم المتزوجين يوهبون أنفسهم للدروس التوراتية بشكل عام، وحوالي ثلثي الرجال الحريديم يعملون بأشكال مختلفة، و أيضا في أوساط الشباب الحريديم تختلط الصورة بين المتعلمين والعاملين.

وفي المقابل ففي إسرائيل مقدار الرجال الحريديم الذين لا يعملون وصل لحوالي الثلثين في بداية سنوات التسعينيات، والتحدي الذي يواجه الباحثين هو فحص ما إذا كان المجتمع الحريدي في إسرائيل يتجه نحو هذا الاتجاه، أما التحدي الذي يواجه قادة الدولة فيمكن في تمكين هذا الاتجاه من الاستمرار.

سمات مجتمع المتعلمين والعاملين في لندن:

بات من الواضح أن الطائفة الحريدية خارج إسرائيل تمكنت من إحداث توازن ديناميكي بين تعلم التوراة بشكل كامل وبين الخروج لسوق العمل، فالرجال الحريديم المتزوجين الذين يعيشون خارج إسرائيل يحددون لأنفسهم أوقات محددة لتعلم التوراة، بعد أن يتلقوا التعليم الديني في "اليشيفا" وهم صبية، وبعد ذلك يصلون إلى قرار بضرورة الخروج لسوق العمل، حيث أن الأمر الفصل في هذا الموضوع هو في أيدي كل شاب، على الرغم من وجود بعض الضغوط من جانب الزعماء الدينيين والاجتماعيين الحريديم، فوفقا لكلام الشباب الذين تحدثت معهم، فإن التوقف عن الدراسة يتم وفقا للظروف التي تتغير من وقت لأخر، سواء من ناحية استعداد وقدرة

الشباب على الاستمرار في الدراسة أو سواء من ناحية الوضع الاقتصادي في الأسرة.

وإن من يستطيع أن يواجه بنفسه تحدي الاستمرار في دراسة التوراة يستمر في ذلك لعدة سنوات، ومن لم يتمكن من ذلك نظرا لظروف اقتصادية فإنه يخرج على الفور للبحث عن عمل، حيث أن القدرة على الاستمرار في تلقي دروس التوراة ليست بالأمر الهين، ففي أثناء حواراتي مع الشباب الحريديم، أثير أكثر من مرة موضوع الصعوبات التي تواجههم في استكمال دراستهم، حتى في ظل توافر الظروف الاقتصادية الملائمة لذلك، ويشهد على ذلك أحد "الحسيديم" الذي يعمل بائعًا في محل خضروات، فقد قال لي: "أنا لست من هؤلاء الذين ينقطعون للدراسة، حتى لو كانت تتوفر لي الأموال الكافية فإنني لم أكن لأستمر في الدراسة لفترة طويلة من الزمن"، ولقد كان له في ذلك سببين وهما عدم قدرة على استكمال دراسته بشكل متسارع والثاني هو عدم قدرته على إعالة أسرته بشكل كامل.

و فيما يتعلق بالقدرة الاقتصادية على استكمال التعليم، فهي مرتبطة أولا وقبل أي شيء بمقدار الدعم الأسري والمؤسسي، سواء من خلال المجتمع الحريدي أو من خلال سياسات الرفاه الاقتصادية في الدولة، ومن هنا فقد كان هناك الكثير من الفروق في مستوى دخل كل أسرة، فمن كانت أسرته تستطيع أن تدعمه ماديا يستطيع أن يحدد لنفسه سنوات أطول لاستكمال دراسته، مقارنة بذلك الذي يتلقى دعما منخفضا من أسرته، وهذه الصلة بين مستوى الدخل واستكمال الدراسة التوارتية تذكر بالصلة القديمة بين الرجل "التلميذ – الحاخام" وبين زوجته التي كانت موجودة في الماضي داخل المجتمع الحريدي.

ويوجد جزء كبير من الدعم الاقتصادي للدراسة التوراتية مصدره هو سياسات الرفاه في بريطانيا، حيث أن الرجال الحريديم بإمكانهم أن يحددوا لأنفسهم أوقات أطول لاستكمال دراستهم التوراتية بناء على المساعدات الاقتصادية المعقولة التي تتلقاها أسرهم من الدولة البريطانية، وربما في الآونة الأخيرة حدثت بعض الثغرات في هذه

السياسات الاقتصادية، الأمر الذي ترك بصماته الملحوظة على قدرة الشباب الحريديم في استكمال دراستهم بشكل عام.

وعلى الرغم من ذلك، فقد بدا واضحا أنه على الرغم من انخفاض مستوى الدعم، فإن كثيرا من الرجال الحريديم الذين تزوجوا استمروا في نهج تلقي الدروس التوراتية، وليس لوقت قصير، حيث أن نموذج تلقي الدراسات التوراتية بشكل كامل يضرب بجذوره في أعماق المجتمع الحريدي، وما هو مطروح على الساحة في الوقت الحالي ليس استمرار وجود هذا النموذج، لكن الفترة الزمنية التي تخصص للدراسة، في ظل وجود قدر كبير من المرونة داخل المجتمعات الحريدية خارج إسرائيل فيما يتعلق بهذا الأمر، أما في إسرائيل فإنه في ظل الظروف القائمة فإن هذه "المرونة" ما تزال تقف على المحك.

وتجدر الإشارة إلى أن الفوارق بين الفترة الزمنية التي يخصصها الشباب الحريديم في لندن لتلقي دروسهم التوارتية تعود أيضا إلى فوارق ثقافية داخلية، ففي أوساط "الحسيديم" فترة الدارسة أقل بكثير من تلك التي عند الحريديم – الليتوانيين، فالحسيديم يكتفون بما بين عام حتى ثلاثة أعوام من الدراسة التوراتية، في حين أن الحريديم – الليتوانيين يخصصون ما بين ثلاث إلى خمس سنوات لذلك، وهذه الفجوة في عدد السنوات تعود إلى الفرق بين الجماعتين حول مفهوميهما الثقافي وحول الأهمية الدينية والاجتماعية للدراسة التوراتية، وكنتيجة لذلك فإن الحسيديم يسبقون الحريديم في الخروج إلى سوق العمل، وهذه الحقيقة أثرت بشكل كبير على مستوى الانخراط الكبير للطائفة الحريدية في منطقتي "ستامفورد – هيل" بلندن، و"أوترمونت" بمونتريال في سوق العمل.

وأيضا في بحثي في مدينتي "نيو يورك" و "لندن" ظهرت عدة شواهد متعلقة بالفروق داخل الطائفة الحسيدية المتعلقة بسنوات الدراسة التوراتية، فقد قيل لي أن الحسيديم يختصرون سنوات الدراسة بعد الزواج إلى عام أو عامين، وهناك من يختصرونها إلى أقل من ذلك، كما توجد فروق أيضا بين رجال الطائفة "الحسيدية" في كل من

أمريكا وبريطانيا، والسبب وراء ذلك شرحه لي أحد الذين أجريت معه مقابلة، حيث قال لي: "في أمريكا يتجه الحسيديم بسرعة نحو العمل، حيث أن هناك القليل من الضغوط للخروج إلى العمل بعد الزواج، فالحكومة تقدم المزيد من الدعم، فيقدمون إعانة السكن، وإعانة الدخل، فالدعم المادي الحكومي يمكن من التعلم لفترة طويلة من الوقت".

أما الحريديم "السفارديم" (اليهود ذوي الأصول الشرقية) فهم يتبوأون موقعا مهما فيما يتعلق بهذا الموضوع، فمن ناحية توجد تقاليد داخل "اليهودية الشرقية" تقول بالخلط بين الدراسة والعمل، بما في ذلك الدمج بين الدراسة المقدسة والدراسة العلمانية، ومن ناحية أخرى فقد تأثروا بشكل كبير خلال السنوات الأخيرة بتقاليد "اليشيفوت".

التوازن بين الدراسة التوراتية الكاملة والعمل:

يقدم هذا البحث سمات أنماط الرجال الحريديم، وفقا للتوازنات المختلفة التي يقيمونها بين الدراسة التوراتية الكاملة وبين العمل لإعالة أسرهم، في ظل استمرار الانخراط في عالم التوراة، وهذه السمات تم تقديمها بغرض إيضاح طابع المجتمع الحريدي في المنطقة مجال البحث بـــ"لندن"، ومن خلالها يمكن التعرف بشكل دقيق على التغييرات التي مر بها هذا المجتمع في الآونة الأخيرة، التي تعد حقا بمثابة حجر الزاوية لتقدير ما يحدث بالمجتمع الحريدي في إسرائيل، الذي يواجه صعوبات كبيرة في تقليد هذه الأنماط.

أنواع عمل الرجال الحريديم:

لا يوجد الكثير مما هو جديد في عالم عمل الرجال الحريديم، حيث ينحصر في العمل في أفرع التجارة والخدمات داخل الاقتصاد المحلي الحريدي، من جانب، وفي إعطاء الدروس الخصوصية من خلال المنظومة التعليمية الحريدية من جانب آخر، والذين يمثلان المجالين الرئيسيين للعمل بالنسبة للحريديم في منطقة "ستامفورد –هيل".

ومن خلال العمل في هذه المجالات على الرغم من أن مستويات أجورها منخفضة نسبيا، إلا أن الالتحاق بها يؤمن دخلا معقولا للكثير من الأسر الحريدية التي تعاني

من أزمات اقتصادية، لذلك نجد أن النساء الحريديات يخرجن أيضا إلى سوق العمل لكن بنسب قليلة، في ظل التزامهن برعاية الأطفال وشؤون المنزل، لذلك فقد بدا من الواضح أن الرجال الحريديم هم العنصر الأساسي في الطوائف الحريدية خارج إسرائيل الذي يخرج إلى سوق العمل وتقع على عواتقهم مسؤولية إعالة أسرهم.

مجتمع الدخل المنخفض:

إن مستوى الدخل المنخفض الذي يميز الطائفة الحريدية – الحسيدية في المنطقة مجال البحث، يوضح أن مستويات الفقر هناك ليست عميقة في ظل وجود نسبة عالية من العاملين وفي ظل التأييد المالي الخيري الذي تقدمه الدولة، إلا أن السبب الأساسي الذي يقف وراء انخفاض مستوى الدخل هو غياب أسس واضحة لإعادة التأهيل المهني والأكاديمي الذي من شأنه تحسين قدرات الحريديم في لندن. وهذا الأمر هو لب المشكلة التي يعاني منها المجتمع الحريدي – الحسيدي في لندن، ففي ظل غياب قدرات مهنية جيدة يضطر رجال الحريديم إلى للاكتفاء بأعمال تدر عليهم دخلا منخفضا نسبيا، وهناك نقطة أخرى تتمثل في عدم قدرة النساء على تحقيق أهدافهن داخل المجتمع الحريدي، فمعظم النساء تقوم بدور الأم وربة المنزل وتساهم بالقليل فقط في دخل الأسرة.

والطائفة الحريدية في لندن بشكل عام تواجه صعوبات اقتصادية بسبب أن المكلفين بإعالتها لا ينجحون في كسب أموال تلبي الاحتياجات المعيشية لهذا المجتمع صاحب الثقافة الدينية الخاصة.

دروس وسيناريوهات مستخلصة للمجتمع الحريدي في لندن:

يدل هذا البحث – في رأي – بشكل أساسي على أن الرجال الحريديم بدأوا في اتخاذ خطوات مهمة تجاه الموازنة بين التعلم بشكل كامل وبين الخروج إلى العمل، فهناك عدة نماذج لذلك تدل على أن هناك توازنا قويا ووثيقا بين الأمرين خلال السنوات الأخيرة، وربما يكون ذلك هو نقطة القوة الرئيسية للطائفة الحريدية التي تواجه في الوقت الحالي تحديا يتمثل في تزايد معدل ثقافة الاستهلاك، والمجتمع الحريدي على

المستويين العام والخاص سيضطر – فيما يبدو – إلى أن يهتم بهذا العامل عن أي عامل آخر ليحقق لنفسه أنواع من التوازنات الأخرى بين النماذج المختلفة التي تجمع بين الدراسة والخروج للعمل.

وفي الآونة الأخيرة ظهرت بعض الدلائل في إسرائيل التي تشير إلى أنه في أعقاب تخفيض موارد المنظومة الاقتصادية، من جانب، وتزايد ثقافة المجتمع الاستهلاكي "consumerism" داخل المجتمع الحريدي من جانب آخر، فإن عددا ممن ينتمون لـــ"مجتمع المتعلمين" ينخرط تدريجيًا إلى سوق العمل، سواء بشكل مباشر أو عن طريق التأهيل المهني أو الأكاديمي.

وإن أحد السيناريوهات المتوقعة داخل المجتمع الحريدي في إسرائيل هو عودة النموذج المنبني على أساس طبقة "المنقطعين للدراسة التوراتية" أو "التلميذ – الحاخام" الذين يحافظون على الثقافة الحريدية ويؤمنون مستقبلها إلى جانب جمهور الحريديم في الداخل، فمن خلال التغيرات التي طرأت بالآونة الأخيرة على مجتمع الحريديم من الممكن القول بأن المجتمع الحريدي في إسرائيل يسير نحو هذا الاتجاه، وبناء على هذه الدلائل الجديدة من الممكن استنتاج أن المجتمع الحريدي في إسرائيل بدأ في التحرك نحو وضع جديد لـــ"مجتمع المتعلمين والعاملين" مثلما هو الحال في المجتمع الحريدي في أمريكا الشمالية وغرب أوروبا، إلا أن ظروف الطائفة الحريدية في إسرائيل مختلفة بشكل ملحوظ، ومن أجل أن نتابع بشكل موضوعي مسألة الأنماط المتطورة في أوسط المجتمع الحريدي في إسرائيل وفحص موقعها من تغير المجتمع من مجتمع متعلمين إلى مجتمع متعلمين وعاملين، فإن أمثلة المجتمعات الحريدية في البلدان الغربية من الممكن أن تساعدنا في هذا الموضوع، وان ترسم لنا السيناريو المتوقع لهذه التحولات المنتظر حدوثها داخل المجتمع الحريدي في إسرائيل.

ملحق بأهم الأسماء والمصطلحات الواردة بالكتاب

الحريديم: مصطلح أصبح من الكلمات المألوفة في الخطاب اليومي في إسرائيل ويعني "يهودي أرثوذكسي" أو "يهودي متزمت دينياً" (متصوف). وكثيراً ما يُستخدَم في الصحافة الإسرائيلية والغربية بهذا المعنى. ومع هذا تشير الكلمة (بمعناها المحدد) إلى اليهود المتدينين من شرق أوروبا الذين يرتدون أزياء يهود شرق أوربا (المعطف الطويل الأسود والقبعة السوداء ويضيفون له الطاليت) ويرسلون ذقونهم إلى صدورهم وتتدلى على آذانهم خصلات من الشعر المقصوع. وهم لا يتحدثون العبرية على قدر استطاعتهم (باعتبارها لغة مقدَّسة) ويفضلون التحدث باليديشية. وتتميَّز عائلات الحريديم بزيادة عددها لأنهم لا يمارسون تحديد النسل، ولذا فأعدادهم تتزايد بالنسبة للعلمانيين الذين يحجمون عن الزواج والإنجاب.

الحسيديم: مصطلح يعني بالعبرية "الأتقياء"، وهي حركة دينية اجتماعية أسسها "إسرائيل بعل شيم طوف" ١٦٩٩-١٧٦١ وساعدت على ظهورها ظروف اليهود في شرق أوروبا بالقرن الـــ١٨ حيث وقع اليهود تحت الإضطهادات السياسية والكنسية، فقد كانت الظروف الداخلية في المجتمع اليهودي سيئة بعد فشل حركة "شبتاي" المسيحانية، وقد لجأ إلى حركة "الحسيديم" كل اليهود الين تأثروا بفشل الحركات اليهودية المسيحانية، وقد لقيت هذه الحركة معارضة شديدة من السلطات اليهودية الأرثوذكسية وذلك بسبب اتجاهها اللاهوتي الصوفي وإيمانها بوحدة الوجود، وقد تطورت هذه الحركة على يد "شنيئور زلمان" المتوفى ١٨١٣ والذي أسس حركة فلسفية عقلية داخل الحسيديم جذبت إليها علماء روسيا وليتوانيا من اليهود، وقد اعتمد الحسيديم على "القبالا" (أحد أهم كتب التصوف اليهودي) مع الاهتام الخاص بالخلاق والدين، ويهتمون بالموسيقى والغناء لدورهما في جذب الإنسان إلى الله، وتلعب شخصية (الصديق) أو البار التقي دورا هاما في حركة الحسيديم حيث يعد شخصا مختارا للتقوى والزعامة وتتم الرحلة إليه لطلب الحكمة والمشورة في السبت حيث

يجلس الحسيديم حول مائدة هذا الصديق في ملابس بيضاء ويبدأ الصديق في الغناء وبعد وجبة السبت يبدأ في شرح التعاليم الحسيدية ويترك بقايا من الطعام يحتفظ بها الحسيديم كتميمة تجلب الحظ السعيد، وينظر للوجبة مع الصديق على أنها أشبه بالمذبح أو الأضحية، وتعبر عن الانجذاب الصوفي من خلال النطق أو التفوه بألفاظ ويجلس الحسيديم في الظلام يستمعون إلى كلمات الصديسق ويغنون أغاني الوجد، وبعد الصلاة أو الوجبة يبدأ الحسيديم في الرقص يقودهم" الصديق" ويشارك معهم، وبعد موت الصديق تصنع خيمة وتوضع فوق قبره ويزورها آلاف الحسيديم في المناسبة السنوية لموته حيث يحتفلون بالشراب والبهجة، وكثير من الصديقين فقراء يوزعون المال الذي يتلقونه من الحسيديم على الفقراء وبعضهم يعيش في غنى فاحش أدى إلى تدهور الحركة وتحللها، إلا أنها ما تزال منتشرة رغم قلة عدد أتباعها وأعمالهم معروفة في الغرب بفضل الفيلسوف "مارتن بوبر" الذي اهتم بحكايات الحسيديم وطور فلسفة حسيدية تعرف بالفلسفة الجديدة، أثرت في العديد من اليهود والمسيحيين من خلاله كتابه "أنا وأنت" الذي تقوم فلسفته على أسس حسيدية.

اليشيفا، اليشيفوت: كلمة عبرية تعني حرفياً "الجلوس" وجمعها "اليشيفوت"، ويرجع استخدامها إلى نظام جلوس علماء الشريعة اليهود وتلاميذهم الذين كانوا يشاركون في تفسير ومناقشة الشريعة واستخراج التشريعات المختلفة، كما تشير الكلمة إلى مؤسسات تعليمية وُجدت بين التجمعات اليهودية في أزمنة وأماكن مختلفة. فهي تُستخدَم للإشارة إلى: ١ ــ مجالس الفقه والدراسة التي ظهرت في كلٍّ من فلسطين وبابل، والتي يُطلَق عليها في اليونانية والإنجليزية «الأكاديميات» وفي الآرامية «المثبتاه»، وهي المؤسسة التي تم من خلالها جَمْع التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي.
٢ ــ المدارس التلمودية العليا التي وُجدت بعد القرن الحادي عشر في معظم التجمعات اليهودية، وكان الطالب يلتحق بها بعد إتمامه الدراسة في المرحلة الأولية لدراسة التلمود والتفاسير المرتبطة به.

أي أن كلمة «يشيفا» تشير إلى مدلولين مختلفين ينتميان إلى أماكن وأزمنة مختلفة ويضطلع كل واحد منهما بوظائف مختلفة: الحلقة التلمودية والمدرسة التلمودية. فبينما تُعنَى الحلقة التلمودية بدراسة الفقه والإفتاء والقضاء مضافاً إليها الدراسة، فإن المدرسة التلمودية العليا مؤسسة تعليمية وتربوية. ولذا، فقد قمنا باستخدام مُصطلَحين مختلفين بدلاً من كلمة واحدة (أي «يشيفا») لنميز بين الظاهرتين. إلا أننا احتفظنا برابطة بينهما وهي كلمة «تلمودية». ومن ثم، فإننا نرى شكلاً من أشكال الاستمرار داخل إطار من التنوع والاختلاف. فالحلقات التلمودية هي الحلقات التي أصدرت الفتاوى والتفاسير التي تراكمت ثم جُمعت لتصبح المشناه فالجماراه وكلاهما عنصران يكوِّنان التلمود. فالحلقة «تلمودية» باعتبار أن أصول التلمود وتكوينه يعودان إليها. أما المدرسة التلمودية العليا، فهي «تلمودية» باعتبار أن التلمود يشكل جوهر الدراسة فيها.

السفارديم: مصطلح مأخوذ من الأصل العبري «سفارديم». ويُشار إلى السفارد أيضاً بكلمة «إسبانيولي»، وباليديشية بكلمة «فرانك» التي تشبه قولنا بالعربية «الفرنجة» (ومن هنا تسمية جيكوب فرانك، أي جيكوب السفاردي). و«سفارد» اسم مدينة في آسيا الصغرى تم ربطها بإسبانيا عن طريق الخطأ فتُرجمت الكلمة في الترجوم (الترجمة الآرامية لأسفار موسى الخمسة) إلى «إسباميا»، و«سباميا»، أما في البشيطا (الترجمة السريانية لأسفار موسى الخمسة) فهي «إسبانيا». وابتداءً من القرن الثامن الميلادي، أصبحت كلمة «سفارد» هي الكلمة العبرية المستخدمة للإشارة إلى إسبانيا. وتُستخدَم الكلمة في الوقت الحاضر للإشارة إلى اليهود الذين عاشوا أصلاً في إسبانيا والبرتغال، مقابل الإشكناز الذين كانوا يعيشون في ألمانيا وفرنسا ومعظم أوربا، لكن بعد قيام دولة إسرائيل أصبحت تطلق بنوع من التداخل على بشكل عام على المهاجرين اليهود ذوي الوصل الشرقية من آسيا وأفريقيا.

التوراة: كلمة من أصل عبري مشتقة من فعل «يوريه» بمعنى «يُعلِّم» أو «يوجِّه»، وربما كانت مشتقة من فعل «باراه» بمعنى «يُجري قرعة». ولم تكن كلمة «توراة»

ذات معنى محدد في الأصل، إذ كانت تُستخدَم بمعنى «وصايا» أو «شريعة» أو «علم» أو «أوامر» أو «تعاليم»، وبالتالي كان اليهود يستخدمونها للإشارة إلى اليهودية ككل، ثم أصبحت تشير إلى البنتاتوخ أو أسفار موسى الخمسة (مقابل أسفار الأنبياء وكتب الحكمة والأناشيد). ثم صارت الكلمة تعني العهد القديم كله، مقابل تفسيرات الحاخامات. ويُشار إلى التوراة أيضاً بأنها القانون أو الشريعة، ويبدو أن هذا قد تم بتأثير الترجمة السبعينية التي ترجمت كلمة «توراة» بالكلمة اليونانية «نوموس» أي «القانون». وقد شاع هذا الاستخدام في الأدبيات الدينية اليهودية حتى أصبحت كلمة «توراة» مرادفة تقريباً لكلمة «شريعة».

ومن ناحية أخرى، فإن المجال الدلالي للكلمة واسع للغاية، وقد أشار القبَّاليون (إحدى فرق المتصوفه اليهود) إلى التوراة الظاهرية والتوراة الباطنية أو توراة الخلق (بالآرامية: توراه دى بريئاه) وتوراة الفيض (بالآرامية: توراه دي أتسليوت). وتوراة الفيض هي التوراة التي يمكن أن يتوصل لها المفسرون العالمون بالقبَّالاه" التصوف اليهودي"، وهي مختلفة تماماً عن التوراة المتداولة بين اليهود ولها تعاليم وشرائع تقف الواحدة أحياناً على الطرف النقيض من الأخرى. وتُستخدَم كلمة «توراة» أيضاً للإشارة إلى سلوك أتقياء اليهود وأقوالهم باعتبارها «توراة». وقد جاء في التلمود أن حديث من يعيش في أرض الميعاد «توراة»، كما أن الحسيديين كانوا يقولون إن حديث بعل شيم طوف توراة، بل كذلك حديث وأفعال كل تساديك حسيدي يلتصق بالإله!

وتحتل التوراة، بمعنييها الضيق والواسع، مكاناً مركزياً في الوجدان الديني لليهود، فهي أقدم من هذا العالم، بها ولها خلق الإله الدنيا، وهي عروس الرب التي تجلس إلى جواره على العرش، والتي ستُزَف إلى الماشيَّح حينما يأتي إلى هذا العالم. ويُحتفَظ في المعبد اليهودي بـــ «تاج التوراة»، وبمؤشر من الذهب أو الفضة على شكل يد لاستخدامه في قراءة التوراة. ومن أقدس الأماكن في المعبد اليهودي، الدولاب المسمَّى «تابوت العهد» الذي يُحتفَظ فيه بلفائف الشريعة.

وتُستخدَم كلمة «توراة» كذلك للإشارة إلى كل التراث الديني اليهودي بقضه وقضيضه، وكل ما أوصى الإله به لجماعة يسرائيل، أو للعالم كله من خلال جماعة يسرائيل. وفي المصادر الكلاسيكية اليهودية لم يكن يشار إلى «اليهودية» وإنما إلى «التوراة»، بل لم يظهر مصطلح «يهودية» إلا في العصر الهيليني. ولكن، ورغم ترادف المصطلحين، فإن ثمة اختلافاً دقيقاً بينهما، فبينما تُستخدَم كلمة «توراة» للإشارة إلى الجوانب الإلهية الثابتة في العقيدة اليهودية، تستخدم كلمة «يهودية» للإشارة إلى الجوانب المتغيرة التاريخية، ومن هنا يمكن الحديث عن «اليهودية الحاخامية»، أو «اليهودية الإصلاحية»، ولكن لا يمكن الحديث عن «التوراة الحاخامية»، أو «التوراة الإصلاحية».

ويرى بعض علماء اليهود أن كلمة «توراة» هي، بالمعنى العام، المقابل لكلمة «لاهوت» في المسيحية، فلاهوت اليهودية هو التأمل في التاريخ اليهودي والتقاليد اليهودية، تماماً مثل اللاهوت المسيحي، ولكنه لاهوت معلمين وحاخامات وليس لاهوت كنيسة، جانبه الخارجي هو الهالاخاه، أي الشريعة، وجانبه الداخلي هو الأجاداه، أي القصص الوعظية، وكلاهما «توراة».

وتُستخدَم الكلمة أيضاً للإشارة إلى مخطوط أسفار موسى الخمسة المكتوب بخط اليد (لفائف الشريعة)، والذي يُحفَظ في تابوت العهد في المعبد اليهودي.

التلمود: كلمة مشتقة من الجذر العبري «لامد» الذي يعني الدراسة والتعلم كما في عبارة «تلمود توراه»، أي «دراسة الشريعة». ويعود كل من كلمة «تلمود» العبرية وكلمة «تلميذ» العربية إلى أصل سامي واحد. والتلمود من أهم الكتب الدينية عند اليهود، وهو الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية، أي تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة). ويخلع التلمود القداسة على نفسه باعتبار أن كلمات علماء التلمود كان يوحي بها الروح القدس نفسه (روح هقودش) باعتبار أن الشريعة الشفوية مساوية في المنزلة للشريعة المكتوبة. والتلمود مُصنَّف للأحكام الشرعية أو مجموعة القوانين

الفقهية اليهودية، وسجل للمناقشات التي دارت في الحلقات التلمودية الفقهية اليهودية حول المواضيع القانونية (هالاخاه) والوعظية (أجاداه). وقد أصبح التلمود مرادفاً للتعليم القائم على أساس الشريعة الشفوية (السماعية). ومن هنا، يطلق المسعودي (المؤرخ العربي الإسلامي) على سعيد بن يوسف اسم «السمعاتي» (مقابل «القرائي» أو من يرفض التراث السماعي ويحصر اهتمامه في قراءة التوراة المكتوبة).

وتتضح الخاصية الجيولوجية اليهودية في التلمود، فهو يضم داخله وجهات نظر شتى متناقضة تماماً، فهو عبارة عن موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتأملات الميتافيزيقية والتاريخ والآداب والعلوم الطبيعية. كما يتضمن، علاوة على ذلك، فصولاً في الزراعة وفلاحة البساتين والصناعة والمهن والتجارة والربا والضرائب وقوانين الملكية والرق والميراث وأسرار الأعداد والفلك والتنجيم والقصص الشعبي، بل ويغطي مختلف جوانب حياة اليهودي الخاصة، أي أنه كتاب جامع مانع بشكل لا يكاد يدع للفرد اليهودي حرية الاختيار في أي وجه من وجوه النشاط في حياته العامة أو الخاصة، إن هو أراد تطبيق ما جاء فيه. ويشيرون إلى التلمود بعبارة «كلٌّ بو» (أي: كلٌّ به)، فهو يشتمل على كل ما يَعنُّ لليهودي أن يسأل عنه من شريعة دينه.

والواقع أن التلمود ليس من الكتب الباطنية أو تلك التي تحيط بها هالة من السرية والغرابة والإخفاء (كما يتوهم البعض). وهناك نسخ منه في معظم المكتبات الجامعية المتخصصة في الولايات المتحدة وفي بعض مكتبات مراكز البحوث أو الجامعات في الدول العربية. ويُلاحَظ أن التلمود كتاب ضخم متعدِّد الأجزاء، مجلداته كثيرة وضخمة تصل في بعض الطبعات إلى ما يزيد على عشرين مجلداً. لكن هناك طبعة «إفري مانز تلمود Everyman's Talmud» المختصرة.

وهناك تلمودان:

١ ــ التلمود "الأورشليمي" الفلسطيني: وينسبه اليهود خطأً إلى أورشليم (القدس) فيقولون «الأورشليمي»، ذلك مع أن القدس خلت من المدارس الدينية بعد هدم الهيكل

الثاني، وانتقل الحاخامات إلى إنشاء مدارسهم في يفنه وصفورية وطبرية. كما أطلق يهود العراق على التلمود الفلسطيني اسم «تلمود أرض يسرائيل»، وأطلقوا عليه أحياناً اسم «تلمود أهل الغرب» نظراً لوقوع فلسطين إلى الغرب من العراق.

٢ ــ التلمود البابلي: وهو نتاج الحلقات التلمودية (أكاديمية – يشيفا) في العراق (بابل)، وأشهرها سورا ونهاردعه وبومبديثا. ويُعرَف هذا التلمود في حالات نادرة جداً باسم «تلمود أهل الشرق».

وكلا التلمودين مُكوَّن من المشناه والجماراه. والمشناه في كل منهما واحد لا اختلاف بينهما، أما الجماراه فاثنتان: إحداهما وُضعت في فلسطين، والأخرى في العراق. ولما كانت الجماراه البابلية أكمل وأشمل من الجماراه الفلسطينية، فإن التلمود البابلي هو الأكثر تداولاً، وهو الكتاب القياسي عند اليهود. ولذا، فحين يُستخدَم لفظ «التلمود» بمفرده، محلَّى بأداة التعريف، فإن المقصود به هو التلمود البابلي دون سواه، وذلك على أساس الميزة والأفضلية والتفوق. وفي الكتابات العلمية، يشير اللفظ إلى الجماراه وحدها. ويضاف عادةً تعليق راشي على التلمود عند طبعه، وإن كان هذا التعليق لا يُعَدُّ جزءاً منه. ويبلغ عدد كلمات التلمود البابلي مليونين ونصف مليون كلمة في نسخته الأصلية (تشكل الأجاداه ٣٠% منها)، وعلى هذا فإن حجمه يبلغ ثلاثة أضعاف حجم التلمود الفلسطيني. وقد كُتب التلمود بأكثر من لغة، فالمشناه كُتبت بعبرية خاصة تُسمَّى عبرية المشناه، أما الجماراه فكُتبت بالآرامية (كُتبت الجماراه الفلسطينية باللهجة الآرامية الغربية، أما الجماراه البابلية فكُتبت باللهجة الآرامية الشرقية). وتتسم الشروح الواردة في التلمود الفلسطيني بأنها أقصر وأكثر حرفية وقرباً من النص.

ويُلاحَظ أن بعض المفاهيم القانونية في التلمود البابلي تعكس أثر القانون الفارسي. كما أن التلمودين مختلفان في بعض المواطن، فيُلاحظ مثلاً أن الموقف من الوثنيين في التلمود البابلي أكثر تسامحاً لأن وضع اليهود في بابل كان جيداً، فقد جاء في التلمود البابلي أن الأغيار خارج فلسطين لا يمكن اعتبارهم من الوثنيين. وبينما يُحرِّم

التلمود الفلسطيني بيع أية سلع للوثنيين في الأيام الثلاثة التي تسبق أي عيد وثني، فإن علماء بابل حرموا البيع في أيام العيد الوثني وحسب.

ومن أهم التطورات التي دخلت الشريعة اليهودية ما جاء في التلمود البابلي من أن: «شريعة الدولة هي شريعتنا»، بل قد ورد في التلمود البابلي دعاء خاص يُتلى أمام ملوك الأغيار ويطلب لهم البركة، نصه: "مبارك هو الذي منح مخلوقاته شيئاً من جلاله".

النكبة (الهولوكوست): كلمة يونانية تعني "حرق القربان بالكامل" وهي بالعبرية «شواه»، وتُترجَم إلى العربية أحياناً بكلمة "المحرقة" أو "النكبة". وتُستخدَم كلمة «هولوكوست» في العصر الحديث عادةً للإشارة إلى إبادة اليهود، بمعنى تصفيتهم جسدياً، على يد النازيين.

كاشير: كلمة عبرية تعني حرفياً "مناسب" أو "صالح"، وفي الفقه اليهودي تعني "الطعام المباح شرعاً".

ليلة رأس السنة العبرية "روش هاشناه": عيد رأس السنة اليهودية» هو عيد "روش هشّاناه" بالعبرية، أي "رأس السنة". وهو عيد يُحتفَل به لمدة يومين في أوّل تشري (سبتمبر/أكتوبر). وقد ورد في المشناه أربعة أيام أخرى باعتبارها "رأس السنة":

١ ــ أوّل نيسان: أول العام وهو لتحديد حكم الملوك العبرانيين، ولتحديد الأعياد (التقويم الديني). ولذا، فإن اعتلى ملك العرش في شهر آدار،وهو آخر شهور التقويم الديني، فإن الشهر الذي يليه يشكل العام الثاني من حكمه.وعيد الفصح حسب هذا التقويم أوّل أعياد السنة،وليس عيد رأس السنة. ويذكر التلمود أن أوّل نيسان هو أيضاً رأس السنة لشراء القرابين بالشيقل التي يتم جمعها في آدار.

٢ ــ أوّل إيلول: هو أوّل العام لدفع عشور الحيوانات، إذ كانت تُدفَع العشور عن الماشية التي تُولَد بين أوّل إيلول وآخر آف.

٣ ــ أوّل تشري: أوّل العام المدني، وتتضمن أيضاً حساب حكم الملوك الأجانب، ولحساب السنة السبتية، وعام اليوبيل. ويُحرَّم الزرع والحصاد منذ أوّل هذا الشهر. كما يُعَدُّ تشري رأس السنة من الناحية الدينية. ويرى بعض الحاخامات أن أوّل تشري هو رأس السنة بالنسبة إلى دفع عشور الحيوانات أيضاً، وبالتالي فلا يوجد سوى ثلاثة رؤوس للسنة حسب هذا الرأي.

٤ ــ أوّل شفاط (أو منتصف شفاط): رأس السنة للأشجار باعتبار أنه في ذلك اليوم تسـقط أكـبر كمية من الأمطار حسبما ورد في التلمود.

ومع ذلك، فإن اليهود لا يحتفلون إلا برأس السنة التي تقع أول تشري، وهي وحدها التي يُشار إليها باسم «روش هشّاناه».

وليس لعيد رأس السنة ذكرى تاريخية معيَّنة، كما أنه لا يُعتبَر أهم من الأعياد اليهودية الأخرى. ومع هذا، فقد اكتسب هذا العيد دلالة دينية وقدسية خاصة. فلقد جاء في المشناه أنه اليوم الذي بدأ فيه الإله خلق العالم (ولكن، حسب رواية أخرى، بدأ خلق العالم في نيسان)، وهو اليوم الذي تمر فيه المخلوقات كقطيع الغنم أمام الإله. ومن ثم، فعلى اليهودي أن يحاسب نفسه في هذا اليوم عما ارتكبه من ذنوب (وفي هذه الشعائر أصداء بابلية). وعيد رأس السنة أوّل أيام التكفير التي يبلغ عددها عشرة، والتي تنتهي بأقدس يوم لدى اليهود على الإطلاق، وهو يوم الغفران (يوم كيبور). ويُحيِّي اليهود بعضهم بعضاً في عيد رأس السنة اليهودية بقولهم: « فليُكتب اسمك هذا العام في سجل الحياة السعيدة ». ومن أهم طقوس ذلك اليوم النفخ في النفير (شوفار)، حيث ينفخون فيه بثلاثة أصوات مختلفة لكل صوت منها دلالته الخاصة. وهم في هذا اليوم أيضاً، يرتدون الثياب البيضاء أثناء الصلاة.

ويرتبط كثير من التقاليد اليهودية بهذا العيد، فمثلاً تُجهز أطباق من الطعام ذات دلالة معيَّنة، كالخبز والتفاح المغموس في العسل، والذي يؤكل مع تلاوة صلوات تعبِّر عن الأمل في سنة حلوة قادمة، أو يُقدَّم رأس حيوان حتى يكون المرء هو الرأس دائماً ولا

يكون الذنب أبداً. أما في اليوم التالي من العيد، فلابد له أن يذوق فاكهة جديدة لم يسبق له أن أكلها طوال الموسم الماضي. وهناك تقليد يُتَّبع أيضاً في هذا العيد، إذ يذهب اليهود عصر ذلك اليوم إلى الأنهار، أو أي مكان فيه مياه جارية، ليتلوا الصلوات ويُلقوا خطايا العام المنصرم إلى المياه لتحملها بعيداً، وبذلك يبدأون العام الجديد بلا ذنوب. ويُقال أيضاً في تفسير هذا التقليد إن أسماك الأنهار وعيونها المفتوحة دائماً تُذكِّر الناس بعين الإله الساهرة التي لا تغفل عن مراقبة مخلوقاته (هذه عادة شائعة بصفة خاصة بين الجماعات الإشكنازية، وهي ترجع إلى القرن الرابع عشر وتُسمَّى «تشليخ»). ومن الجدير بالذكر أن رأس السنة اليهودية هو العيد الوحيد الذي يُحتفَل به في إسرائيل لمدة يومين على التوالي. وقد بدأت حركات تحرير المرأة بين اليهود في القيام باحتفال «تشليخ» مقصور على النساء اليهوديات وحدهن دون الرجال.

الناحال: هو اختصار للعبارة العبرية "نوعر حالوتس لوحم" أي الشباب الطليعي المحارب، وهو عبارة عن سلاح مكون أغلبه من الشباب تكمن مهمته الرئيسية في الاستيلاء على الأراضي الفضاء وإعادة إصلاحها و اعمارها وإعدادها لاستقدام المستوطنين اليهود إليها.

"**هجاناه**": كلمة عبرية تعني "الدفاع"، وهي منظمة عسكرية صهيونية استيطانية، أُسِّست في القدس عام ١٩٢٠ لتحل محل منظمة الحارس. وجاء تشكيلها ثمرة نقاشات طويلة بين قيادة التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، فكان جابوتنسكي صاحب فكرة تأسيس مجموعات عسكرية يهودية علنية تتعاون مع سلطات الانتداب البريطاني، بينما كان قادة اتحاد العمل والماباي يفضلون خلق قوة مسلحة غير رسمية مستقلة تماماً عن السلطات البريطانية وسرية بطبيعة الحال. وقد قُبل في النهاية اقتراح إلياهو جولمب بإنشاء منظمة عسكرية سرية تحت اسم «هاجاناه وعفودا» أي «الدفاع والعمل» ثم حُذفت كلمة العمل فيما بعد. وقد ارتبطت الهاجاناه في البداية باتحاد العمل ثم بحزب الماباي والهستدروت، رغم أن ميثاقها كان يصفها بأنها فوق

الحزبية، وأنها عصبة للتجمع الاستيطاني الصهيوني. وعَكَس نشاط الهاجاناه الارتباط الوثيق والعضوي بين المؤسسات الصهيونية الاستيطانية والمؤسسات العسكرية والزراعية التي تهدف إلى اقتحام الأرض والعمل والحراسة والإنتاج، وإن كان اهتمامها الأساسي قد انصب على العمل العسكري. وفي عام ١٩٢٩، شاركت الهاجاناه في قمع انتفاضة العرب الفلسطينيين، وقامت بالهجوم على المساكن والممتلكات العربية ونظَّمت المسيرات لاستفزاز المواطنين العرب وإرهابهم. كما ساهمت في عمليات الاستيطان، وخصوصاً بابتداع أسلوب «السور والبرج» لبنـــاء المســـــتوطنات الصهيونية في يوم واحد. وبالإضـــافة إلى ذلك، قامت الهاجاناه منذ تأسيسها بحماية المستعمرات الصهيونية وحراستها.

وقد تعرَّضت الهاجاناه لعدة انشقاقات كان أبرزها عام ١٩٣١ عندما انشق جناح من غير أعضاء الهستدروت بقيادة أبراهام تيهومي وكوَّن تنظيماً مستقلاً سُمِّي «هاجاناه ب.»، وهو الذي اندمج مع منظمة بيتار في العام نفسه لتشكيل منظمة إتسل. ولم تتوقف عمليات الصراع والمصالحة بين الهاجاناه والجماعات المنشقة عنها، واستمر الخلاف بشكل مستتر حتى بعد قيام الدولة.

وقد شَهدت سنوات الانتفاضة العربية في فلسطين (١٩٣٦ ــ ١٩٣٩) تعاوناً كبيراً بين الهاجاناه وقوات الاحتلال البريطاني، وبرز التعاون بخاصة مع تعيين تشارلز وينجيت ضابطاً للمخابرات البريطانية في فلسطين عام ١٩٣٦، حيث أشرف على تكوين الفرق الليلية الخاصة والسرايا المتحركة التابعة وتنسيق الأنشطة بين المخابرات البريطانية وقســم المخابرات بالهاجاناه والمعروف باســـم «الشـــاي». وفي الوقت نفسه، تعاونت القوات البريطانية والهاجاناه في تشكيل شرطة حراسة المستوطنات اليهودية والنوطريم، وكان معظم أفرادها من أعضاء الهاجاناه. وقد مرت العلاقة بين الطرفين بفترة توتر قصيرة في أعقاب صدور الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ حيث واجهته الهاجاناه بتشجيع الهجرة غير الشرعية لليهود، إلا أن نشوب الحرب العالمية الثانية أدَّى إلى استعادة علاقات التحالف القديمة، إذ اعتبرها الصهاينة

بمنزلة فرصة لاستغلال التناقضات بين الأطراف المتصارعة وتحقيق مشروعهم المتمثل في إقامة الدولة الصهيونية. وهكذا وقفت الهاجاناه إلى جانب بريطانيا والحلفاء وانضم كثير من أعضائها إلى اللواء اليهودي للقتال في صفوف القوات البريطانية، وتصدت بشدة للجماعات الصهيونية الأخرى التي طالبت آنذاك بالانضمام إلى النازي وفي مقدمتها منظمة ليحي، بل أمدت السلطات البريطانية بما تحتاجه من معلومات لتَعقُّب عناصر تلك المنظمة واعتقالها. وفي المقابل، ساعدت بريطانيا في إنشاء وتدريب القوة الضاربة للهاجاناه المسماة «البالماخ»، كما نظمت فرقة مظليين من بين أعضاء الهاجاناه للعمل في المناطق الأوربية التي احتلتها قوات النازي. ومع انتهاء الحرب، تَفجَّر الصراع من جديد فشاركت الهاجاناه مع ليحي وإتسل في عمليات تخريب المنشآت البريطانية ونسف الكباري وخطوط السكك الحديدية وهو ما أُطلق عليه «حركة المقاومة العبرية» كما نشطت من جديد جهود الهاجاناه في مجال الهجرة غير الشرعية.

وقبيل إعلان قيام دولة إسرائيل، كان عدد أعضاء الهاجاناه يبلغ نحو ٣٦,٠٠٠ بالإضافة إلى ٣٠٠٠ من البالماخ، كما اكتمل بناؤها التنظيمي، الأمر الذي سهّل عملية تحويلها إلى جيش موحد ومحترف للدولة الصهيونية، حيث أصدر بن جوريون في ٣١ مايو ١٩٤٨ قراراً بحل الإطار التنظيمي القديم للهاجاناه وتحويلها إلى جيش الدفاع الإسرائيلي. ولا شك في أن حجم الهاجاناه واتساع دورها بهذا الشكل يبين أهمية المؤسسة العسكرية لا في بناء إسرائيل فحسب بل في اتخاذ القرارات المتعلقة بمختلف المجالات فيها أيضاً.

منظمة "البلماح": اختصار للعبارة العبرية "بلوجوت ماحاتس"، أي «سرايا الصاعقة»، وهي القوات الضاربة للهاجاناه التي شُكِّلت عام ١٩٤١ لتعمل كوحدات متقدمة وقادرة على القيام بالمهام الخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية، وذلك بالإضافة إلى إمداد الهاجاناه باحتياطي دائم من المقاتلين المدربين جيداً. ويُعَدُّ يتسحاق ساريه مؤسسها الفعلي وأول من تولى قيادتها.

الجيتو: هـو الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القوميـة. ولكن التسـمية أصبحت مرتبطـة أسـاساً بأحياء اليهود في أوربا. وللكلمة معنيان: عام وخاص. يعني الجيتو بالمعنى العام أي مكان يعيش فيه فقراء اليهود دون قسر من جانب الدولة، أو حي اليهود بشكل عام. ويعود تاريخ هذه الجيتوات إلى الإمبراطورية اليونانية والرومانية. أما الجيتو بالمعنى الخاص الذي أصبح شائعاً، فيعني المكان الذي يُفرَض على اليهود أن يعيشوا فيه، وقد استُخدمت الكلمة بهذا المعنى للإشارة إلى جيتو البندقية (عام ١٥١٦). وأصل الكلمة غير معروف على وجه الدقة، فيُقال إنها حي اليهود في البندقية نسبة إلى «فلجيتو villgetto» أو «مصنع المدافع» الذي أقيم بجواره. ويُقال أيضاً إن الكلمة مشتقة من الكلمة الألمانية «جهكتر أورت Geheckter Ort» التي تعني «المكان المحاط بالأسوار»، أو هي من الكلمة العبرية «جت» أو «جيط» بمعنى «الانفصال» أو «الطلاق» الواردة في التلمود. وربما كان أكثر الافتراضات قرباً من الواقع هو ذلك الذي يعود بالكلمة إلى لفظة «بورجيتو» الإيطالية التي تعني القسم الصغير من المدينة، أي أن كلمتي «جيتو» و«بورجوازية» مشتقتان من أصل واحد. ومن أسماء الجيتو الأخـرى في ألمانيـا: «يودين شـتراس Judenstrasse» أي «شـارع اليهود»، أو «يودين جاسي Judengasse» أو «جاسي Gasse» فقط، أي «حارة اليهود»، أو «يودين فيرتيل Judenviertel»، أي «حي اليهود». وفي البرتغال سُمِّي الجيتو «جوديا Judiaria» وفي فرنسا سُمِّي «جويفيري Juiverie»، وفي إيطاليا سُمِّي «جيديكا Guidecca»، وسُمِّي بالإنجليزية «جوري Jewry». وكلها كلمات تصف اليهود باعتبارهم كتلة. والشتتل (أي المدن اليهودية الصغيرة في أوكرانيا وغيرها من بلاد شرق أوربا) هو أحد أشكال الوجود الجيتوي وأهمها على الإطلاق من منظور تاريخ الصهيونية والمسألة اليهودية في شرق أوربا، وتورد بعض المراجع اسم «حارة اليهود» باعتباره شكلاً من أشكال الجيتو في مصر. ولكن حارة اليهود لا تختلف عن أية حارة أخرى في مصر، مثل: حارة النحاسين وحارة النصارى وحارة الروم

ودرب البرابرة، وغير ذلك كثير. ولعل ظاهرة الجيتو لم تظهر في العالم الإسلامي، إلا في المغرب في أحياء «الملاح» التي كان اليهود يُعزَلون داخلها في مراحل تاريخية كانت تتسم بالتوتر. والواضح أن عدم انتشار ظاهرة الجيتو في المجتمع الإسلامي راجع للبنية التاريخية والدينية والاقتصادية لهذا المجتمع ولموقف الإسلام من الأقليات.

وفي العصور الحديثة، اكتسبت كلمة «جيتو» في اللغات الأوربية معنى قدحياً سلبياً (وحينما دخلت الكلمة العربية جاءت وهي تحمل الدلالات السلبية المرتبطة بها). ولكن الأمر لم يكن كذلك دائماً. ولفهم تَطوُّر معنى الكلمة، لابد أن نضع الظاهرة في إطار تاريخي وإنساني عام. ولكن، قبل استعراض تاريخ الجيتو ثم بنيته، يجب التنبيه إلى أنه لا يوجد مسار تاريخي واحد لمثل هذه الظاهرة، وخصوصاً بعد القرن الخامس عشر الميلادي مع بداية ظهور التشكيلات القومية الغربية المختلفة ومع اختلاف معدلات العلمنة والتحديث والثراء والفقر والصراع الطبقي فيها. ومع هذا، سنحاول أن نقدم مخططاً عاماً آملين أن نقدم بعض السمات العامة التي تساعد على فهم الظاهرة دون أن نتجاهل قدر الإمكان عناصر التعاقب التاريخي أو السمات الخاصة للجيتوات المختلفة.

اللغة اليديشية: هي ليست لغة أساساً، وتُسمَّى كذلك تجاوزاً، فهي لهجة ألمانية تُكتَب بحروف عبرية، وهي لغة اليهود الإشكناز في شرق أوربا منذ العصور الوسطى حتى العصر الحديث (ومن ثم أطلقنا عليهم اسم «يهود اليديشية»). وثمة نمط لغوي يتكرر بين أعضاء الجماعات اليهودية في العالم، فهم عادةً يتحدثون لغة البلد الذي يعيشون فيه بعد أن تصطبغ بصبغة عبرية خفيفة إذ تدخل مفرداتها هذه اللغة. ثم ينتقل أعضاء الجماعة من وطنهم هذا حاملين معهم لهجتهم، ويحتفظون بها حتى بعد أن تكون قد اختفت في البلد الأصلي. واليديشية تنتمي إلى هذا النمط.

ظهرت اللغة اليديشية في الفترة بين عامي ١٠٠٠ و١٣٥٠، حين تبنَّى أعضاء الجماعة اليهودية ألمانية العصور الوسطى، أي لغة الشعب الذي كانوا يعيشون بين ظهرانيه، ولكنهم في الوقت نفسه كانوا في حاجة إلى مصطلح خاص بهم للتعبير عن نمط حياتهم الخاصة كجماعة وظيفية وسيطة تعمل في حرف خاصة مثل التجارة والربا. ولذلك، فقد استخدموا بعض مفردات العبرية والآرامية (وهما لغتا التراث الديني اليهودي، إذ أن التلمود مكتوب بالآرامية)، خصوصاً أن نواة الجماعة اليهودية في ألمانيا جاءت من شمال فرنسا وشمال إيطاليا حيث كانوا يتحدثون رطانة فرنسية خاصة بهم أُطلق عليها اسم «لعز». ومن هنا، نشأ ذلك الخليط اللغوي الذي أُطلق عليه في بادئ الأمر «يوديش دويتش»، أي «ألماني يهودي»، ولكن الكلمة حُرِّفت وأصبحت «يديش تايتش»، ثم أصبح يطلق عليها «يديش»، ونترجمها نحن فنقول «اليديشية». ولم تكن هناك في بادى الأمر أية فروق بين ألمانية العصور الوسطى واليديش تايتش، إلا في بضع كلمات وعبارات عبرية والمزيد من التحريف الصوتي في نطق الكلمات الألمانية أو العبرية.

وحينما هاجرت أعداد من يهود ألمانيا إلى أوربا الشرقية، حملوا لهجتهم الألمانية معهم. وحينما استقر أعضاء الجماعة اليهودية في بولندا، تم توطينهم ضمن العناصر الألمانية التجارية، أي أنهم وُطِّنوا كألمان. ولم يتبنوا اللغة البولندية في وطنهم السلافي الجديد نظراً لتفوق ألمانيا حضارياً وبسبب التنظيم الإقطاعي الصارم الذي عزلهم عن بقية المجتمع. وكان يهود بولندا، في القرن السادس عشر، يشيرون إلى اللغة التي يتحدثون بها على أنها «الألمانية». وفي البيئة الجديدة، دخلت كلمات وتراكيب لغوية سلافية على اليديشية، ساهمت في إبعادها عن الأصل الألماني وفي استقلالها نسبياً عن الألمانية. ومع هذا، ظلت «اللغة اليديشية» لهجة ألمانية ساهمت في الحفاظ على التوجه «الألماني» ليهود شرق أوربا.

الجمارا: كلمة آرامية تعني «التتمة» أو «التكملة» أو «الدراسة». وهي عبارة عن التعليقات والشروح والتفسيرات التي وضعها على المشناه الفقهاء اليهود الذين يسمَّون

بالشراح (أمورائيم) في الفترة ٢٢٠ ــ ٥٠٠م. وهي تأخذ عادةً شكل أسئلة وأجوبة. وتُعَدُّ الجماراه جزءاً من الشريعة الشفوية. لكن تسميتها بالجماراه، أي «المكملة»، هي من قبيل المجاز، فالشراح لم يكتفوا بالتفسير والتوضيح فحسب، بل قاموا بالتعديل حتى تطابق المشناه ظروف الزمان والمكان، أي أنهم فعلوا بالمشناه ما فعله رواة المشناه بالعهد القديم. وكما أن المشناه أطول من العهد القديم، فإن الجماراه أطول من المشناه. وهناك جماراتان إحداهما فلسطينية والأخرى بابلية. ويبلغ عدد كلمات الأولى نحو ثلث عدد كلمات الثانية.

طاليت: "شال الصلاة" ترجمة لكلمة العبرية التي قد تكون مستعارة من كلمة يونانية بمعنى «سرق». وتُستخدَم الكلمة في التلمود والمدراش بمعنى "ملاءة" أو أي رداء يشبه الملاءة. وشال الطاليت مستطيل الشكل، عادةً تكون نسبة طوله إلى عرضه ٩: ٨ تقريباً. والضلعان الأصغران للشال محلَّيان بالأهداب (تسيت تسيت). وعادةً ما يختار المصلون شالاً يصل إلى تحت الركبة. وكانت الأهداب زرقاء في العادة، ولكن خلافاً نشأ بين الحاخامات بشأن اللون الأزرق ودرجة الزرقة، فتقرَّر أن يكون اللون أبيض. ومع هذا، هناك دائماً خطوط زرقاء أو سوداء في أطراف الشال (والأبيض والأزرق هما لونا عَلَم الدولة الصهيونية). ويكون هذا الشال عادةً من الصوف أو الكتان، ولكن الحرير كثيراً ما يُستخدَم، وخصوصاً بين الأثرياء، في الماضي وفي العصر الحديث. كما كان شال الكهنة يُوشَّى في الماضي بخيوط من الذهب، ولكن هذا الأمر أصبح الآن مقصوراً على أثرياء اليهود. وكذلك هناك أنواع من شيلان الصلاة السوداء في اليمن، والملونة في المغرب. وكان اليهود يرتدون الشال طيلة اليوم قبل التهجير البابلي، ليقيهم شر الحر. ولكن، بعد التهجير البابلي، وبعد انتشار اليهود في أنحاء العالم، تأثر اليهود بالمحيط الحضاري الذي يعيشون فيه، وأصبح الشال رداءً دينياً وحسب. ويرتدي الذكور الشال أثناء صلاة الصبح، وفي كل الصلوات الإضافية، إلا في التاسع من آب حيث يرتدونه أثناء صلاة الظهيرة أيضاً.

كما يرتدونه في كل صلوات عيد يوم الغفران، وخصوصاً في دعاء كل النذور، ليُذكِّرهــم ذلك بأوامر ونواهــي العهــد القديم. ويباح للصبية ارتداؤه بشروط معيَّنة.

وقبل أن يرتدي اليهودي الطاليت، يتلو الدعاء التالي: "مبارك أنت يا إلهنا، ملك الدنيا، يا من قدستنا بوصاياك العشر، وأمرتنا أن نلف أنفسنا بالرداء ذي الأهداب". ويوضع الطاليت، أولاً على الرأس، ثم توضع أطرافه الأربعة على الكتف الأيسر على طريقة الإسماعيليين (بالعبرية: عطيفات يشماعيليم)، والإسماعيليون هم العرب. وبعد وقفة قصيرة يدَعون الأطراف الأربعة تأخذ وضعها الطبيعي، فيتدلى طرفان من كل جانب. وعلى المصلي أن يرتدي شال الصلاة قبل أن يضع تمائم الصلاة (تفيلين). وكان من عادة اليهود المغالين في تدينهم أن يرتدوا الشال والتمائم قبل الذهاب إلى المعبد ويسيروا بها في الطريق.

التيفيلين: تميمة الصلاة هي المقابل العربي لكلمة "تفيلِّين"، وهي صيغة جمع مفردها "تفيلاه". وربما تكون الكلمة قد اشتُقت من كلمة آرامية بمعنى «يربط». ولأن كلمة "تفيَّلاه" تعني "صلاة"، فقد ارتبطت الكلمتان في الوجدان الشعبي وأصبح من المألوف أن يُقال إن كلمة "تفــيَّلاه" بمعنى "صــلاة" هــي الأصــــل اللغـــوي لكلمة "تفيلين". وقد ذكر البعض أن الكلمة مشتقة من كلمة عبرية بمعنى "يفضــل" أو "يميـــز"، وهــو ما يدل على انفصال اليهود وانعزالهم عن الأغيار. وتميمة الصلاة عبارة عن صندوقين صغيرين من الجلد يحتويان على فقرات من التوراة، من بينها الشماع أو شهادة التوحيد عند اليهود كُتبت على رقائق ويُثبَّت الصندوقان بسيور من الجلد. ويبدو أن هذه التميمة تعود إلى تورايخ قديمة، بعضها يتفق مع الشكل الحالي، وبعضها لا يتفق، مثل تلك التي وُجدت في كهوف قمران. وقد نشب صراع في القرن الثامن عشر بين فقهاء اليهود حول طــريقة ارتـــداء هــذه التمائم، وأُخذ برأي راشي في نهاية الأمر.

وقد نجح الفقه اليهودي في فرض هذه التميمة بتفسيره الفقرة التالية من سفر التثنية تفسيراً حرفياً: "واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك" (تثنية ٦/٨). ولذا، يثبتها اليهودي البالغ حسب الترتيب التالي: يضع الصندوق الأول على ذراعه اليسرى ويثبته بسير من جلد يُلَف على الذراع ثم على الساعد سبع لفات ثم على اليد، ويُثبَّت الصندوق الثاني بين العينين على الجبهة بسير أيضاً كعصابة حول الرأس، ثم يعود ويتم لف السير الأول ثلاث لفات على إصبع اليد اليسرى، ويُزال بعد الصلاة بالنظام الذي وُضع به. ويرتدي اليهودي تمائم الصلاة بعد ارتدائه شال الصلاة (طاليت). ويُلاحَظ أن ترتيب ارتداء تميمة الصلاة عند السفارد مختلف نوعاً ما عن ترتيبه عند الإشكناز. فيلف الإشكناز على الذراع عكس اتجاه الساعة، أما السفارد فيلفونه باتجاه الساعة، وقد تبعهم في ذلك الحسيديون. وتُرتَدى التميمة أثناء صلاة الصباح خلال أيام الأسبوع، ولا تُرتَدى في أيام السبت والأعياد. ويؤكد التلمود أهمية تميمة الصلاة، فقد جاء أن الإله نفسه يرتديها حينما يسمع الفقرة التالية من سفر أخبار الأيام الأول (٢١/١٧) "وأية أمة على الأرض مثل شعبك يسرائيل".

أما القبَّالاه(التصوف اليهودي)، فقد حولت شعائر ارتداء التمائم إلى تجربة صوفية حلولية، إذ على اليهودي أن يقول "لقد أمرنا أن نرتدي التمائم على ذراعنا تذكرةً لنا بذراعه الممتدة، وفي مقابل القلب حتى يعلمنا أن نخضع تطلعات قلوبنا ولخدمته، وعلى الرأس في مقابل المخ ليعلمنا أن العقل،الذي يوجد في المخ،وكل الحواس والملكات،تخضع لخدمته".ويرى اليهودي أن تميمة الصلاة عاصم من الخطأ، ومُحصِّن ضد الخطايا. وإذا حدث ووقعت التمائم على الأرض، فينبغي على اليهودي أن يصوم يوماً كاملاً. وقد أسقطت اليهودية الإصلاحية استخدام التمائم. وقال جايجر إنها كانت في الأصل حجاباً وثنياً.

الصدوقيون: مأخوذة من الكلمة العبرية "صدّوقيم"، ويُقال لهم أحياناً "البوئيثيون Boethusian". وأصل الكلمة غير محدَّد. ومن المحتمل أن يكون أصل الكلمة اسم الكاهن الأعظم "صادوق" (في عهد سليمان) الذي توارث أحفاده مهمته حتى عام ١٦٢

ميلادية. و"الصدوقيون" فرقة دينية وحزب سياسي تعود أصوله إلى قرون عدة سابقة على ظهور المسيح عليه السلام. وهم أعضاء القيادة الكهنوتية المرتبطة بالهيكل وشعائره والمدافعون عن الحلولية اليهودية الوثنية.

وكان الصدوقيون، بوصفهم طبقة كهنوتية مرتبطة بالهيكل، يعيشون على النذور التي يقدمها اليهود، وعلى بواكير المحاصيل، وعلى نصف الشيقل الذي كان على كل يهودي أن يرسله إلى الهيكل، الأمر الذي كان يدعم الثيوقراطية الدينية التي تتمثل في الطبقة الحاكمة والجيش والكهنة. وكان الصدوقيون يحصلون على ضرائب الهيكل، كما كانوا يحصلون على ضرائب عينية وهدايا من الجماهير اليهودية. وقد حوَّلهم ذلك إلى أرستقراطية وراثية تؤلِّف كتلة قوية داخل السنهدرين.

ويعود تزايد نفوذ الصدوقيين إلى أيام العودة من بابل بمرسوم قورش (٥٣٨ ق.م) إذ آثر الفرس التعاون مع العناصر الكهنوتية داخل الجماعة اليهودية لأن بقايا الأسرة المالكة اليهودية من نسل داود قد تشكل خطراً عليهم. واستمر الصدوقيون في الصعود داخل الإمبراطوريات البطلمية والسلوقية والرومانية، واندمجوا مع أثرياء اليهود وتأغرقوا، وكوَّنوا جماعة وظيفية وسيطة تعمل لصالح الإمبراطورية الحاكمة وتساهم في عملية استغلال الجماهير اليهودية، وفي جمع الضرائب.

ولكن، وبالتدريج، ظهرت جماعات من علماء ورجال الدين (أهمهم جماعة الفريسيين) تلقوا العلم بطرق ذاتية، كما كانت شرعيتهم تستند إلى عملهم وتقواهم لا إلى مكانة يتوارثونها. وكانوا يحصلون على دخلهم من عملهم، لا من ضرائب الهيكل. وقد أدَّى ظهور الفريسيين، بصورة أو بـــأخرى، إلى إضعاف مكانة الصدوقيين. ومما ساعد على الإسراع بهذه العملية، ظهور الشريعة الشفوية حيث كان ذلك يعني أن الكتاب المقدَّس بدأت تزاحمه مجموعة من الكتابات لا تقل عنه قداسة. كما أن الكتب الخفية والمنسوبة وغيرها من الكتابات كانت قد بدأت في الظهور. وقد ساهم الأثر الهيليني في اليهود في إضعاف مكانة الصدوقيين الكهنة، فقد كان اليونانيون القدامى يعتبرون

الكهنة من الخدم لا من القادة. وكانت جماعات العلماء الدينيين (الفريسيين) أكثر ارتباطاً بالحضارة السامية وبالجماهير ذات الثقافة الآرامية. لكل هذا، زاد نفوذ الفريسيين داخل السنهدرين وخارجه، حتى أنهم أرغموا الكاهن الأعظم على أن يقوم بشعائر يوم الغفران حسب منهجهم هم. وقد وقف الصدوقيون، على عكس الفريسيين، ضد التمرد الحشموني (١٦٨ ق.م)، ولكنهم عادوا وأيدوا الملوك الحشمونيين باعتبار أن الأسرة الحشمونية أسرة كهنوتية (ابتداءً من ١٤٠ ق.م). ولا يمكن فَهْم الصراعات التي لا تنتهي بين ملوك الحشمونيين إلا في إطار الصراع بين الحزب الشعبي (الفريسي) وحزب الصدوقيين. وقد أيَّد الصدوقيون بعد ذلك الرومان.

المكابيين: هم الحشمونيون الذين يُطلَق عليهم هذا اللقب أيضاً. وكلمة "مقبي" العبرية معناها "المطرقة"، وإن كان البعض يرون أن الأصل العبري هو "مكبي" وأنها اختصار بالحروف الأولى لآية جاءت في نشيد انتصار موسى على فرعون تقول بالعبرية: "مي كموخا بئيليم يهوه" ، أي "من كمثلك بين الآلهة يارب" (م.ك. ب.ي). ويرى الصهاينة أن المكابيين بعثوا الروح العسكرية في الشعب اليهودي وحولوه من شعب مستسلم إلى شعب من الغزاة المقاتلين وصفهم الشـــاعر بقوله: كان حمــد اللـــه في حنـــاجرهم، وفي أيديهم ســيف له حدان. وهــذه هي صـــورة الشـــخصية اليهودية المثلى كما تخيلهـــا الصهاينة. ومن ثم، يطلق كثير من المنظمات والأنشطة الصهيونية على نفـــســـها اســـم «مـــكابي» لإحياء تقاليد العنف.

المشنا: كلمة عبرية مشتقة من الفعل العبري «شنَّاه» ومعناه «يُثنِّي» أو «يكرر». ولكن، تحت تأثير الفعل الآرامي «تانا»، صار معناها «يدرس». ثم أصبحت الكلمة تشير بشكلٍ محدد إلى دراسة الشريعة الشفوية، وخصوصاً حفظها وتكرارها وتلخيصها. والمشناه مجموعة موسوعية من الشروح والتفاسير تتناول أسفار العهد القديم، وتتضمن مجموعة من الشرائع اليهودية التي وضعها معلمو المشناه (تنائيم) على مدى ستة أجيال (١٠ــ ٢٢٠).

وتُعَدُّ المشناه مصدراً من المصادر الأساسية للشريعة، وتأتي في المقام الثاني بعد العهد القديم الذي يُطلَق عليه لفظ «مقرا» (من «قرأ») باعتبار أن العهد القديم هو الشريعة المكتوبة التي تُقرأ. أما المشناه، فهي الشريعة الشفوية، أو التثنية الشفوية، التي تتناقلها الألسن، فهي إذن تكرار شفوي لشريعة موسى مع توضيح وتفسير ما التبس منها، ولابد من دراسته (وتسمية العهد القديم بالمقرا حدثت في العهد الإسلامي، وهي صدى للتفرقة بين القرآن والسنة، فظهرت التفرقة بين المقرا والمشناه). ولهذا، فإن المشناه تُسمَّى «الشريعة الثانية». وتتضارب الآراء المتصلة بمدلول كلمة «مشناه»، فيذهب البعض إلى أنها تشير إلى الشريعة الشفوية بكاملها (مدراش وهالاخاه وأجاداه). ولكن الرأي الآن مستقر على أن المشناه تعني الهالاخاه فقط، حتى أن كلمتي «مشناه» و«هالاخاه» أصبحتا مترادفتين تقريباً. ومع هذا، فإن هناك فقرات أجادية في نهاية كل قسم من أقسام المشناه. وعلى أية حال، فإن فقرة واحدة تتضمن سنة واحدة في الفقهيات التشريعية يُسمَّى «مشناه» وجمعها «مشنايوت». أما كتاب المشناه ككل فيشار إليه أحياناً بأنه «هالاخاه» وجمعها «هالاخوت».

وقد دوِّنت المشناه نتيجة تراكم فتاوى الحاخامات اليهود (معلمي المشناه) وتفسيراتهم وتضاعفها كمياً بحيث أصبح من المستحيل استظهارها، فبدأ تصنيفها على يد الحاخام هليل (القرن الأول الميلادي)، وبعده الحاخام عقيبا ثم مائير. أما الذي قيدها في وضعها الحالي كتابةً، فهو الحاخام يهودا الناسي (عام ١٨٩م) الذي دونها بعد أن زاد عليها إضافات من عنده (ولكن هناك من يقول إنه لم يدونها رغم اقترانها باسمه، وقد ظلت الأجيال تتناقلها حتى القرن الثامن الميلادي). ويتكون كل من التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي من المشناه والجماراه. ووجه الاختلاف بينهما في الجماراه، أما المشناه فهي مشتركة بين التلمودين. والواقع أن لغة المشناه هي تلك اللغة العبرية التي أصبحت تحتوي على كلمات يونانية ولاتينية وعلى صيغ لغوية يظهر فيها تأثر عميق بقواعد الآرامية ومفرداتها، وتُسمَّى عبرية المشناه. ويصل حجم

المشناه في الترجمة الإنجليزية إلى ٧٨٩ صفحة. ولذا، ورغم أنها تعليق على العهد القديم، فإنها أكبر منه حجماً. ويجب التمييز بين المشناه والمدراش، فالمدراش (حتى التشريعي الهالاخي) تعليق على النصوص التوراتية نفسها، أما المشناه فتهدف إلى تقديم المضمون القانوني للشريعة الشفوية بشكل مجرد ودون العودة إلى النصوص التوراتية.

وتنقسم المشناه إلى ستة أقسام (سداريم):

١ ــ سدِّر زراعيم، أي البذر أو الإنتاج الزراعي: ويُعنى بالقوانين الدينية الخاصة بالزراعة والحاصلات الزراعية وبنصيب الحاخام من الثمار والمحصول.

٢ ــ سدِّر موعيد، أي العيد: ويُعنى بالأعياد (والسبت)، والأحكام الخاصة بها.

٣ ــ سدِّر ناشيم، أي النساء: وفيه النظم والأحكام الخاصة بالزواج والطلاق.

٤ ــ سدِّر نزيقين، أي الأضرار: ويتناول الأحكام المتعلقة بالأشياء المفقودة والبيع والمبادلة والربا والغش والاحتيال، كما يُعنى بالحديث عن عصر المسيح ومحاكمته وصلبه. وهذا الكتاب موضع اهتمام الذين حاولوا إرجاع ما يُسمَّى «الأخلاق اليهودية» إلى تعاليم التلمود.

٥ ــ كتاب قُدَاشيم، أي المقدَّسات: ويحوي الشرائع الخاصة بالذبح الشرعي، والطقس القرباني وخدمة الهيكل. ويُقال إن واضعي المشناه قد أدركوا أنه (بعد القضاء على ثورة بركوخبا) لم يَعُد هناك احتمال في المستقبل القريب لإعادة بناء الهيكل، ولذا فقد وضعوا القوانين الخاصة بالهيكل على مستوى آخر حيث أصبحت دراسة قوانين الهيكل بديلاً دينياً للطقوس المقدَّسة التي يقوم بها الكهنة في المعبد.

٦ ــ كتاب طهاروت أو الطهارة: ويعالج أحكام الطهارة والنجاسة.

وهذه الكتب الستة أو السداريم (جمع سدر)، أصبحت تُسمَّى «شيشا سداريم»، وهي تنقسم بدورها إلى أحكام فرعية أو مباحث تُسمَّى «ماسيختوت»، ومفردها «مسيخت»،

وهي من جذر آرامي بمعنى «نسج»، أو «حاك»، ويُقال لها أيضاً «الأسفار» أو «المقالات». ويتناول كل كتاب موضوعاً بعينه في عدة فصول أو براقيم أو مفاصل. ويتألف كل فصل بدوره من فقرات عديدة تُعرف باسم «هالاخوت» (جمع هالاخاه) وهي الأحكام الشرعية.

ويرى واضعو المشناه أنها جزء لا يتجزأ من الوحي الذي تلقاه موسى، فهي التوراة (أو الشريعة الشفوية) لا بمعنى أن بعض أجزائها تلقاه موسى شفاهة في سيناء ثم تم تناقلها شفاهة عبر الأجيال من حاخام إلى آخر، وإنما بمعنى أن تقاليد التوراة الشفوية لا تزال مستمرة حتى وقتنا هذا. بل يرى بعض العلماء اليهود أن المشناه هي المقابل اليهودي للعهد الجديد، فكلاهما إكمال للعهد القديم وشريعة موسى. والمشناه هي، في الواقع، الرد اليهودي على العهد الجديد. بل إن بعض العلماء اليهود يرون أن المشناه، شأنها شأن المسيح، هي تجسيد للعقل الإلهي، أي أنها اللوجوس (الكلمة). وإذا كان المسيح هو اللوجوس، وقد أصبح بشراً، فإن هذا التجسيد يأخذ في المشناه شكل لغة قانونية متزنة تشكل وتنظم مسار الواقع.

وقد ظلت المشناه أهم كتب اليهود المقدَّسة والمصدر الحقيقي للتشريع والأحكام والفتاوى، رغم كل الأبهة الشعائرية التي تحيط بالعهد القديم. ومع هذا، فإن المشناه بدأت تفقد منذ القرن السادس عشر، مثلها مثل باقي أقسام الشريعة الشفوية ككل، شيئاً من أهميتها ومركزيتها، وذلك مع شيوع القبَّالاه وازدياد نفوذ القبَّاليين الذين أخذوا يهاجمون الحاخامات ويُصدرون الفتاوى استناداً إلى الزوهار وأقوال لوريا. وكان القبَّاليون يشيرون إلى المشناه بأنها «مقبرة موسى» ويشيرون إلى الحاخام بلفظ «الحمار المشناوي» (لأنه ينوء تحت طقوس المشناه ويكررها أحياناً دون فهم لمعناها).

يهودا والسامرة: تُستخدَم كلمة «يهودا» للإشارة إلى ما يلي:

١ ــ أرض يهودا: وهي إشارة إلى نصيب قبيلة يهودا من الأرض، والذي يمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى البحر الميت وكان حده الشمالي نهر روبين جنوبي يافا. وعلى هذا، فإن القدس كانت خارج أرض يهودا. ولم تكن أرض يهودا تضم المدن الساحلية، كأشدود وغزة وعسقلان، لأنها بقيت في أيدي الفلستيين. كان عرض أرض يهودا (من الغرب إلى الشرق) نحو خمسين ميلاً، وكان طولها (من الجنوب إلى الشمال) نحو خمسة وأربعين ميلاً، وكانت مساحتها أكثر من ألفي ميل مربع.

٢ــ المملكة الجنوبية (يهودا): وتضم أرض يهودا وأكثر أرض بنيامين إلى الشمال الشرقي، ودان إلى الشمال الغربي، وشمعون إلى الجنوب. وكانت مساحتها نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة ميل مربع. وقد أُطلقت الكلمتان «يهود» الفارسية ثم «يوديا» الرومانية على المقاطعة المحيطة بالقدس. ولكن جرى العرف على استخدام كلمة «يهودا» للإشارة إلى «يهودا» العبرانية و« يهود» الفارسية و«يوديا» الرومانية. ويُلاحَظ أن الحشمونيين سمَّوا دولتهم باسم «يهودا».

وقد اختفى الاسم بصيغتيه العبرية والرومانية منذ عام ١٣٥م، حينما أُطلق على فلسطين بأقسامها كافة (يهودا والسامرة والجليل وغيرها) اسم «بالستينا». ويُطلق الصهاينة مصطلح (يهودا والسامرة) على الضفة الغربية لإنكار كل التطورات التاريخية التي حدثت منذ ذلك الحين، ولتسويغ عملية الضم.

دار الحاخامية الرئيسية في إسرائيل: أبرز المؤسسات الدينية في إسرائيل إلى جانب وزارة الشئون الدينية. أنشأتها حكومة الانتداب البريطاني عام ١٩٢١، لتحل محل مؤسسة الحاخام باشي العثمانية، وعهدت إليها بتصريف أمور الأحوال الشخصية لليهود المقيمين في فلسطين. وهي تتمتع بصلاحيات واسعة في الأمور المتعلقة بالزواج والطلاق والإرث والطعام والختان والدفن وإقامة شعائر السبت وكان أول رئيس للحاخامية الحاخام الصهيوني إسحق كوك.

وقد أُعيد تعريف سلطات وصلاحيات الحاخامية عام ١٩٢٨. إذ قُسِّمت السلطة بين حاخام إشكنازي وآخر سفاردي يحمل لقب ريشون لتسيون: أي الأول في صهيون، باعتبار أن وجوده في فلسطين يسبق وجود الإشكناز. وكانت العضوية في مجلس الحاخامية مقسَّمة بين الإشكناز والسفارد بالتساوي. وقد عارض تأسيس الحاخامية كل من اليهود الأرثوذكس واليهود العلمانيون. فالأرثوذكس كانوا يرون أن الحاخامية تتلقى الأوامر من الزعامات الصهيونية العلمانية ومن ثم فهي تشكل خضوعاً للأيديولوجية العلمانية. أما العلمانيون فكانوا يخشون من تعاظم نفوذ الحاخامية ومن أنها قد تتدخل في الحياة العامة وتفرض عليها طابعاً دينياً.

وقد استمرت الحاخامية في ممارسة صلاحياتها بعد تأسيس الدولة. وقد أصبح الحاخامان الأكبران هما أيضاً رئيسا المحكمة الحاخامية العليا. وترفض الحاخامية الخضوع للسلطات القضائية في الدولة كالمحكمة العليا (ومما يساعدها على مزيد من الهيمنة أن إسرائيل ليس لها دستور مكتوب). وتُسيطر على دار الحاخامية العناصر الأرثوذكسية التي قَبلت التعاون مع المؤسسة الصهيونية. أما اليهود المحافظون والإصلاحيون فهم غير مُمثَّلين فيها.

وتُعَدُّ الأحزاب الدينية في إسرائيل بمنزلة الذراع السياسية لدار الحاخامية، وتدور دار الحاخامية (وكل المؤسسات الدينية) داخل إطار ما يُسمَّى «سياسة الوضع الراهن»، أي العرف السائد في فلسطين إبَّان حكم الانتداب البريطاني فيما يتصل بما يجب مراعاته من الشعـــائر الدينية اليهودية في رقعة الحياة العامة، وما يمكن تجاهله.

وتفجر دار الحاخامية من آونة لأخرى بعض التناقضات الكامنة في الأطروحات التي تستند إليها الدولة الصهيونية. فالصهاينة يفترضون وحدة اليهود. ولذا، فحينما تشكِّك الحاخامية في يهودية بني إسرائيل من الهند والفلاشاه من أثيوبيا فإنها تهز هذه الوحدة من جذورها. وحين ترفض الاعتراف بالحاخامات الإصلاحيين والمحافظين، وبعمليات التهود التي يشرف عليها هؤلاء الحاخامات، وحينما تُصر على التحقق من

الأصول اليهودية للمهاجرين السوفييت فإنها تخلق توترا بين الدولة الصهيونية والأغلبية الساحقة من يهود العالم، وتُعيد طرح السؤال الذي لا يريد أن يتوارى، أي من هو اليهودي؟ كما أنها تعمق الانقسامات داخل إسرائيل نفسها بين أصحاب التعريف العلماني لليهودي وأصحاب التعريف الديني القومي، فهي تُصر على التمسك بسياسة الوضع الراهن وعلى إقامة بعض الشعائر وتُحارب الإباحية المتزايدة في المجتمع الصهيوني، الأمر الذي يثير حنق العلمانيين، وخصوصاً أن الإباحية والانفتاح مرتبطان تماماً بالقطاع السياحي وهو من أهم القطاعات في المجتمع الصهيوني. ويحاول العلمانيون داخل إسرائيل، واليهود الإصلاحيون والمحافظون ــ داخلها وخارجها ــ تكوين تحالف مشترك ضد الحاخامية الأساسية والمؤسسة الدينية الأرثوذكسية.